غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد السادس والثمانون

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

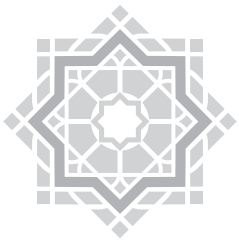

المِحْوَرُ الحَادِي عَشَر

خُطَبُ الجُمُعَةِ

١٧٠ خطب الشيخ القرضاوي ٧

١٧١ خطب الشيخ القرضاوي ٨

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفَ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

المحـور الحادي عشر

خطـب الجـمعة

١٧٠

خطب الشيخ القرضاوي

٧

إعـــداد
الشيخ محمد حوطر
الشيخ أكرم كساب

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۞ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۞ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۞ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۞ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ [ق: ١٦-٢٠].

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن نَفَّسَ عن مؤمنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدنيا، نَفَّسَ اللهُ عنه كُرْبَةً من كُرَبِ يوم القيامة، ومن يَسَّرَ على مُعْسِرٍ، يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سَهَّل الله له به طريقًا إلى الجنَّة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلَّا نزلت عليهم السكينةُ، وغشيتهم الرحمة وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بَطَّأَ به عملُه، لم يُسْرِعْ به نسبُه**». رواه مسلم وأحمد.

عن سهل بن سعدٍ رضي الله عنهما، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ هذا الخيرَ خزائنُ، ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لعبدٍ جعله اللهُ مَفْتاحًا للخير، مِغْلاقًا للشرِّ، وويلٌ لعبدٍ جعله الله مفتاحًا للشرِّ، مِغْلَاقًا للخير**». رواه ابن ماجه.

غير مرخص للطباعة

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه، ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما شاء ربُّنا من شيءٍ بعد.

والصَّلاة والسَّلام على الرحمة المهداة للعالمين، والنعمة المُسداة للمؤمنين، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمَّد، وعلى آله وصحبه، ومن اتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فهذا هو الجزء السابع من ديوان خُطبي، وهو يتميَّز بخصوصيتَيْن عن غيره من الأجزاء الماضية:

أُولاهما: أنَّ معظم خُطبه من «القديم»، أي: ليس من خطب مسجد عمر بن الخطَّاب بالدوحة، ولا غيره من مساجد قطر، بل هي خطب قديمة جُلُّها ألقي في مسجد «آل طه» بالمحلَّة الكُبرى، الَّذي بدأت الخطَّابة فيه وأنا طالب بكُلِّيَّة أصول الدِّين بالأزهر الشريف؛ وكان ذلك سنة ١٩٥١م، وظللتُ أعتلي منبره حتَّى صيف سنة ١٩٥٤م، حين اخطفتنا «كلاب الصيد»، وألقت بنا في السجن الحربي، ولم أعد بعدها إلى هذا المسجد.

QaradawiBooks.com

كنت ألقي خطبتي ارتجالًا، كما هي عادتي منذ اعتليتُ المنبر، وأنا ابن سبعة عشر عامًا في قريتي، وإلى اليوم، ولم يكن «التسجيل» قد عُرف واشتُهر في ذلك الوقت، فلا مطمع في أن توجد هذه الخُطب مسجَّلة عن طريق الأجهزة المعروفة.

ولكنَّ الله رزقني بـ«مُسَجِّل بشري» ممتاز، يُسَجِّل هذه الخُطب بطريقته الخاصَّة، ويُقَدِّمها لي مكتوبة بعد ذلك.

ذلكم هو الأخ الحبيب الأديب الشاعر الداعية الموفَّق، ابن المحلَّة، وابن الأزهر، وابن الدعوة: الأستاذ محمَّد أحمد حوطر، الَّذي كان طالبًا في المعهد الديني الأزهري الثانوي بطنطا في ذلك الوقت.

وكان قد آلى على نفسه أن يُسَجِّل هذه الخُطب ويحفظها للمسلمين عامَّة، وللدعاة خاصَّة؛ حتَّى لا تضيع بعد إلقائها.

وكانت طريقته أنْ يحضر «كشكولًا» وعدَّة أقلام من الرصاص، يبريها له زميلٌ مرافق، وهو يكتب أوَّلَ الآية، ولا يُكْملها، وكذلك الأحاديث، ونصوص الحِكَم والأشعار وغيرها.

وهو يكتب بسرعةٍ عجيبة، وبخطٍّ لا يستطيع غيره أن يقرأه، بل هو لا يستطيع أن يقرأه إذا تركها لليوم التالي، ولذلك يجتهد أن «يُبَيِّضها» في نفس اليوم، وهو يذكر الكلمات والعبارات.

كان قد تَكَوَّن من ذلك مجموعة من الخُطب، اقترح عليَّ بعض الإخوة أن أصدرها في ديوان سمَّيته: «نفحات الجمعة»، ولكن الظروف الأمنيَّة لم تسمح بصدوره.

QaradawiBooks.com

وكنتُ أحسب أنَّ هذه الخُطب كلَّها قد ضاعت فيما ضاع من أدبي وشعري وكتاباتي، في أتون المِحن المتلاحقة الَّتي أصابت الإخوان المسلمين في مصر.

ولكن شاء الله تعالى أن تظهر أشياء كانت خافية عني، تائهة في تلال الأوراق المختلفة الَّتي أُعاني من البحث فيها، وذلك حين انتقالي من مسكن إلى آخر بالدوحة.

فقد عثر سكرتيري العلمي بالدوحة الأخ الشَّيخ أكرم عبد الستار كسَّاب، وهو يفتِّش مع بعض مساعديه في أضابيري وأوراقي القديمة، على مجموعة من الخُطب القديمة، مكتوبة بخط الأخ الحبيب محمَّد حوطر، أتمَّ الله عليه العافية، وعجَّل له الشفاء من مرضه الَّذي أقعده منذ سنوات.

وأضيف إلى هذه الخُطب ـ المكتوبة بخط محمد حوطر ـ خطبة أخرى مكتوبة بخطي أذيعت من جامع الزمالك بالقاهرة، الَّذي كنت أخطب فيه، أواخر سنة (١٩٥٦، ١٩٥٧م) بعد العدوان الثلاثي على مصر، وكانت إذاعة القاهرة تذيع الخُطبة من مسجد الزمالك كلَّ عدة أشهر، وتطلب مني أن أكتبها، وأرسلها إليهم قبل أنْ تذاع؛ حتَّى يقرؤوها ويقرِّوها، فوجد هذه الخُطبة من خطب الزمالك، وهي عن جهاد الجزائر أيام حرب التحرير الجزائرية المباركة.

وقد أريتها للإخوة في الجزائر عندما زرتهم قريبًا في «ملتقى الإمام البشير الإبراهيمي» فسُرُّوا بها كثيرًا، وقالوا: كأنَّك كنت تعايش الجهاد الجزائري لحظةً بلحظة، واستأذنوني في أنْ ينشروها.

QaradawiBooks.com

ولقد قرأ الأخ أكرم وإخوانه هذه الخُطب القديمة، وأُعجبوا بها أيَّما إعجاب، وقالوا: من يقرأ تلك الخُطب منذ خمسين سنة أو أكثر لا يجدها تختلف كثيرًا عن خطب اليوم، النهج هو النهج، والرُّوح هي الرُّوح، والأسلوب هو الأسلوب، وإن كانت خطب اليوم تمتاز بأفقٍ أوسع، وعلمٍ أغزر، وفكرٍ أنضج، بحكمِ تراكم المعرفة والخبرة، وعمقِ التجربة.

كما لوحظ أنَّ الخُطب القديمة كثيرًا ما يغلب عليها حماس الشَّباب، ورأوا أنْ تضاف إلى الخُطب المنشورة في الأجزاء السابقة لما لها من دلالة تاريخيَّة.

والخصوصيَّة الثانية لهذه المجموعة: أنَّها لم تحظَ بإعداد الأخ الفاضل الدكتور خالد السَّعد الَّذي تولَّى إعداد خطب الأجزاء الماضية، جزاه الله خيرًا، ولكن قام مقامه في هذا الجزء: ابننا المهذَّب، وتلميذنا النجيب، وأخونا الكريم: أكرم عبد السَّتَّار كسَّاب، الَّذي علَّق على هذه المجموعة، ورقَّم آياتها، وخرَّج أحاديثها، وأعدَّها للنشر.

فشكر الله له، وجزاه عَنِّي وعن المسلمين خيرًا.

ولا سيَّما أنِّي في تلك المرحلة من حياتي لم أكنْ مُتَمَكِّنًا من معرفة الحديث ونقده، من حيث التصحيح والتضعيف، وإنَّما اكتسبتُ هذه الخبرة بعد، ولذا وُجد في هذه الخُطب الحديث الضعيف والواهي.

وكان جلُّ اعتمادي على كِتَابين: «الترغيب والترهيب» للمُنذري، قبل أنْ أنظر فيه بعد ذلك، وأحذف منه المنكر والواهي والضعيف، وأنتقي منه الصحيح والحسن، وأصدرت ذلك في «المنتقى من الترغيب والترهيب».

QaradawiBooks.com

والكتاب الثاني هو: أحاديث كتاب «الإحياء» للغزالي، قبل أنْ أنتبه إلى تخريج الحافظ العراقي لهذه الأحاديث انتباهًا كافيًا.

وقد أكملنا هـذا الجزء باختيار ثمانية خطب مـن الخُطب الحديثة، ليكتمل العدد عشـرين، وقد التزمنا منذ بداية نشر الخُطب أن يكون كلُّ جزء يشتمل على عشرين خطبة.

وبهذا تميَّز هذا الجزء بالجمع بين يوسف القرضاوي ابن العشرين، ويوسف القرضاوي ابن السبعين.

أسـأل الله تعالى أن ينفع بهذه الخُطـب قائلها، ومُسَـجِّلها بقلمه، ومُعِدَّها للنشر، وطابعها، وناشرها، وقارئها، وكلَّ من أعان على الانتفاع بها، ووفَّق الجميع لما يحبُّ ويرضى.

والحمد لله الَّذي هدانا لهذا، وما كنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله.

الفقير إلى الله

يوسف القرضاوي

الدوحة: في ١٦ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ

٢٣ يونيو ٢٠٠٥م

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا.

وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبدُ الله ورسوله، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارِك على هذا الرسول الكريم، وارض اللهمَّ عن آله وصحابته أجمعين.

(أمَّا بعد)

فقد كلَّفني فضيلة شيخنا العلَّامة يوسف القرضاوي أن أُشرف على هذه المجموعة من الخُطب، وأغلبها من الخُطب القديمة، الَّتي كانت في طي النسيان، وكان الشَّيخ يعدُّها ضمن المفقود من تراثه ـ وما أكثره، وأصل العديد من هذه الخُطب كان الفضل في جمعها لتلميذ الشيخ النجيب، وصديقه الحبيب الأستاذ «محمَّد حوطر»، الَّذي قام بتحريرها منذ قرابة نصف قرن.

ولما كانت العادة قد جرت على أنْ يكتب الأخ الفاضل الدكتور: خالد السَّعد تقديمًا لهذه الخُطب، فقد استأذنت شيخنا أنْ أقوم بهذا

QaradawiBooks.com

التقديم، وبخاصَّة أنَّ هذا التقديم هو جزء ممَّا كتبته عن فضيلة الشَّيخ في كتابي «المنهج الدعوي عند القرضاوي»، وقد وافق الشَّيخ مشكورًا على هذا الطلب، وإن تحفَّظ في أوَّل الأمر.

مكانة الخُطبة:

تعَدُّ الخُطبة من أقدم الوسائل الدعويَّة وأنجحها، يأتي النَّاس لها طواعية مختارين، وقد اشتهر في القديم وفي الحديث خطباء بارعون، هزُّوا أعواد المنابر، فأطرقت لهم الرؤوس، واشرأبَّت لهم الأعناق، وسكنت لهم النُّفوس، وانقادت لهم الجوارح والأبدان.

ومَن منَّا لا يذكر عليَّ بن أبي طالب، والأحنف بن قيس، وطارق بن زياد، وابن أبيه، والحسن البصري، وابن الجوزي، وغيرهم رحمهم الله تعالى؟

الشَّيخ فارس في هذا المَيْدَان:

والشَّيخ القرضاوي حفظه الله فارس في هذا المَيْدَان، منذ أن اعتلى المنبر، وهو في العقد الثاني من عمره إلى وقتنا هذا، وهو في العقد الثامن من عمره ـ أطال الله في عمره ـ تسمعه فكأنَّما تسمع شابًّا لم يتجاوز الثلاثين أو الأربعين، كأنَّما هو أسدٌ يزأر، أو سيلٌ يزحف.

وتحسب حين تسمع القرضاوي أنَّه قد رضع حقًّا من أثداء الشَّريعة الغرَّاء، وتضلَّع من صدر المِلَّة السَّمحاء.

إنَّ ممَّا يمتاز به القرضاوي ـ أحسبه كذلك، ولا أُزَكِّيه على الله تعالى ـ أنَّه موصول بالله، فإذا تكلَّم فبتأييد من الله، لذا تراه يتحدَّث في أدقِّ المعاني بكلمات تشعر أنَّها هادئة، لكنَّها ـ والله ـ رائعة، وبسيطة لكنَّها مُؤَثِّرة، وبريئة لكنَّها مُجَلْجِلة.

QaradawiBooks.com

مُؤَهِّلات القرضاوي الخِطَابيَّة:

وقد ساعد الشَّيخ على ذلك: علمه الغزير، وثقافته الواسعة: الشرعيَّة وغير الشرعيَّة، وموضوعاته الغنيَّة، ولغته الجميلة، وعرضه الرائع، ولهجته الصادقة، ولسانه الفصيح، وصوته القويُّ، وأسلوبه الرصين، وذاكرته القوية.

إنَّه إذا خطب يخيَّل إليك أنَّه ينتقي ألفاظه انتقاء، وكأنَّ الكلمات بين يديه يأخذ منها ما يشاء ويدع ما يشاء، ممَّا يزيده رباطة في جأشه، وقوَّة في قلبه، وثقة في نفسه.

وللشَّيخ قدرة غريبة في استحضار الآيات القرآنيَّة والأحاديث النَّبويَّة، فضلًا عن أقوال العلماء، وحِكم الحُكماء، وأشعار السابقين، وتجارب اللاحقين.

وأعجب ما في خُطب الشَّيخ: أنَّه يجمع بين فقه الفقيه، وبلاغة الأديب، وحرارة الداعية، ورُوح المُرَبِّي، وأصالة العالِم، ورواية المُحَدِّث، وحِسِّ المؤرِّخ، ودقَّة المُناظر، وترتيب المُحاضر، فترى كلماته كأنَّها كائنٌ حيٌّ، كأنَّما هي طائر له أجنحة، أو إنسان له قلبٌ يخفق، ولسانٌ ينطق.

وعلى بلاغة الشَّيخ وأدبه، فإنَّك لا ترى في خُطبه سجعًا مُتَكَلَّفًا، ولا ألفاظًا غريبة، ولا جملًا غير مرتبطة، بل هي قطع من الأدب دونما تكلُّف أو نصَب.

موضوعات الخُطبة عند القرضاوي:

وخطب الشَّيخ ليست من الخُطب الموسميَّة، الَّتي لا تنفكُّ عن مواسم العامِّ؛ فخطبة عن الهجرة، وأخرى عن المولد النَّبوي، وثالثة عن الإسراء والمعراج، وهكذا.

QaradawiBooks.com

لا، ولكن خُطب الشَّـيخ تراها خُطبًا تثبِّت العقيدة، وتصلح العبادة، وتقوِّم الأخلاق، وتبيِّن أسس التعامل بين النَّاس.

إنَّهـا خُطب تمـسُّ الواقع فـي كلِّ مجالاتـه: الفرديَّة والأُسْـرِيَّة، والاجتماعيَّة، والثَّقافيَّة، والسِّياسيَّة والاقتصاديَّة، فتُعالج أمراضه، وتُقَوِّم اعوجاجه، وتُصَحِّح أخطاءه، وتشدُّ على يد التائب، وتأخذ بيد العاصي، وتُوَجِّه المخطـئ، وتوقظ النَّائم، وتُحَـرِّك الراكد، وتُنَبِّـه الغافل، وتردُّ الشـارد، وتُعَلِّم الجاهل، وتهدي الحائر، وتُبَصِّر الأعمى، وتنفخ الرُّوح في الجُثث الهامدة.

إنَّها خُطب تُقَدِّم الدِّين عقيدةً سليمة، وعبادةً خالصة، وأخلاقًا فاضلة، وآدابًا سامية، وأعمالًا صالحة، وتشـريعاتٍ عادلة، وعلومًا نافعة، وفنونًا راقية، وحضارة متوازنة.

وأبرز ما في خُطب الشَّـيخ أنَّه لا ينكفئ على القديم دون أنْ يعرج على الجديد، بل هو دائم التجديد في خُطبه، باحث عن مشـاكل أمَّته؛ ليُنِّبه عليهـا، داعيًـا مُسْـتَمِعيه إلى مشـاركة إخوانهم فـي مصائبهم، ومعايشتهم في مآسـيهم، فتراه تارة يُذَكِّر بقضيَّة فلسطين، وتارة بقضيَّة الأفغان، وثالثة بالعراق، ورابعة بكشـمير، وخامسـة بتركيا، وسادسـة وسابعة... ثم يعود أدراجه ليعود إلى قضيَّة فلسطين والأقصى من جديد.

والمتابع لخُطب الشَّـيخ القرضاوي يدرك أنَّ الشَّـيخ يختار خُطبه بعناية ودقَّة.

وخُطب الشَّيخ ليست من الخُطب النمطيَّة المعروفة، لكنَّها خُطب إن شـئتَ سَـمِّها خُطبًا سياسـيَّة اجتماعيَّة اقتصاديَّة أخلاقيَّة عباديَّة عقديَّة

QaradawiBooks.com

تاريخيَّة؛ إنَّها خُطب تجمع بين الدِّين والدُّنيا، وتربط الدُّنْيا بالآخرة، لكن الرائحة السِّياسيَّة لا شكَّ تفوح من هذه الخُطب؛ لأنَّ الشَّيخ إنَّما فَهِمَ الدِّين كذلك: عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، دِينًا ودُنْيا، دعوة ودولة، وانظر عناوين هذه الخُطب لتدرك المعنى:

١ ـ زلزال مصر.

٢ ـ مرض الإيدز.

٣ ـ توحيد العرب تحت راية الإسلام.

٤ ـ القمر الصناعي الإسرائيلي.

٥ ـ الذكرى السنويَّة للانتفاضة.

٦ ـ قضيَّة المُرْتَدِّ سلمان رشدي.

٧ ـ العدوان على الكويت.

٨ ـ اتفاقيَّة غزَّة وأريحا.

٩ ـ حقائق حول أزمة الخليج.

١٠ ـ مأساة المسلمين في البوسنة.

١١ ـ الصَّحوة الإسلاميَّة بين المتشائمين والمتفائلين.

١٢ ـ الاستنساخ في البشر وأضراره.

١٣ ـ توضيح الحقِّ في فوائد البنوك.

١٤ ـ حقوق الإنسان في الإسلام.

١٥ ـ معركة الحجاب في فرنسا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٦ ـ مؤتمر السُّكان في القاهرة.

١٧ ـ هدم المسجد البابري.

١٨ ـ القنبلة النَّوويَّة الباكستانيَّة.

١٩ ـ أمَّتنا لن تموت.

٢٠ ـ وا قدساه.

٢١ ـ رسالة إلى المؤتمر الإسلامي التاسع.

٢٢ ـ مشروع الهيئة الخيريَّة الإسلاميَّة العالميَّة.

٢٣ ـ التنصير في منطقة الخليج.

٢٤ ـ المسلمون في أمريكا الجنوبيَّة.

وغيرها من خُطبه النافعة الجامعة.

إنَّ خُطب القرضاوي ليست مُجَرَّد كلامٍ يُقال، بل هي: تربية وتعليم وترشيد وتفهيم، وبيان وتعريف، وتفقيه وتثقيف، وكلُّها تنبع من واقعه الَّذي يحياه، وآلامه وآماله الَّتي يعيشها، ومن ثمَّ فهو يعيش الخُطبة بقلبه وبعقله، ويحياها بعواطفه وجوانحه، فإذا تكلَّم تكلَّم بعروقه ودمه، وهذا ما يظهر في قَسَمات وجهه، وبريق عينَيْه، وعبارات لسانه، ونبرات صوته، وحركات يدَيْه، وإشارات أصابعه.

ومن ثَمَّ تراه يُضْحِك جمهورَه تارة، ويبكيهم تارةً أخرى، ربَّما في خُطبة واحدة دونما تكلُّف مصطنع، أو تصنُّع مُتَكَلَّف.

والحقُّ أنَّ الخطَّابة عند القرضاوي: نداء صارخ، وصوت قويٌّ، مِن قلبٍ مهموم، وفؤادٍ مكلوم.

QaradawiBooks.com

وهي عِلم نافع، وثقافة هادية، مِن عقل بصير، وفؤاد مستنير، ولُبٍّ ملهوف، وشخص مُشفق محبٍّ، وإنسان ناصح أمين، موجَّه إلى قلوب شاردة لتعود، وأشخاص غافلة لتتنبَّه، وإلى العقول المستنيرة لتزداد نورًا، وإلى القلوب المهتدية لتزداد هُدى.

مميزات الخُطبة عند القرضاوي:

للخطابة عند القرضاوي مميزات عدَّة؛ ومن أهمِّ هذه المميزات:

١ ـ ارتباط الخُطبة بالواقع الَّذي يعيشه المسلمون.

٢ ـ اشتمال الخُطبة على أهم قواعد الدين مِن: عقيدة سليمة، وعبادة خالصة، وأخلاق فاضلة، وآداب سامية، وأعمال صالحة، وتشريعات عادلة، وحضارة متوازنة.

٣ ـ الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

٤ ـ توثيق الخُطبة بالأدلَّة المُوَثَّقة.

٥ ـ البعد عن إسرائيليَّات التفسير، ومنكرات الحديث، وخرافات العوامِّ، وأوهام الخواصِّ.

٦ ـ الاعتدال والوسطيَّة في عرض القضايا بعيدًا عن غلوِّ المُغَالين وتفريط المُتَسَيِّبين.

٧ ـ الأسلوب الأدبي الرصين.

٨ ـ الأداء الحيُّ الفعَّال.

٩ ـ مخاطبة العقل وتحريك العواطف.

١٠ ـ التركيز على مشاكل الأمَّة وقضاياها.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١١ ـ التنوُّع في الموضوعات.

١٢ ـ الغزارة في الأدلَّة.

١٣ ـ البُعد عن المسائل الفرعيَّة الخلافيَّة.

١٤ ـ استقلاله بذاته وعدم تقليده لأحد.

١٥ ـ الشمول والتكامل.

١٦ ـ عدم التكلُّف أو الاصطناع.

١٧ ـ رد شُبه المتطاولين مِن الكفَّار والملحدين والمنافقين.

«مشوار» القرضاوي الخطَّابي:

مشوار الشَّيخ الخطَّابي طويل، بدأه الشَّـيخ في قريته «صفط تراب»، واستمرَّ المشوار حتَّى انتهى به المطاف في مسجد عمر بن الخطَّاب بقَطر، مرورًا بمسجد آل طه في المحلَّة، ومسـجد الزمالك بالقاهرة، وساحات المعتقلات، ومسجد أبي بكر الصِّديق بقَطر، ومساجد في أقطار شتَّى.

لقد خَطـب القرضاوي في قارَّات الدُّنْيا الخمـس، في إفريقيا، وفي آسيا، وفي أوربا، وفي الأمريكتين، وفي أستراليا.

ويذكر الشَّـيخ أنَّ أوَّل خُطبة منبريَّة له كانت، وهو في السَّنة الرابعة من المرحلة الابتدائية، وطُلب مِن الشَّـيخ أنْ يُلقي خُطبة في أحد مساجد قريته «مسجد المتولي» بعدما عُرف الشَّيخ بإلقاء الدروس، فأعدَّ الشَّيخ خُطبة كتب الله له فيها التوفيق، كانت تحت عنوان: «الشُّـكر لله»، وقد أثنى النَّاس خيرًا على الشَّيخ، ويرجع ذلك لكونه لم يقلِّد أحدًا، لكنَّه تقمَّص شخصيته هو[1].

(١) انظر: ابن القرية والكُتَّاب (١٧٨/١)، نشر دار الشروق، ط٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

وأخذ الشَّيخ يتنقَّل بين مساجد القرية كلَّما سنحت له فرصة، وقد ساعده على ذلك انضمامه لجماعة الإخوان المسلمين، فاعتبروه داعية من دعاتها يجوب القرى والمدن فيما عرف وقتها بـ: مديرية الغربية.

وبعد انتقال الشَّيخ إلى القاهرة بعد إتمام المرحلة الثانوية، كثُرت أعباؤه ومتطلَّباته، ففكَّر الشَّيخ في البحث عن عمل ليفي بحاجاته، وأشار عليه صديقه «محمَّد الدمرداش» بالتقديم في وزارة التربية والتعليم للعمل كمدرس، لكن الشَّيخ رفض هذا الاقتراح؛ حتَّى لا ينقطع عن القاهرة مركز الدعوة والنَّشاط والحركة، فدله بعض إخوانه على مسجد يبنى بالمحلَّة الكبرى على أنْ يكون خطيبًا فيه.

فذهب الشَّيخ إلى أصحاب المسجد وهم أسرة «آل طه» واتَّفق معهم، وتمَّ افتتاح المسجد، وبدأت الأقدام تصطف في داخل المسجد وخارجه، حتَّى تمَّ بناء مبنى آخر من عِدَّة طوابق بجوار المسجد مُلحقًا له، حتَّى غدا المسجد يُطلق عليه: «مسجد الشَّيخ يوسف» بعد أن أصبح النَّاس يتوافدون عليه من سمنُّود وطلخا، وطنطا، والمنصورة وغيرها[1].

وبعد خروج الشَّيخ من السِّجن الحربي تمَّ الاتصال به أيام العدوان الثلاثي مِن قِبل وزارة الأوقاف؛ ليعمل بمكافأة خطيبًا بجامع الزمالك سنة (١٩٥٦م)، وكان وزير الأوقاف وقتها الشَّيخ أحمد حسن الباقوري، فتمَّ انتداب الشَّيخ الغزالي إلى الجامع الأزهر، على أنْ يحلَّ القرضاوي مكانه في مسجد الزمالك.

(١) انظر: ابن القرية والكُتَّاب (٤٤٤/١).

QaradawiBooks.com

وكان اختيار القرضاوي لهذا المسجد لشعور المسؤولين بشدَّة الحاجة إلى خطباء مرموقين يعملون على رفع الرُّوح المعنوية لدى الشعب، ويُشعلون جذوة الحماس في صدره، ويبعثون الأمل في نفسه، ويمحون اليأس من قلبه، وذلك بعد العدوان الثلاثي على مصر.

وقد استمرَّ الشَّيخ في هذا المسجد سنة ونصفًا أو أقل، ثمَّ مُنع من استمرار خطابته بالمسجد.

ومنذ أن قدِم الشَّيخ إلى قطر في عام (١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م) بدأ يُزاول مهمَّته ورسالته، واعتلى المنابر من جديد، ولم تكن الخُطبة منتظمة في بداية حياته في قطر، ولما أنشئ مسجد «أبو بكر الصِّديق» أُسندت الجُمعة فيه إلى الشَّيخ، واستمرَّ به إلى أن أنشئ مسجد «عمر بن الخطَّاب» فنقل إليه الشَّيخ إلى يومنا هذا حفظه الله تعالى.

وقد شرع أحد تلاميذ الشَّيخ ومُحِبِّيه من دولة البحرين، بجمع هذه الخُطب، وهو الدكتور خالد خليفة السَّعد، فقام بتفريغها وتخريج أحاديثها، والتعليق عليها أحيانًا، وقد خرج منها ستة أجزاء حتَّى اليوم، وهذا الجزء السابع بين يدي القارئ، ويتلوه العديد من الأجزاء إن شاء الله.

القرضاوي يخطب جالسًا:

ولما طال العمر بالشَّيخ ـ أسأل الله أن يُطيل عمره وأن يُحسن عمله ـ واشتدَّ ألم ركبته عليه، اضطرَّ الشَّيخ إلى أنْ يخطب جالسًا، بعد أنْ أخذ يصلِّي جالسًا منذ عدَّة سنوات، وعلى الرغم من هذا كلِّه إلَّا أنَّ حماسة الشَّيخ، وصرخاته الملتهبة، ونبرته القوية، وصيحاته العالية، وكلماته المدوية ما زالت ولا تزال تُرى في خُطبه.

QaradawiBooks.com

القرضاوي بين القديم والجديد في خطبه:

والقارئ لهذا الجزء الَّـذي يجمع بين القديـم والجديد من خُطب الشَّيخ، سيرى أوجه التشابه الكثيرة والمتعدِّدة بين القرضاوي في شبابه والقرضاوي في شـيبه؛ سيجد الأدب والبلاغة، والشـجاعة والحماسة، والفكرة والعِبرة، والفُكاهة والطُّرفة.

كما أنَّه سيجد كذلك دقَّة المُناظر، وترتيب المُحاضر، وأصالة الفقيه، ورُوح المُرَبِّي، ووضوح الداعية.

ولكن الفـرق البَيِّن، والبون الواضـح بين القديم والجديـد، هو رواية المُحَدِّث، الَّتي تظهر واضحة جليَّة في الجديد، وهي غير موجودة في القديم.

وهذا أمر لا يَعيب شـيخنا؛ فإنَّ العالـم لا يُولد عالمًـا، والكبير لا يُولَد كبيرًا.

إنَّ أكثر ما يؤخذ على الشَّـيخ في هذه الخُطب هو اعتماده الواضح على كتابي «الترغيب والترهيب» للمنـذري و«الإحياء» للإمام الغزالي، وقد أدَّى هذا الاعتماد إلى استشهاد الشَّـيخ بما سجَّله الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ في «إحيائه»، أو المنذري في «ترغيبه»، فكان الاستشـهاد بالضعيف، وربَّما في أحيـانٍ قليلة بالضعيف جـدًّا والواهي، وهذا علـى مذهب جمهور المُحَدِّثين الَّذيـن قالوا بجواز العمـل بالحديث الضعيـف في الرقاق والترغيب والترهيب.

كما تجدُر الإشـارة إلى أنَّ مِن الفروق الظاهـرة بين القرضاوي في شبابه والقرضاوي في شـيبه: هو الطول والقصر في الخُطبة، فإذا كانت الخُطبة في الجديد لا تقلُّ عن ساعة؛ وإن قلَّت فبقليل، وهي في صفحاتها

QaradawiBooks.com

لا تقلُّ عن الخمس عشـــرة صفحة، وقد تزيد أحيانًا فتتجاوز العشـــرين، بينما هي في القديم عادة لا تتجاوز العشر صفحات إلَّا في القليل.

وأمر أخير أودُّ الإشارة إليه وهو: أنَّ هذه الخُطب القديمة نمت ورَبَتْ حتَّى غدت فيما بعدُ كُتُبًا يُشار إليها بالبنان، ويتحدَّث عنها الرُّكبان.

نعم لقـــد نمت هذه الخُطـــب وتأمَّل معي خُطبتـــي: «القرآن الكريم منهاجًا للفرد، والقرآن الكريم دستورًا للدولة»، وقارن بينهما وبين كتاب الشَّيخ «كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟» وأمعن النظر كذلك في خُطبة التَّوبة، وقارن بينها وبين كتاب الشَّيخ «التَّوبة إلى الله». إنَّ بين الخُطبتين الأوَّلين وكتاب «كيـــف نتعامل مع القرآن العظيـــم؟» قرابة نصف قرن، وكذلك ما بين خُطبة «التَّوبة» وكتاب «التَّوبة إلى الله»، وهذا إنْ دلَّ على شـــيءٍ فإنَّما يدلُّ على رســـوخ هذه الأصول في ذهن الشَّيخ، وأنَّ طول الزمن لم يكن إلَّا مُصْقَلًا لهذه الأفكار.

المنوفية، أشمون، دروة
الفقير إلى عفو ربِّه
أكرم عبد الستار كسَّاب
جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ
يوليو ٢٠٠٥م

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١
رسالتك أيَّها المسلم

الخطبة الأولى

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مضلَّ له، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور، أحمده سبحانه وأتوب إليه، وأومن به، وأتوكَّل عليه.

وأشهد ألَّا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، أدَّى الأمانة، وبلَّغ الرسالة، ونصح للأمَّة، وجاهد في الله حقَّ جهاده، وتركنا على «**المَحَجَّة البيضاء ليلها كنهارها لا يَزِيغ عنها إلَّا هالك**»[1]، من يُطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا، ومن يَعص الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالًا مُبِينًا.

صلوات الله وسلامه عليه، ورضوان الله على آله وأصحابه؛ ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ورضوان الله عن الَّذين يدعون بدعوته، المُهْتَدِين بسُنَّته إلى يوم الدِّين.

(١) رواه أحمد (١٧١٤٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. وأبو داود في السُّنَّة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٤٣)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٣٧)، عن العرباض بن سارية.

QaradawiBooks.com

أمَّا بعد، فيا معشر المسلمين:

يقول الله تعالى في كتابه المبين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ [الحجُّ: ٧٧، ٧٨].

النداء المحبب:

أخي المسلم، في هاتين الآيتين يخاطِب الله الَّذين آمنوا، ويستثير فيهم معاني الإيمان، ويخاطبهم بهذه السِّمة الكريمة، سمة المؤمنين، وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إذا سمعتَ الله يقول: يا أيَّها الَّذين آمنوا، فأرعِها سمعك؛ فإنَّها خيرٌ يأمر به، أو شرٌّ ينهى عنه[1].

في هاتين الآيتين حدَّد الله رسالة المسلم في هذا الوجود، ومهمَّة المؤمن في هذه الحياة.

ما هي مهمَّة المؤمن؟

أخي المسلم، ما هي مهمَّة المسلم؟! وما هي رسالة المؤمن؟!

أهي رسالة دينيَّة رُوحيَّة؟ أم هي رسالة خيريَّة اجتماعيَّة؟ أم هي رسالة جهاديَّة سياسيَّة؟ أم هي رسالة تجمع ذلك كلَّه في نسَقٍ جميل؟

الشُّعبة الأولى من رسالة المسلم: العِبادة:

رسالة المسلم ذات شُعب ثلاث:

الشُّعبة الأولى: شُعبة رُوحيَّة، وهي الَّتي يحدِّدها قول الله تعالى:

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٣٧)، تحقيق أسعد محمد الطيب، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط ٣، ١٤١٩هـ.

QaradawiBooks.com

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾، أوَّل شيء من مهمَّتك يا مسلم: الركوع، والسجود، وعبادة الله، إنَّك ـ أيَّها الإنسان ـ لست هذا الهيكل من اللحم والدم، والعَظم والعصب، لست هذا الجسم الَّذي خُلق من التراب وسيعود إلى التراب، وإنَّما أنت قبس من نور الله، ونفخة من روح الله، وسِرٌّ من أسرار الملأ الأعلى، خلقك الله بيديه، ونفخ فيك من رُوحه، وجعل الملائكة لك حفَّاظًا وخدَّامًا، وأنزل الكتب، وأرسل إليك النبيِّين مبشِّرين ومنذرين؛ لئلَّا يكون للنَّاس على الله حُجَّة بعد الرُّسل.

منزلة الإنسان الحقيقيَّة:

إنَّك ـ أيَّها الإنسان ـ في منزلةٍ حسدتك عليها الملائكة؛ حيث قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠ ـ ٣٣].

أراد الله بهذا أنْ يعقد امتحانًا عمليًّا؛ ليظهر قدر هذا النوع الجديد، وفضل الإنسان على سائر المخلوقات.

ففاق الإنسانُ الملائكة في «العلم»؛ لأنَّ الله هيَّأه ليقوم بعمارة الأرض، وخلافة الله فيها، فمنحه من المواهب والقدرات ما يمكِّنه من أداء مهمَّته.

QaradawiBooks.com

أنت ـ أيَّها الإنسان ـ صاحب هذه المكانة العليا، أنت خليفة الله في أرضه، وسيد هذا الكون كلِّه، أنت المتصرِّف في هذا المُلك العظيم بأمر الله، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

أيليق بك ـ أيَّها الإنسان ـ أنْ تهمل مهمَّتك، وأنْ تغفل مكانتك، وأنْ تجهل رسالتك، ويصبح كلُّ همِّكَ دائرًا حول معدتك، ولا تكن غايتك محصورة إلَّا في بطنك، تأكل لتعيش، وتعيش لتأكل.

فما لهذا خُلقت، وما لهذا نزلت عليك الكتب، وبُعثت إليك الرُّسل، وإنَّما خُلقت لمهمَّة أسمى، ورسالة عُظمى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذَّاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

وفي الأثر الإلٰهي: «**يا عبادي، إنِّي لم أخلُقْكم لأستأنسَ بكم من وَحْشة، ولا لأستكثر بكم من قلَّة، ولا لأستعين بكم من وَحْدة على أمرٍ عجزت عنه، ولا لجلب مَنْفَعة، ولا لدفع مَضَرَّة، ولكنْ خلقتُكم لتعبدوني طويلًا، وتذكروني كثيرًا، وتسبِّحوني بُكرة وأصيلًا**»[1].

بهذه «الربَّانيَّة» يكون فضلك ـ أيَّها الإنسان ـ وليس فضلك في جسدك وجثتك، ولا في عنفوانك وقوتك؛ فإنَّ في البهائم ما هو أضخم منك جُثة، وفي السِّباع ما هو أشدُّ منك قوَّة!

إنَّما أنت ـ أيَّها الإنسان ـ قلب حي، ووجدان شاعر، وضمير يقِظ، ونفس مشرقة، وهيهات أن يحيى القلب، ويستيقظ الضمير وتضيء

(١) لم أقف على تخريج له، ولكن معناه صحيح.

QaradawiBooks.com

جوانب النَّفس إلَّا برحيق معرفة الله، وسلسبيل عبادته، ونور طاعته ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النُّور: ٤٠].

عبادة الله وحده: هي العهد القديم الَّذي أخذه الله على بني الإنسان، وسجَّله بقلم القدرة في فِطرهم البشريَّة، وغرسه في طبائعهم الأصيلة، منذ وضع في رؤوسهم عقولًا تعي، وفي صدورهم قلوبًا تخفق، وفي الكون حولهم آيات تهدي ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

فلا عجب أنْ يكون المقصد العظيم من بعثة النبيِّين، وإرسال المرسلين، وإنزال الكتب المقدَّسة، هو تذكير النَّاس بربِّهم، وأن يكون النداء الأول لكلِّ نبي: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وصدق الله العظيم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ولقد جاء الإسلام من أوَّل يوم يقود النَّاس إلى الله بزمام الدعوة والترغيب والترهيب، حتَّى يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

وليست العبادة في الإسلام شكلًا يتعلَّق بالمظهر، أو رسمًا يتَّصل بالجسم، ولكنها سرٌّ يتعلَّق بالقلب، وإخلاص ينبع من الروح، فإذا لم يصدُق قلب المسلم في عبادته، ولم يخلِص لله في طاعته، فسيردُّها الله عليه كما يردُّ الصيرفي النقَّاد الدراهم الزائفة ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيِّنة: ٥].

لماذا فرض الله العبادة؟

لماذا ألزم الله تعالى عباده بأوامره، وكلَّفهم بتكاليف، وفرض عليهم عبادات؟

QaradawiBooks.com

هل كان في حاجة إلى عبادتهم؟

كلا! إنَّــه خالق الخلق، ومالــك الملك، ربُّ الســماوات والأرض ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

أم هل أراد إعنات خلقه وإرهاقهم؟

كلا ثمَّ كلا! إنَّما أراد لهم الخيــر والصَّلاح، والتزكية والتطهير ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

فــرض الله عليهم الصَّلاة تنهاهــم عن الفحشــاء والمنكر، وأوجب عليهم الزَّكاة ليطهِّرهم ويزكِّيهم بها، وكتب عليهم الصيام لعلَّهم يتقون، وأمرهم بالحجِّ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله، وندبهم إلى تلاوة كتابه ليدَّبروا آياته، وليتذكَّر أولــو الألباب، وحثَّهم على الذكْر والدعاء؛ لتعلو علــى الدُّنْيا هممهم، وترتفع عن مطالب الخلق رؤوســهم ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آل عمران: ١٠١].

تلك هي الأهداف الكبيرة الَّتي شرع الله من أجلها العبادات، فإذا لم تحقِّق هذه العبادات أهدافها، فقد فقــدت رُوحها، ورُدَّت على صاحبها، «من لم تأمره صلاته بالمعروف، ولم تنهه عن المنكر لم يزدد من الله إلَّا بُعدًا»[1]. ومن لم تطهِّره زكاته فلا زكاة له، ورُبَّ صائم ليس له من صيامه إلَّا الجوع والعطش، ورُبَّ قائم ليس له من قيامه إلَّا السهر، ورُبَّ حاجٍّ ليس له من الحجِّ إلَّا اســمه، ورُبَّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه، ورُبَّ داعٍ دعاؤه مردود عليه.

(١) رواه الطبراني (١٠٣/٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥٥٨): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. عن ابن مسعود موقوفًا.

QaradawiBooks.com

العبادة شاملة:

وليست العبادة في الإسلام مقصورة على الفرائض والأذكار والأدعية؛ فإنَّ الإسلام يعتبر الأرض كلَّها مسجدًا فسيحًا للمسلم، ومحرابًا كبيرًا للمؤمن، يستطيع أنْ يتعبَّد فيه التاجر في متجره، والزارع في حقله، والموظَّف في مكتبه، والطالب في مدرسته، ما دام يُتقن عمله، ويبتغي به وجه الله، ويقصد به أنْ يكون ترسًا عاملًا في «دولاب» الإسلام المتحرِّك الكبير.

وفي هذا يقول الحديث النَّبوي: «**من طلب الدُّنْيا حلالًا وتعفُّفًا عن المسألة، وسعيًا على عياله، وتعطُّفًا على جاره، لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر**»(١).

المسلم عابدٌ قانتٌ لله، يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربِّه، لا تثبِّطه عن عبادته شدَّة، ولا يغرُّه رخاء، إنَّه ليجد في عبادته لربِّه في ساعة الشدَّة أُنسًا لقلبه، وسكينة لنفسه، وانشراحًا لصدره، كما قال الله لرسوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۝ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحِجر: ٩٧ ـ ٩٩].

وفي ساعة المنحة والنعمة يذوق في العبادة حلاوة الشُّكر للمُنعم، والحمد لذي الجلال والإكرام، وما أروع خطاب الله لنبيِّه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النَّصر].

(١) رواه ابن أبي شيبة في البيوع والأقضية (٢٢٦٢٥)، وأبو نُعيم في الحلية (١١٠/٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٨٩٠)، وضعف العراقي إسناده في تخريج الإحياء صـ٥٠٣. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

والله ما أروع بلاغة القرآن! فقد خصَّ الركوع والسجود بالذكر، وهما جزء من العبادة، كناية عن الصَّلاة وهي عمود الإسلام المتين، وعبادته اليوميَّة المُتَكَرِّرة، وإشارة إلى فضل الركوع والسجود؛ لأنَّهما مظهرا الانقياد للحقِّ، والخضوع الكامل الَّذي لا يكون إلَّا لله وحده، وفي الحديث: «**أقرب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجد**»[١].

الشُّعبة الثانية من رسالة المسلم: فعل الخير:

الشُّعبة الثانية من رسالة المسلم حدَّدها الله بقوله: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ففِعل الخير شيمة المسلم ودَيْدنه، فليس المسلم في المجتمع كلًّا ولا عاطلًا، وليس عاقًّا ولا مؤذيًا، ولكنَّه ينبوع يفيض بالخير والرحمة، ويتدفَّق بالنفع والبركة، يجد المجتمع في إسلامه سلامًا لهم من كلِّ شرٍّ، ويلمسون في إيمانه أمانًا لهم من كلِّ سوء.

الأعمال الاجتماعيَّة النافعة عبادة:

وليس هذا فحسب، ولكنَّه يفعل الخير، ويدعو إليه، ويبذل المعروف، ويدلُّ عليه، وفي الحديث الصحيح: «**من دلَّ على فعل خيرٍ فله مثلُ أجر فاعله**»[٢].

سمع قول ربِّه في الحديث القدسي: «**أنا الله خلقت الخير والشرَّ، فطوبى لمن خلقته للخير، وأجريت الخير على يديه، وويلٌ لمن خلقته للشرِّ، وأجريت الشرَّ على يديه**»[٣].

---

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٢)، وأحمد (٩٤٦١)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٩٣)، وأحمد (١٧٠٨٤)، عن أبي مسعود الأنصاري.

(٣) رواه البيهقي في الاعتقاد صـ١٤٥، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت. وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء صـ١٧١٢: أخرجه ابن شاهين في شرح السُّنة، عن أبي أمامة بإسناد ضعيف.

QaradawiBooks.com

وانتصح بحديث رسوله الكريم: «**إنَّ هذا الخير خزائن، ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لعبدٍ جعله الله تعالى مِفْتاحًا للخير، مِغْلَاقًا للشرِّ، وويلٌ لعبدٍ جعله الله مفتاحًا للشرِّ مِغْلَاقًا للخير**»[(١)].

لقد ظلم نفسه، وظلم دينه ذلك المسلم الَّذي يعيش عالة على النَّاس، وعضوًا أشلَّ في جسم الأمَّة، يأخذ من المجتمع ولا يعطيه، وينتفع منه ولا ينفعه، ويستمدُّ منه ولا يمدُّه.

وإنَّ الإسلام دين اجتماعي لا يعرف القعود، ولا يقرُّ البطالة، ولو كانت في مظهر التبتُّل والعبادة.

وعلى المسلم أنْ يبذل جهده لنفع المجتمع الَّذي يعيش فيه، وإنعاش قوته، ودفع عجلة الخير فيه إلى الأمام؛ فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: ماذا ينجي العبد من النَّار؟

قال: «**الإيمان بالله**».

قلت: يا نبيَّ الله، مع الإيمان عمل؟

قال: «**أن تَرْضخ ممَّا خوَّلك الله** ـ أي: تعطي ممَّا ملَّكك الله ـ **وترضَخ ممَّا رزقك الله**».

قلت: يا نبيَّ الله، فإن كان فقيرًا لا يجد ما يرضخ؟

قال: «**يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر**».

قلت: إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر؟

---

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٣٨)، وأبو يعلى (٧٥٢٦)، والطبراني (١٨٩/٦). وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣٤/١): في إسناده ضعف؛ لضعف عبد الرحمن. عن سهل بن سعد.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال: «**فليُعن الأخرق**». الجاهل الَّذي لا يعرف صنعته.

قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان لا يُحسن أن يصنع؟

قال: «**فليُعن مظلومًا**».

قلت: يا نبيَّ الله، أرأيت إن كان ضعيفًا لا يستطيع أنْ يُعين مظلومًا؟

قال: «**ما تريد أنْ تترك لصاحبك من خير؟ ليمسك أذاه عن النَّاس**».

قلت: يا رسول الله، أرأيت إن فعل ذلك يدخل الجنَّة؟

قال: «**ما من مؤمنٍ يطلب خَصْلة من هذه الخصال إلَّا أخذتْ بيده حتَّى تُدْخِلَه الجنَّة**»(١).

بمثل هذه الرُّوح يستحثُّ النَّبي ﷺ كلَّ مسلم مهما كان محدود الاستطاعة أن يدفع الضريبة الاجتماعيَّة، ويُؤَدِّي زكاة ماله وعلمه وقُوَّته، فيعطي الفقير، أو يرشد الضالَّ، أو يُعَلِّم الأخرق، أو يأخذ بيد المظلوم، ولم يجعل الإسلام هذه الضريبة ماليَّة، فينفرد بها الأغنياء، ولا بدنيَّة فيختصُّ بها الأقوياء، ولا علميَّة فيتميَّز بها المُتَعَلِّمون، ولكنَّه جعلها ضريبة اجتماعيَّة عامَّة، يُؤَدِّيها كلُّ امرئٍ على قدر طاقته، ويشترك فيها الفقير والجاهل والضعيف.

وأعجب من هذا وأروع أنَّ الإسلام لم يفرض على كلِّ فردٍ ضريبة فحَسْب، بل فرض على كلِّ مِفْصَل من مفاصل بدنه؛ روى الشَّيخان، عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**كلُّ سُلامى من النَّاس عليه صدقة كلَّ يومٍ تَطْلُع فيه الشمس، يعدل بين الاثنين صدقة، ويُعين الرَّجل**

(١) رواه الطبراني (١٥٦/٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٠٥٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٧٤٤): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات. عن أبي ذر.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

في دابته فيحملـــه عليها أو يرفع له عليها متاعه صدقـــة، والكلمة الطيِّبة صدقة»[١]، وإســـماع الأصمِّ، وهداية الأعمـــى، ودلالة المُسْـــتَدِلِّ على حاجته، والسعي بشدَّة الساقين مع اللهفان المُسْـــتَغِيث، والحمل بشدَّة الذراعين مع الضعيف، صدقة كريمة، وحَسنة عظيمة.

لقد أعلى الإسلام من شـــأن الخدمات الاجتماعيَّة الَّتي يحسبها النَّاس تافهة، وهي عنـــد الله كبيرة، ويخالونها هيِّنـــة، وما أثقلها في ميزان الخير!

جاء رجل إلى النَّبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي النَّاس أحبُّ إلى الله؟

فقال: «**أحبُّ النَّاس إلى الله أنفعهم للنَّـــاس، وأحبُّ الأعمالِ إلى الله تعالى سرورٌ تُدْخِلُه على مسلم، تكشف عنه كُربة، أو تقضي عنه دَيْنًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأنْ أمشـــيَ مع أخٍ في حاجة أحبُّ إليَّ من أنْ أعتكف في هذا المسجد** ـ يعني: مسجد المدينة ـ **شهرًا، ومن كظم غَيْظَه ولو شاء أنْ يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا، ومن مشـــى مع أخيه في حاجة حتَّى يقضيها له ثبَّت الله قدميه يوم تزول الأقدام**»[٢].

الله أكبر، ما أعجب هذا الدين العظيم، خطوات في قضاء حاجة مسلم أحبُّ إلى رسول الله من عبادة عظيمة «هي الاعتكاف» في بيت من بيوت الله تقربًا إليه لا يومًا، ولا أسبوعًا، ولكن شهرًا، وفي أي البيوت؟!

هو مسجده ﷺ أحد مساجد ثلاثة لا تشدُّ الرِّحال إلَّا إليها، المسجد

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسِّيَر (٢٩٨٩)، ومسلم في الزَّكاة (١٠٠٩).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٤٥٣/١٢)، والأوســـط (٦٠٢٦)، والصغير (٨٦١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٧٠٨): رواه الطبراني في الثلاثة، وفيه سُـــكَيْن بن ســـراج، وهو ضعيف. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٦)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

الَّذي قال فيه: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلَّا المسجد الحرام**»(١).

أي مسلم ذي قلب يستمع إلى هذه المرغِّبات المغرية بما عند الله، ولا يقف جهوده على الخدمة العامَّة، فيبذل من نفسه وماله وراحته في سبيل قضاء الحاجات، وتفريج الكُربات؛ ليَدَّخِرَها الله له في الآخرة، «**ومن نفَّس عن مسلم كُربة من كُرب الدُّنْيا نفَّس الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة، ومن يسَّر على مُعسر يسَّر الله عليه في الدُّنْيا والآخرة، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدُّنْيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»(٢).

أي مسلم ذي قلب يسمع هذه المغريات، ولا يعيش في أمَّته «مرهمًا» يأسو الجراح، وبلسمًا يشفي السقام، يُطعم الجائع، ويروي الظمآن، ويكسو العريان، ويعود المريض، وهو يسمع مثل هذا الحوار البديع العميق بين الله وعباده في مشهد رائع غريب من مشاهد القيامة، عرضه علينا المربِّي الأعظم ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ قال: «**إنَّ الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابنَ آدم، مَرِضْتُ فلم تَعُدْني!**

قال: يا ربِّ، كيف أعودُك وأنت ربُّ العالَمين؟

قال: أمَا علمت أنَّ عبدي فلانًا مَرِضَ فلم تَعُدْه؟ أمَا علمتَ أنَّك لو عُدته لوجدتَني عنده.

يا ابنَ آدم، استطعمتُكَ فلم تُطْعِمْني.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في فضل الصَّلاة في مكَّة والمدينة (١١٩٠)، ومسلم في الحجِّ (١٣٩٤)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الذِّكْر والدُّعاء (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٤٢٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

قال: يا ربِّ، كيف أُطْعِمُكَ وأنت ربُّ العالَمِين؟

قال: اســتطعمَكَ عبدي فلانٌ فلم تُطْعِمْه، أمَا علمتَ أنَّك لو أطعمْتَه لوجدتَ ذلك عندي؟!

يا ابنَ آدم، استسقيتُكَ فلم تَسْقِني.

قال: يا ربِّ، كيف أسقيكَ وأنت ربُّ العالمين؟

قال: استسقاك عبدي فلم تَسْقِه، أَمَا إنَّك لو سقيتَه لوجدتَ ذلك عندي»[1].

الخير لكلِّ النَّاس:

وإنَّ من روائع إعجاز القرآن في الآية الَّتي معنــا أنَّه لم يقل: افعلوا الخير بالأقارب، أو بالمســلمين، أو بالعرب، أو الشــرقيِّين، ولكنَّه أمر بفعل الخير أمرًا مطلقًا، غير مُقَيَّدٍ بقيدٍ خاصٍّ، ولا محدودٍ بدائرة مُعَيَّنة، ليغمر المسلم بالخير كلَّ طائفة، ويعمَّ بالخير كلَّ جنس، ويشملَ بالخير كلَّ دين، وأيُّ حُجَّةٍ أوضح وأبلغ من كتاب الله وهو يقول: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

ولأهل الكتاب وصيَّة خاصَّة:

وإذا كانت هذه الآية قد نزلت في شــأن المشركين، فما بالك بأهل الكتاب؟ وقد أباح الإســلام مصاهرتهــم، ومؤاكلتهم ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة: ٥].

(١) رواه مسلم في البرِّ والصِّلة (٢٥٦٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وما بالك بالمَسيحيِّين منهم، وهم أقرب مودَّة للذين آمنوا بنصِّ القرآن؟ وما بالُك بأقباط مصر خاصَّة؛ وقد أوصانا رسول الله بهم خيرًا فقال: «**اللهَ اللهَ في قِبْط مصر؛ فإنَّكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عُدَّة وأعوانًا في سبيل الله**»[١]؟!

وللحيوان نصيب:

وليس هذا في حاجة إلى بيان؛ فقد وسَّع الإسلام آفاق الخير للمسلم حتَّى شملت كلَّ كائنٍ حيٍّ في الوجود؛ فالجنَّة تفتح أبوابها لرجل سقى كلبًا، فشكر الله له، فغفر له، حتَّى عجِب الصحابة وقالوا: أئنَّ لنا في البهائم لأجرًا يا رسول الله؟

قال: «**في كلِّ كبدٍ رطْبة أجر**»[٢].

والنَّار تفتح مصاريعها لامرأةٍ حبست هرَّة، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خَشاش الأرض[٣].

ومن عجائب تعاليم الإسلام أنَّ الله يثيب المسلم على كلِّ عمل ينتفع به ذو رُوح إنسانًا أو حيوانًا، أو طائرًا، وإن لم يكن قاصدًا لكلِّ جزئيَّة من جزئيَّات هذا النفع مع تشديده في اشتراط النيَّة في كلِّ عمل.

ففي الحديث الصحيح: «**ما من مُسْلِمٍ يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ، إلَّا كان له به صدقة**»[٤].

---

(١) رواه الطبراني (٢٦٥/٢٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٦٧٨): رجاله رجال الصحيح. عن أم سلمة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٦٦)، ومسلم في السَّلام (٢٢٤٤)، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٨٢)، ومسلم في السَّلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٠)، ومسلم في المساقاة (١٥٥٣)، عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

المسلم بارٌّ بوالديه، واصلٌ رحِمه، محسن بجاره، عطوف على الفقراء والمساكين، رحيم باليتيم وابن السبيل، رفيق بالطير والحيوان، استقرَّ في شغاف قلبه نداء الحقِّ ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

الشُّعبة الثالثة: الجهاد في سبيل الله:

الشُّعبة الثالثة من مهمَّتك ـ أيَّها المسلم ـ هي الجهاد في الله حقُّ الجهاد!

فإنَّك ـ يا ابن الإسلام ـ صاحب دعوة: هي دعوة القرآن، وجندي فكرة: هي فكرة الإسلام، وحامل رسالة: هي رسالة محمَّد ﷺ.

تلك الرسالة الَّتي جاءت لهداية العرب والعجم، وإنقاذ الغني والفقير، وتهذيب الرَّجل والمرأة، وإصلاح الفرد والمجتمع، وإرشاد الحاكم والمحكوم.

تلك الرسالة الَّتي جاءت لتطرد الخرافة في العقول، والضعف في النُّفوس، والسلبية في الأخلاق، والانحراف في السلوك، والبغي في الجماعات، والطغيان في الحكومات، جاءت لتربط بين الخلق وخالقهم برباط الإيمان بالله، وتربط بين الإنسان والإنسان برباط الإخاء والحبِّ في الله.

تلك الرسالة الَّتي تقول للضعفاء: شدُّوا سواعدكم، وتصيح في الأذلاء: ارفعوا رؤوسكم، وتصرخ في النائمين: هبُّوا من سُباتكم، وتنادي المُسْتَعْبَدين أن حطِّموا قيودكم، وتدعو المُتَجَبِّرين أنِ انزلوا من عروشكم، وتخلَّصوا من كبريائكم.

QaradawiBooks.com

تقول للأغنيـــاء: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النُّـور: ٣٣] من أموالكم.

وتقول للمتفاخرين: «**من بطَّأ به عمله لم يُسرع به نسَبه**»(١).

وتقول للحُكَّام: «إنَّما أنتم أجراء الشَّعب، وأُمناء الحقِّ».

وتقول للنَّـاس جميعًا: النَّاس سواسـية كأسـنان المشـط الواحد، «**لا فضلَ لعربيٍّ على أعجميٍّ ولا لأبيضَ على أسودَ إلَّا بالتقوى**»(٢).

لا بدَّ للرسالة الحقَّة من خصوم:

مثل هذه الرسـالة الثوريَّة الشـاملة: لا بدَّ أن يكون لها خصوم معانِدون، وأعداء مكابِرون، يدافعون عن مصالحهم، وينافحون عن نفوذهم، ويحاربون عن باطلهم، فلا بدَّ مـن احتكاك، ولا مفرَّ من صدام.

فعلى المسـلم: أن يُعدَّ العُدَّة، ويأخذ الحذر، ويشـهر سيف الحقِّ، ويحمل مِعول التطهير؛ ليهدم صـروح الباطل، ويثلَّ عروش الجبروت، ويطمس معالـم الطغيـان، ويوطِّد دعائـم الحرية للعقائـد كلِّها؛ حتَّى لا تكون فتنة ويكون الدين كلُّه لله.

لهذا كتب الله القتال على المسلمين كما كتب عليهم الصيام، وأمرهم بالجهاد كما أمرهم بتقواه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

---

(١) سبق تخريجه صـ ٣٦، وفيه: «**والله في عون العبد...**».

(٢) رواه أحمـد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرِّجوه: إسـناده صحيح. وقال الهيثمي فـي مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عمن سمع خطبة النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

ونادى المتثاقلين عن الجهاد نداء صارخًا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التَّوبة: ٣٨].

ثمَّ حذَّرهم عاقبة التخاذل والقعود: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [التَّوبة: ٣٩]، ثمَّ دعا الجميع دعوة شاملة، وعبَّأهم تعبئة عامَّة فقال: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [التَّوبة: ٤١].

الغاية من الجهاد:

ليس جهاد المسلم لدُنيا يُصيبها، أو أرضٍ يستعمرها، أو سوقٍ يفتحها لسلعة، أو منطقةٍ ينشر فيها نفوذه، أو لعصبيَّة ينصرها، أو لشُهرة ينشدها، ولكن جهاده كما أمره القرآن «في الله» في ذاته، وفي سبيله وابتغاء مرضاته، وإعلاء كلمته.

جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله، الرَّجل يُقاتِلُ للذِّكْر، والرَّجل يُقاتِل للمَغْنَم، والرَّجل يُقَاتل ليُرى مكانه، فأيُّهم في سبيل الله؟

فقال: «**من قاتل لتكون كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[1].

غايات مرفوضة:

إنَّه ليس غاصبًا ولا مستعمرًا، ولكنَّه حامل شعلة النُّور إلى الإنسانيَّة، اختاره الله ليكون داعي حقّه، وهادي خلقه، وصدق الله ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ [الحج: ٧٨].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٢٨١٠)، ومسلم (١٩٠٤)، كلاهما في الجهاد، عن أبي موسى.

QaradawiBooks.com

جعل الله الجهاد من رسالة المسلم، ولم يرض منه ببعض الجهاد، أو بقليل من الجهاد، ولكنَّه أمره بالجهاد حقّ الجهاد ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨]. ليشمل كلَّ ألوان الجهاد المستطاع: جهاد القلم واللسان، جهاد الحُجَّة والبرهان، جهاد السَّيف والسِّنان، جهاد النَّفس والمال.

يبذل المسلم ما في طاقته، ويُفرغ ما في جُعبته، فإنْ عاش عاش كريمًا حميدًا، وإن مات مات شهيدًا ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۞ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ۞ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾ [محمَّد: ٤ ـ ٦].

ذلكم هو شأن المسلم مع أعداء الله وخصوم الحقِّ، منطقه معهم هو الجهاد، والجهاد وحده، ليس منطق المداهنة والمهادنة، ولا منطق المحادثة والمفاوضة، وإنَّما هو منطقٌ يردُّ على المعتدين بالكتيبة لا بالكتاب، وبالسَّيْف لا بالقلم، وبالدماء لا بالمِدَاد، وبضربات الخناجر لا بصيحات الحناجر.

السيفُ أصدقُ إنباءً من الكُتُبِ في حَدِّه الحَدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ(١)

على هذا الضوء فافقه رسالتك ـ أيَّها المسلم ـ وفي نور هاتين الآيتين حدِّد علاقتك بالله والنَّاس.

علاقتك بالله الركوع والسجود والعبادة: ﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾.

علاقتك بالمجتمع فعل الخير: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

علاقتك بأعداء الله الجهاد وحقّ الجهاد: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾.

(١) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٣٩٥/١٦)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

وبهذا الميزان الدقيق زِن إسلام المسلمين، وإيمان المؤمنين، فشأن المسلم أن يكون له في كلِّ مَيْدَان عملًا، وفي كلِّ مجال إنتاجًا، وفي كلِّ ناحية نشاطًا.

هو في المَيْدَان الرُّوحي: خاشعٌ عابدٌ راكعٌ ساجد.

وفي المَيْدَان الاجتماعي: مُنْتِجٌ نافعٌ بارٌّ خيِّر.

وفي المَيْدَان العسكري: بطلٌ مُجَاهِدٌ وجنديٌّ مُنَاضِلٌ.

وفي كلِّ مَيْدَان رافع الراية، وحامل اللواء.

ليس من الإسلام:

فإذا رأيت جماعة كلَّ همِّهم: الركوع والسجود، والتسبيح والتحميد، ولكنَّهم يغفلون فريضة الجهاد، ويهملون قضيَّة الإسلام، فقل لهم: من لم يهتم بأمر المسلمين، فليس منهم.

وإذا رأيت جماعةً يَقْنَعون من الإسلام بأداء بعض الخدمات، وفعل الخيرات، ويُهْملون عبادة الله فقلْ لهم: لستُم بالمسلمين الصادقين.

وإذا رأيتَ جماعةً يقولون: الوطنيَّة الوطنيَّة، الجهاد الجهاد، ولكنَّهم لا يعرفهم المحراب عابدين، ولا يعرفهم الله خاشعين، فقل لهم: لستُم بالمسلمين الصادقين.

ورضي الله عن أصحاب رسول الله ومن تبعهم بإحسانٍ، فقد فقهوا رسالتهم حقَّ الفقه، وآمنوا بها كلَّ الإيمان، ووهبوا لها كلَّ ما يملكون من نفسٍ وجهدٍ ومال.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كانوا في المحاريب والمساجد باكين خاشعين، ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذَّاريات: ١٧، ١٨]، ﴿أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

وترى علائم الجدِّ والحزن على وجوههم؛ ممَّا استقرَّ في قلوبهم من خوف الله، ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

أمَّا في المجتمع، فكانوا أسخياءَ رحماء، مُحْسِنين كرماء، يُحسنون إلى الجار، ويُطعمون المسكين، ويُكرمون اليتيم، ويَقْرُون الضيف، بل كانوا يُطعمون مَن حرمهم، ويَصِلون مَن قطعهم، ويبذلون لمن منعهم، ويُحسنون إلى مَن أساء إليهم، ويجودون بالشيء، وهم أشدُّ حاجة إليه، حتَّى نزلت آيات الكتاب العزيز تُسَجِّل لهم هذه المآثر العظيمة ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٠]، ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وكانوا في الميادين أبطالًا مغاوير، يهجم أحدهم على صفوف العدوِّ وهو يقول: «إنِّي أشمُّ ريح الجنَّة»[(١)]، ويُطعن بالرمح في صدره فينفذ من ظهره فيقول: «فُزت وربِّ الكعبة»[(٢)]، ويسعى إلى لقاء

(١) القائل هو: أنس بن النضر في أُحد حين لقيه سعد بن الربيع فقال: «يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر إنِّي أجد ريحها من دون أحد». متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسِّيَر (٢٨٠٥)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٣)، عن أنس.

(٢) قاله حرام خال أنس، حين بعثه النبي ﷺ إلى بني عامر في سبعين، فعرضوا لهم، فقتلوهم قبل أنْ يبلغوا المكان. متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٠١)، ومسلم في الإمارة (٧٦٦).

QaradawiBooks.com

الموت ركضًا، ويتلقَّى الضربات مبتسمًا وهو يرتِّل: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤].

هكذا كان رجال الإسلام الأوَّلون، كانوا كما وصفهم الخصوم والأنصار: رهبان الليل وفرسان النَّهار، بل كما وصفهم الله ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

مثال للمؤمن الجامع لكلِّ هذه الصفات:

تلك هي أوصافهم: شدَّة صارمة على أهل الكفر والعدوان، ورحمة رحيمة بأهل الإيمان، وركوع وسجود يبتغي بهما فضل الله ورضوانه، ونمو ونضج يُعجب المؤمنين ويغيظ الكافرين.

ويتمثَّل أمام عيني في هذا المقام «جعفر بن أبي طالب» مثل المؤمن الشديد الرحيم، العابد المحسن المجاهد، فقد فرَّ بدينه إلى الحبشة، فكان أمير المهاجرين بها، وحادَث النجاشي فكان نِعم السفير اللَّبِق، وقرأ عليه القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فكان نِعم الداعية المخلص الفقيه.

وكان في المسلمين جوادًا كريمًا ممدَّحًا، وكان لكرمه يقال له: «أبو المساكين» لإحسانه إليهم.

فلما كان يوم مؤتة وثلاثة آلاف من المسلمين يحاربون مائتي ألف من الروم، ونصارى العرب، في غير أرضهم، واستشهد

QaradawiBooks.com

زيد بن حارثة، فتولَّى القيادة جعفر، وقاتل قتال الأبطال، وثبت ثبات الجبال.

غير مرخصة للطباعة

قال أحد شهود المعركة: والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء، ثمَّ عقرها، ثمَّ قاتل القوم حتَّى قُتل وهو يقول:

يا حَبَّذَا الجنَّة واقترابها طيِّبة وبارد شرابُها
والرّوم روم قد دنا عذابُها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها
عليَّ إنْ لَقِيتُها ضِرَابها[1]

روى المؤرِّخون وأصحاب السِّير: أنَّ جعفر أخذ اللواء بيمينه فقُطعت، فأخذه بشماله فقُطعت، فاحتضنه بعضديه حتَّى قُتل، فأثابه الله بدل يديه جناحين يطير بهما في الجنَّة حيث يشاء قال ﷺ: «**رأيتُ جعفرَ بن أبي طالب يطير في الجنَّة ذا جناحَيْنِ يطير بهما حيث يشاء مُضَرَّجة قوادمُه**[2] **بالدماء**»[3] ومن أجل ذلك سُمِّيَ: جعفر الطيَّار.

ولما قُتل وجدوا في جسده بضعًا وتسعين ما بين ضربةٍ وطعنةٍ ورمية، ليس شيء منها في دُبره رضي الله عنه[4].

---

(١) سيرة ابن هشام (٣٧٨/٢)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م. ودلائل النُّبوة للبيهقي (٣٦٣/٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

(٢) قوادم الطير: مقاديم ريشه، وهي عشر في كل جناح، والواحدة منها تسمى: قادمة. انظر: مختار الصحاح مادة (ق. د. م).

(٣) رواه الطبراني (١٠٧/٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٤٩٦): رواه الطبراني بإسنادين، وأحدهما حسن. عن ابن عباس.

(٤) رواه البخاري في المغازي (٤٢٦١)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

أيُّها المسلمون، بهذه البطولات الفذة نقتدي، وبهذه الأضواء المؤمنة نهتدي، وفي هذه السبيل المُنِيرة يجب أن نسير.

أمَّا هذه الغفلة عن رسالتنا السامية، وتاريخنا المجيد، وواجبنا العظيم، أمَّا أنْ يظلَّ الحال كما نرى:

مسلمون وهم لا يركعون ولا يسجدون.

مسلمون وهم عن فعل الخير مُعرضون.

مسلمون وهم عن الجهاد قاعدون متخلِّفون.

فهذا ما لا يرضاه الله ورسوله والمؤمنون.

فإلى الله إلى الله أيَّها الغافلون، وإلى عمل الخير وخير العمل أيَّها الأنانيون، وإلى الجهاد أيَّها القاعدون، وإلى الإسلام الحقيقي أيَّها المسلمون ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [التَّوبة: ١٠٥].

* * *

غير مرخصة للبيع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢

حاجاتنا إلى رجال

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

أمنية عُمَرِيَّة:

جلس عمر رضي الله عنه مع جماعة من أصحابه في إحدى دور المدينة فقال لهم: تَمَنَّوا. فقال بعضهم: أتمنَّى أنْ تمتلئ هذه الدار فضَّة أنفقها في سبيل الله.

وقال آخر: أتمنَّى أنْ تمتلئ هذه الدار ذهبًا أنفقه في سبيل الله.

وقال آخر: أتمنَّى سيوفًا ورماحًا أمدُّ بها المجاهدين.

وقال عمر الخبير بما تحتاجه الدعوات والنهضات: أمَّا أنا، فإنِّي أتمنَّى أنْ تمتلئ هذه الدار رجالًا مثل: أبي عُبَيْدة بن الجرَّاح، وسالم مولى أبي حُذَيْفة، ومعاذ بن جبل، فأستعملهم في طاعة الله[1].

وإذا كان لنا نحن أن نتمنَّى شيئًا، فإنَّنا نتمنَّى لهذا الشرق المُضَيَّع رجالًا من هؤلاء.

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١٢٨٠)، والحاكم في معرفة الصحابة (٢٢٥/٣، ٢٢٦)، وسكت عنه، وصحَّحه الذهبي على شرط الشيخين.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

مِنَ الرِّجالِ المصابيح الَّذين همو كأنَّهم من نجوم حيَّة صُنعوا
أخلاقهم نورُهم، من أيِّ ناحيةٍ أقبلتَ تنظرُ في أخلاقِهم سَطَعُوا[1]

مُقَوِّمات القوَّة في الأمَّة الإسلاميَّة:

نحن أبناء الشرق الإسلامي نعيش في بقعة لعلَّها أخصب بلاد الله أرضًا، وأعدلها جوًّا، وأطيبها هواء، وأصفاها شمسًا، وأعظمها موقعًا، وأكثرها امتلاء بالمعادن المذخورة، والثروات المنثورة[2]، ولو أنَّ الله جمع النَّاس في صعيد واحد، وخيَّرهم بين الأقطار والبلاد ما اخترنا أفضل من الموقع الَّذي نعيش فيه، ولكن الَّذي ينقصنا شيء آخر غير معادن الحديد والنحاس، والغاز والبترول، إنَّه معدن غال نفيس هو: معدن الرِّجال!

الرَّجل الحقيقي أساس كلِّ إصلاح:

الرَّجل هو إكسير الحياة، ومحور الإصلاح، وعماد النهضات، ورُوح الدعوات، أعِدْ ما شئتَ من معامل للذَّخِيرة والسِّلاح، فلن تقتل الأسلحةُ إلَّا بالرَّجل المحارب!

وضع ما شئت من القوانين واللوائح فستظلُّ حبرًا على ورق ما لم تجد الرَّجل الَّذي ينفِّذها!

وضع ما شئت من برامج للتربية والتعليم، فلن يغني البرنامج إلَّا بالرَّجل الَّذي يقوم بتدريسه!

---

(١) بيت من قصيدة طويلة لمصطفى صادق الرافعي في رثاء أحمد تيمور باشا، انظر: الحديقة (٧٧/١٠)، جمع وطباعة محب الدين الخطيب، نشر المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٠هـ.

(٢) انظر كتابنا: الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم صـ٣٥ وما بعدها، تحت عنوان: مقوِّمات القوة في الأمَّة، نشر مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

وأنشئ ما شئت من لجان، فلن تنجز مشروعًا إذا حُرِمت الرَّجل الغيور!

ذلك ما يقول الواقع الَّذي لا ريب فيه.

إنَّ القوَّة ليست في حدِّ السِّلاح بقدر ما هي في قلب الجندي، والتربية ليست في صفحات الكتاب بقدر ما هي في رُوح المعلِّم، والعدل ليس في نصِّ القانون بقدر ما هو في ضمير القاضي، والسُّرعة ليست في تكوين اللجان بقدر ما هي في حماسة أصحابها.

أقدار الرجال:

إنَّ رجلًا واحدًا قد يساوي مائة، ورجلًا قد يوازي ألفًا، ورجلًا قد يزن شعبًا.

وقد قيل: «رجل ذو همَّة يحيي أمَّة»، بل قال قائل:

لَيْس على اللهِ بمُسْتَنْكَرٍ أن يجمع العالَمَ في وَاحِدِ[1]

روى التاريخ أنَّ عمرو بن العاص جاء يفتح مصر، ويطرد الإمبراطورية الرومانية من هذا البلد العريق بجيش صغير؛ يتكون من أربعة آلاف جندي، ثمَّ بعث إلى عمر يطلب منه مددًا، فأرسل إليه عمر بأربعة آلاف رجل، على رأسهم أربعة رجال.

عد عمر كلَّ واحد منهم بألف، وحينئذ فلن يُغلب اثنا عشر ألفًا من قِلة[2].

ولكن ما هو الرَّجل؟

هل هو الذكر البالغ من بني الإنسان؟

إذن فما أكثر الرِّجال!

(١) هو أبو نواس، انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (٨١٣/٢)، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

(٢) انظر: فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم صـ٨٣، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ.

QaradawiBooks.com

الرُّجولة ليست بالسنِّ:

إنَّ الرُّجولة ليست بالسـنِّ المتقدِّمة؛ فكم من شيخ في سن السبعين وقلبه في سن السـابعة، يفرح بالتافه، ويبكي على الحقير، ويتطلَّع إلى ما ليس له، ويقبض على ما في يده؛ حتَّى لا يشركه فيه غيره، فهو طفل صغير، ولكنَّه ذو لحية وشارب.

وكم من غلام في مُقتبل الصبا، ولكنك تـرى الرُّجولة المبكرة في قوله وعمله، وخُلقه وتفكيره.

مرَّ أمير المؤمنين «عمر» رضي الله عنه في طريق، وثُلَّـة من الصبيان يلعبون فهرولوا هاربين إلَّا «عبد الله بن الزُّبَير»، فثبت فـي مكانه دون إخوانه، فقال له عمر: لماذا وقفت يا غلام، ولم تَعْدُ مع أصحابك؟

فقـال: يا أمير المؤمنين، لـم أقترف ذنبًا، فأخـاف منك، ولم تكن الطريق ضيقة، فأوسعها لك.

فأعجب به عمر، وأثنى عليه[١].

وجاء وفد إلى أحد الخلفاء، فقدَّموا فتى يافعًا يتكلَّم بلسانهم.

فقال الخليفة: ليتقدَّم من هو أسنُّ منك.

فقال: يا أمير المؤمنين، لو كان الأمر بالسـنِّ لكان في الأمَّة من هو أولى منك بالخلافة، ولكن إذا آتى الله المرء لسـانًا لافظًا، وقلبًا حافظًا، فقد استحقَّ التقدُّم والكلام[٢].

أولئك ـ لعمْري ـ هم الصغار الكبار، أمَّا اليوم فما أكثر الكبار الصغار!

---

(١) انظر: تنبيه النائم الغمر على مواسـم العمر لابن الجـوزي صـ٤١، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، نشر دار البشائر الإسلامية.

(٢) رواه ابن عسـاكر في تاريخ دمشـق (١٦٥/٦٨)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

الرُّجولة ليست بالجسم:

وليست الرُّجولة بضخامة الجسم؛ فالمرء بأصغريه: قلبه ولسانه، لا بضخامة جثمانه، وماذا تنتفع الأمم بأجسام البغال وأحلام العصافير؟

وما أحكم المثل العربي الَّذي يقول: «ترى الفتيان كالنَّخل، وما يدرك ما الدخل»[(١)].

وقد حدَّثنا القرآن عن جماعة من المنافقين فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، ومع هذا يقول عنهم: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤].

وفي الحديث الشريف: «**يأتي الرَّجل العظيم السَّمين عند الله يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرؤوا إن شئتم قول الله تعالى:** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»[(٢)].

كان عبد الله بن مسعود قصير القامة، نحيف الجسد، فرأى بعض الصَّحابة يومًا ساقيه وهما دقيقتان هزيلتان، فضحكوا منها، فقال النَّبي ﷺ: «**مما تضحكون؟**»

قالوا: من دقَّة ساقيه.

فقال ﷺ: «**والَّذِي نَفْسي بيده لهما أثقلُ في الميزان من أُحد**»[(٣)].

---

(١) انظر: الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلَّام صـ١٣٠، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، نشر دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري (٢٦/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٢٩)، ومسلم في صفة القيامة (٢٧٨٥)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٣٩٩١)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والطبراني (٨٤٥٢)، والبزار (٣٣٠٥)، وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٠٦٩)، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٤١٦)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

ليست الرُّجولة بالمظهر:

وليست الرُّجولة بالفخامة والمظهر، فـ «**إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم**»(١)، «**ورُبَّ أشعثَ مدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه**»(٢).

والمرء بآدابه لا بثيابه، والسيف بجوهره لا بجرابه، ورحم الله القائل:

عليَّ ثيابٌ لو يُنَادى لبَيْعِها ... بفَلْسٍ لكان الفَلْسُ منهنَّ أَكْثَرَا
وفيهنَّ نَفْسٌ لو تُقاس بمثلها ... نفوس الورى كانت أعزَّ وأَكْبَرا(٣)

وليست الرُّجولة بالمال:

وليست الرُّجولة بالغنى والمال؛ فرُبَّ غنِيٍّ فقير، ورُبَّ فقير غني، «**وليس الغنى عن كثرة العَرَض، إنَّما الغِنَى غنى النَّفس**»(٤).

إنَّ الغَنِيَّ هو الغنيُّ بنَفْسِه ... ولَوَ انَّه عاري المناكبِ حَافِ
ما كلُّ ما فوق البسيطةِ كافيًا ... وإذا قَنِعْتَ فبعضُ شيءٍ كَافِ(٥)

ليست الرُّجولة بالمنصب والجاه:

وليست الرُّجولة بالجاه والمنصب؛ فكم من أُناسٍ يتولَّوْن مناصب كبرى، ويديرون أعمالًا، ويرأسون مصانع، ويتقلَّدون وزارات، ولكن

(١) رواه مسلم في البرِّ والصِّلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٨٢٧)، عن أبي هريرة.
(٢) رواه مسلم في البرِّ والصِّلة (٢٦٢٢)، عن أبي هريرة.
(٣) يُنسَب إلى الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ. انظر: الدر الفريد (٢٥٧/٧)، تحقيق كامل سلمان الجبوري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.
(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٤٦)، ومسلم في الزَّكاة (١٠٥١)، عن أبي هريرة.
(٥) من شعر أبي فراس الحمداني. انظر: الحماسة المغربية (١٢٥٤/٢)، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

ذلك لم يمنع أحدهم أن يحني هامَته في سبيل درجة يرتقيها، أو يُضَحِّي بكرامة في سبيل زُلفى إلى رئيس.

كبُرت مناصبهم وصغُرت نفوسهم، وعلت منازلهم، وانحطَّت هممهم.

الرُّجولة الحقيقيَّة:

ليست الرُّجولة بالسنِّ، وليست الرُّجولة بالجسم، وليست الرُّجولة بالمظهر، وليست الرُّجولة بالمال، وليست الرُّجولة بالمنصب، وليس يقاس الرَّجل بواحد من هذه المقاييس العرجاء، وإنَّما الرُّجولة الحقَّة: قوَّة نفسية تحمل صاحبها على معالي الأمور، وترفعه عن سفاسفها، قوَّة تجعله كبيرًا في صغره، قويًّا في ضعفه، غنيًّا في فقره.

قوَّة تحمله على أن يعرف حقَّه فيطلبه عزيزًا كريمًا، ويعرف واجبه فيُؤدِّيه مخلصًا أمينًا، واجبه نحو نفسه، واجبه نحو ربِّه، واجبه نحو بيته، واجبه نحو مجتمعه، واجبه نحو دينه، واجبه نحو أمَّته.

يعينه على أداء هذه الواجبات إدراك دقيق، وشعور رقيق، وإيمان عميق، وضمير يقظ، وخُلق متين.

والرُّجولة في الإسلام ربيبة الإيمان بالله، وقرينة الطاعة لله؛ فالإيمان وحده هو الَّذي يصنع معاني الرُّجولة، ويربِّي أخلاق البطولة، ويطبع النَّفس على معالي الأمور، ويبعدها عن سفاسفها.

أين تنشأ الرُّجولة؟

وفي ظلال عبادة الله، وبين جدران المساجد الخاشعة يتربَّى الرِّجال المؤمنون الصادقون، وقد وصف الله روَّاد المساجد فقال:

غير مرخصة للطباعة
نسخة دعوية
QaradawiBooks.com

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النُّور: ٣٦، ٣٧].

وقال: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التَّوبة: ١٠٨].

الرُّجولة لا تعني العِصمة:

ولن تجد الرُّجولة في أجلى صورها، وأكمل معانيها كما تجدها في تلك النماذج الرائعة الَّتي صنعها الإسلام، وربَّاها سيد الرُّسل ﷺ.

لا نزعم أنَّهم كانوا ملائكة مقرَّبين لا يعصون، ولا يخطئون، ولكنَّهم كانوا إذا مسَّهم طائف من الشيطان ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، فإذا تورَّطوا في فاحشة أو ظلموا أنفسهم ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وكثيرًا ما جاؤوا مسرعين إلى رسول الله ﷺ يعترفون بالخطايا، ويلتمسون التطهير، ويطالبون أن يُقام عليهم حدُّ الله[1].

وكانوا إذا فاتتهم غزوة من الغزوات ظلُّوا متشوقين إلى أختها؛ حتَّى يدفعوا ضريبة الإيمان، ويأخذوا من الجهاد بأكبر نصيب.

روى البخاري عن أنسٍ رضي الله عنه قال: غاب عمِّي أنسُ بن النَّضْر عن قتال بدرٍ، فقال: يا رسولَ الله، غبتُ عن أوَّل قتال قاتلتَ المشركين، لئن اللهُ أشهدني في قتال المشركين ليَرَيَنَّ الله ما أصنع.

(١) ولعلَّ أروع مثال لذلك قصة ماعز والغامدية، التي رواها مسلم في الحدود (١٦٩٥)، عن بريدة بن الحصيب.

QaradawiBooks.com

فلمَّا كان يوم أُحد وانكشف المسلمون، فقال لهم: اللهمَّ إنِّي أعتذر إليك ممَّا صنع هؤلاء ـ يعني: الصَّحابة ـ وأبرأ إليك ممَّا صنع هؤلاء ـ يعني: المشركين ـ ثمَّ تقدَّم فاستقبله سعدُ بن معاذ رضي الله عنه فقال: يا سعد بن معاذ، الجنَّة وربِّ النَّضْر، إنِّي لأجدُ ريحَها من دون أُحد.

قال سعد: فما استطعتُ يا رسولَ الله، ما صنع.

قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتل، وقد مُثِّل به، فما عرفه أحد إلَّا أخته ببَنَانه.

فقال أنس: كنَّا نرى أو نظنُّ أنَّ هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣][1].

ذلك عصر كانت أرضنا تُنْبِت فيه رجالًا مع الزروع والأشجار، رجالًا يكثرون عند الفزع ويقلُّون عند الطمع، رجالًا لا يُغريهم الوعد ولا يُثنِيهم الوعيد، رجالًا لا يزهيهم النصر، ولا تُحطِّمهم الهزيمة، رجالًا كانوا ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

رجولة الأمس واليوم:

أمَّا اليوم فإنَّنا نُفتِّش عن الرِّجال كما نُفَتِّش عن الذهب في الأرض، وقد نعثر في الفينة بعد الفينة على الرَّجل بعد الرَّجل، وقد نذرع البلاد ذهابًا وإيابًا، فلا نجد إلَّا غثاء كغثاء السيل!

(١) سبق تخريجه صـ ٤٤، وفيه: «إنِّي أشمُّ ريح الجنَّة».

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأين الرُّجولة في هذا الَّذي فقد الوفاء فغـدر، وفقد العفاف ففجر، وفقد الأمانة فخان، وفقد شـجاعته فأصبح جبانًـا، وفقد صلابته فصار رخوًا، وفقد غيرته فأصبح يُقَـدِّم امرأته تراقص الأجنبي على مسـمعه ومرآه؟!

لقد كان العرب في الجاهليَّة ـ على ما فيهم من انحراف ـ على كثيرٍ من معاني الرُّجولة؛ فقد كان فيهم مثل «عنترة» الَّذي يغشى الوغي ويعفُّ عند المغنم! والَّذي يقول عن نفسه:

وأغضُّ طرْفِي إن بدت لي جارتي حتَّى يُـوَاري جارتـي مَأْوَاهَا[1]

وقد كان فيهم مثل «عبد الله بن عبد المُطَّلِب» الَّذي تراوده امرأةٌ عن نفسه، وهو في حرارة الشَّباب وعنفوان الغريزة، فيجيبها بمنطق الرُّجولة:

أمَّـا الحـرامُ فالممـاتُ دُونَـهُ والـحـلُّ لا حِـلٌّ فأستبينَهُ
يحمـي الكريـمُ عِرضَـهُ ودينه فكيـف بالأمـر الَّـذي تَبْغِينَهُ[2]

وكان فيهم من يفـي بالكلمة تخرج من فيه، مهمـا كلَّفته من غالي الثمن، ويقول:

ولا أقـول: نعـم يومًـا وأُتْبِعها بلا، ولو ذهبَتْ بالمالِ والولدِ[3]

فإذا كانت الجاهليَّة تخرج مثل هؤلاء الرِّجال فما بال أبناء الإسـلام قد فقدوا أولى خصائصهم وهي الرُّجولة؟

---

(١) ديوان عنترة صـ٣٠٨، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

(٢) انظر: مجمع الأمثال (١٠٥/٢)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٣) من شـعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر. انظر: عيون الأخبار (٤٦٣/١)، نشـر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

QaradawiBooks.com

الاستعمار وراء هذا البلاء:

أمَّا لو فتَّشنا عن السرِّ، وبحثنا عن العلَّة لتبيَّن لنا أنَّ الاستعمار قد وضع نُصْب عينيه وفي مُقَدِّمة برامجه المُحَرَّمة أن يقتل رجولة المسلمين.

ومن هنا غزانا بجسد المرأة الخليعة، ونشر الملاهي المحرَّمة، وإشاعة المسكرات والمخدِّرات القاتلة، وإطغاء العبث والمجون على الجدِّ والعمل، وفسح المجال لغلبة الرذيلة على الفضيلة، وإبعاد تعاليم الدين عن المجتمع.

وبهذه الطريقة انتصر في حربه الرُّوحيَّة والفكريَّة والنَّفسيَّة، وعبث الفساد بالرُّجولة والأخلاق كما تعبث الرياح بالأوراق.

وإذا أُصِيبَ القومُ في أخلاقِهم فأقِمْ عليهم مأتمًا وعَوِيلَا[1]

وليت شِعري: أين الرِّجال الَّذين تُتقى بهم المكاره، وتُسد بهم الثُّغور، وتصلح بهم الجماعات، وتنهض بهم الشُّعوب، وتحقَّق بهم الآمال؟!

اغدُوا ورحوا هنا وهناك، وارجعوا البصر كرَّتين، فهل ترى إلَّا أحلاس المقاهي، وروَّاد الملاهي، وعشَّاق الخمر والميسر، وروَّاد الشَّوارع والميادين، وأتباع الغاديات والرائحات، وعبَّاد الغرائز والشَّهوات؟!

أليس هؤلاء أولى النَّاس بوصف الإمام علي: «أشباه الرِّجال ولا رجال، وطغام الأحلام، وعقول ربَّات الحِجال»[2].

(١) أحمد شوقي العمال الشعرية الكاملة (١٨٣/١)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٧٥/٢)، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

QaradawiBooks.com

وإنِّي لتحضرني كلمةٌ قرأتها لرجلٍ أجنبيٍّ درس الإسلام، وأعجب بتعاليمه، فلمَّا سئل عنه قال: ما أعظمه من دين لو كان له رجال!

أجل، دين عظيم ولكن المسلمين غير عظماء، دين قويٌّ ولكن أبناءه غير أقوياء، دين عزيز ولكن أتباعه ليسوا بأعزَّاء.

يا عجبًا! دين له خمسمائة مليون مسلم[١] منسوبون إليه، محسوبون عليه، ومع هذا فهو لا يجد رجالًا.

أمَّا والله لو ظفر الإسلام في كلِّ ألف من أبنائه برجل واحد ـ بكل ما في الرُّجولة من معان ـ لكان ذلك خيرًا له، وأجدى عليه، من هذه الجماهير المكدَّسة، وهذه الملايين «المملينة» الَّذين يجمعهم مزمار وتفرِّقهم عصا، هؤلاء الَّذين كأنهم صُنعوا من زجاج فلا يسترون عورة، ولا يتحمَّلون رميًا.

فَلَيْتَ لي بِهِمُو قومًا إذا ركبوا شَنُّوا الإغارةَ فرسانًا ورُكْبَانَا
لا يسألونَ أخاهم حين يَنْدُبُهم في النائبات على ما قال بُرْهَانَا[٢]

* * *

(١) المسلمون الآن قرابة ملياري مسلم.

(٢) من شعر قريط العنبري، وقد أغارت بنو شيبان على إبله، فاستنجدهم فلم ينجدوه، وكان فيهم ضعف، فقال فيهم ما قال. انظر: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب (٩٦/٢)، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م، والحماسة لأبي تمام (٥٨/١)، تحقيق عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، نشر جامعة الإمام، السعودية، ١٤٠١هـ.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٣

الصِّيام

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

من أسرار الصِّيام:

فيقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۞ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ ﴾ [البقرة: ١٨٣، ١٨٤].

يا معشر المسلمين، هذا هو شهر الخير والبركة، لقد فرض الله علينا الصِّيام في رمضان، وما فرضه إلَّا لأسرار عُليا، وحِكم بالغة، نعرف منها ما نعرف، ونجهل منها ما نجهل، ويكشف الزمن عن بعضها ما يكشف.

وكمْ لله من سِرٍّ خَفِيٍّ ... يدقُّ خفاه عن فهمِ الذَّكِيِّ[1]

فعلينا ـ أمَّة الإسلام ـ أن نتأمَّل حِكمة الله من وراء هذا الجوع والعطش، وأن ندرِك سرَّه تعالى في الصوم؛ حتَّى نؤديه كما أراده الله، لا كما اشتهاه النَّاس.

(١) ديوان الإمام علي صـ١٥٤، تحقيق د. عبد المنعم خفاجي، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

QaradawiBooks.com

الصَّوم تقوية للرُّوح:

ولن نستطيع أن ندرِك سرَّ هذا الصَّوم، إلَّا إذا أدركنا سرَّ هذا الإنسان، فما الإنسان؟ وما حقيقته؟

هل هو هذه الجثة القائمة، وهذا الهيكل المنتصب؟ هل هو هذه المجموعة من الأجهزة والخلايا واللحم والدم والعظم والعصب؟

إن كان هذا هو ذلك، فما أحقره وما أصغره!

نعم، ليس الإنسان هو ذلك الهيكل المحسوس، إنَّما هو رُوح سماوي، يسكن هذا الجسم الأرضي، وسرٌّ من الملأ الأعلى في غلاف من الطين.

ليست حقيقة الإنسان إلَّا هذه اللطيفة الربَّانيَّة، والجوهرة الرُّوحانية، الَّتي أودعها الله فيه، بها يعقل ويفكِّر، وبها يشعر ويتذوَّق، وبها يدبِّر ملك الأرض، ويتطلع إلى ملكوت السماء، ومن أجلها أمر الله الملائكة أن تسجد لآدم، لا لما فيه من حمأ مسنون، وطين معجون ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧١، ٧٢].

ذلكم هو الإنسان، رُوح علوي وجسد سُفلي، فالجسد بيت والرُّوح صاحبه وساكنه، والجسد مطيَّة والروح راكب مسافر، ولم يُخلق البيت لنفسه، ولا المطية لذاتها، ولكن البيت لمصلحة الساكن، والمطيَّة لغاية الراكب، فما أعجب هؤلاء الآدميين الَّذين نسوا أنفسهم، وذكروا شهواتهم، وجعلوا من ذواتهم خدمًا لمطاياهم، وأهملوا أرواحهم، وعبدوا أجسادهم؛ فللجسد وحده يعملون، ولإشباع غرائزه الخسيسة ينشطون، وحول بطونهم وفروجهم يدورون، نشيدهم الدائم قول القائل:

QaradawiBooks.com

إِنَّـمـا الـدُّنْـيـا طَـعَـامْ وَشَـــــرَابٌ ومَـــنَـــامْ
فـــإِذَا فَـــاتَـــكَ هَـــذَا فعَلَى الـدُّنْـيـا الـسَّـلامْ[1]

أولئك الَّذين وصفهم الله بقولـه: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۞ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفُرقان: ٤٣، ٤٤].

ذلكم هو الإنســان رُوح وجسد، فلجســده مطالب من جنس عالمه السُّفلي، وللروح مطالب من جنس عالمها العُلوي، فإذا أخضع الإنسان أشواق روحه لمطالب جسده، وحكَّم غريزته في عقله، استحال من ملاك رحيم إلى حيوان ذميم، وربَّما إلى شيطان رجيم.

هذا الَّذي ناداه الشاعر المؤمن:

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته أتطلب الربح ممَّا فيه خســران؟
أقبِل على النَّفس واستكمل فضائلها فأنت بالنَّفس لا بالجسم إنسان[2]!

أمَّا إذا عرف الإنسان قيمة نفسه، وأدرك سرَّ الله فيه، وحكَّم جانبه الســماوي في جانبه الأرضي، وعُني بالراكب قبل المطية، وبالساكن قبل الجدران، وغلَّب أشــواق الروح على نوازع الجســد، فقد صار ملاكًا أو خيرًا من الملاك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البيِّنة: ٧].

(١) ذكره من غير نســبة الراغب الأصبهاني في محاضرات الأدبــاء (١/٧٨٤ ـ ٧٨٥)، مع تغيير وفحش في بعض ألفاظه، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٢) هو الشاعر العربي أبو الفتح البُستي. انظر: قصيدة عنوان الحكم صـ٣٦، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

QaradawiBooks.com

لماذا فرض الله الصِّيام؟

ومن هنا فرض الله الصِّيام ليتحرَّر الإنسان من سلطان غرائزه، وينطلق من سجن جسده، ويتغلَّب على نزعات شهواته، ويتحكَّم في مظاهر حيوانيَّته ويتشبَّه بالملائكة، فليس عجيبًا أنْ ترتقي روح الصَّائم ويقترب من الملأ الأعلى، ويقرع أبواب السماء بدعائه فتُفْتح، ويدعو ربَّه فيستجيب له، وينادي فيقول: لبَّيْكَ عبدي.

وفي هذا المعنى يقول النَّبي ﷺ: «**ثلاثة لا تردُّ دعوتهم: الصَّائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم**»(١).

صوموا تصحُّوا:

وإذا كان في الصَّوم فرصة ـ أي فرصة ـ لتقوية الروح، ففيه فرصة ـ أي فرصة ـ لتقوية البدن؛ فإن كثيرًا ممَّا يصيب النَّاس من أمراض إنَّما هو ناشئ من بطونهم الَّتي يُتخمونها بكلِّ ما تشتهي، غير مفرِّقين بين ما ينبغي وما لا ينبغي، وقد قال النَّبي ﷺ: «**ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنه، بحسْبِ ابن آدم أُكَيْلَات يُقمن صُلبه، فإن كان لا محالة، فثُلث لطعامه، وثُلث لشرابه، وثُلث لنفَسه**»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٨٠٤٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٧١٨٦)، وقال مخرِّجوه: رجاله ثقات، غير أنّ يحيى بن جابر الطائي تكلموا في سماعه من المقدام، فإن صح سماعه منه فالحديث صحيح، وإلا فمنقطع. والترمذي في الزهد (٢٣٨٠)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٤٩)، والحاكم في الرقاق (٣٣١/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٥٢٨/٩)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٢٦٥)، عن المقدام بن معديكرب.

QaradawiBooks.com

وإذا كانت البطن مستنقع البلايا، وكانت المعدة بيت الداء، فإن الحِمْية ـ أي: الامتناع عن الأكل ـ رأس الدواء، وقديمًا قال «أبقراط»: «أكَلَ النَّاس أكْل السِّباع فمرضوا، فداويناهم بأغذية الطيور فصحُّوا».

وليس كالصَّوم فرصة تستريح فيها المعدة، ويتخلَّص الجسم من كثير من فضلاته الضارَّة.

وقد نشرت إحدى المجلات أن ثلاثمائة قد برؤوا من البول السكري بعلاج الصَّوم، وقد روي أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اغزُوا تَغْنَموا، وسافروا تستغنوا، وصوموا تصحُّوا**»[1].

الصَّوم تربية للإرادة:

وفي الصَّوم تقوية للإرادة، وتعويد على الصَّبر؛ فالصَّائم يجوع وأمامه شهي الغذاء، ويعطش وبين يديه بارد الماء، وعفَّ وبجانبه زوجته، لا رقيب عليه في ذلك إلَّا ربُّه، ولا سلطان إلَّا ضميره، ولا يسنده إلَّا إرادته القوية الواعية، يتكرَّر ذلك خمس عشرة ساعة أو أكثر في كلِّ يوم، وتسعة وعشرين يومًا أو ثلاثين في كلِّ عام.

فأي مدرسة تقوم بتربية الإرادة الإنسانيَّة، وتعليم الصَّبر الجميل كمدرسة الصِّيام الَّتي يفتحها الإسلام إجباريًّا للمسلمين في رمضان، وتطوعًا في غير رمضان؟

لقد كتب عالم نفساني ألماني بحثًا عن تقوية الإرادة، أثبت فيه أن أعظم وسيلة لذلك هي الصَّوم.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٨٣١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٠٧٠): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات. وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٥١٨٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

أمَّا الإسلام فقد سبق علماء النَّفس، كما سبق من قبل أطباء الجسم، وحسبك أن تسمع نداء رسول الله للشَّباب: «**يا معشر الشَّباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج؛ فإنَّه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرْج، ومن لم يستطع فعليه بالصَّوم؛ فإنَّه له وجاء**»(١).

ولأنَّ رمضان يعلِّم الصَّبر؛ نسبه الرسول إليه، فقال بعض الصَّحابة: «**صمْ شهر الصَّبر رمضان**». قال: إنِّي أجد قوَّة، وإنِّي أحبُّ أن تزيدني.

قال: «**فصُمْ يومًا من كلِّ شهر**»(٢).

وقال في حديث آخر: «**لكلِّ شيءٍ زكاة، وزكاة الجسد الصَّوم، والصَّوم نصفُ الصَّبر**»(٣).

وإنَّما كان الصَّوم نصف الصَّبر؛ لأنَّ في الإنسان قوى ثلاثة: قوَّة شهوية كالتي في البهائم، وقوَّة غضبية كالتي في السِّباع، وقوَّة رُوحيَّة كالتي في الملائكة، فإذا تغلَّبت قوته الرُّوحيَّة على القوتين: الشهوية والغضبية كان ذلك هو الصَّبر كلَّه، وإذا تغلَّبت على إحداهما كان ذلك نصف الصَّبر، وفي الصَّوم يتغلَّب المسلم على قوته الشهوانية من بطن وفرج، فكان الصَّوم حقًّا نصف الصَّبر.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠)، كلاهما في النكاح، عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمد (٢٠٣٢٣)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود (٢٤٢٨)، وابن ماجه (١٧٤١)، كلاهما في الصوم، عن الباهلي.

(٣) رواه ابن ماجه في الصيام (١٧٤٥)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٧٩/٢): إسناد الحديث من الطريقين معا ضعيف. فيه موسى بن عبيدة الربذي، ومدار الطريقين عليه، وهو متفق على تضعيفه. وابن شاهين في الترغيب (٢٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٢٩٩)، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٣٨٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

تعريف بالنِّعمة:

ومن حِكم الصَّوم أنَّه: يُعرِّف المرء بمقدار نعمة الله عليه، والإنسان إذا تكرَّرت عليه النِّعمة قلَّ شعوره بها؛ فإنَّ النِّعمة لا تُعرف إلَّا بفقدانها؛ فالحلو لا تعرف قيمته إلَّا إذا ذُقت المرَّ، والنَّهار لا تعرف قيمته إلَّا إذا جنَّ عليك الليل، وبضدها تتميَّز الأشياء.

ففي الصَّوم معرفة لقيمة الطعام والشراب والشبع، ولا يعرف ذلك إلَّا إذا ذاق الجسم حرارة العطش، ومرارة الجوع.

روي أنَّ الحسن البصري رضي الله عنه كان صائمًا، فأقبل وقت الفطور، فأُتي بكوب بارد من الماء فأمسك به، ورأى نعمة الله في هذا الكوب، وتذكَّر مَن الَّذي جاء بها، مَن الَّذي فجَّره ينابيع، ومَن الَّذي أنزله مطرًا، ومَن الَّذي ساقه إليه، وظلَّ يفكِّر حتَّى أغمي عليه، فلما أفاق قيل له: ماذا أصابك يا أبا سعيد؟

فقال: تذكَّرت أشياء وأشياء، وتذكَّرت أهل النَّار في النَّار، وأهل الجنَّة في الجنَّة، حيث ينادي أهل النَّار أهل الجنَّة: أن أفيضوا علينا من الماء. فيقولون: إنَّ الله حرَّمها على الكافرين[1].

تذكَّر الحسن كيف يطلب أهل النَّار شربة مِن ماء فلا يجدون، فتذكَّر نعمة الله.

وجدير بمن تذكَّر نعمة الله أن يشكر الله!

ومن أجل ذلك ورد في الخبر أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**عرض عليَّ ربِّي ليجعلَ لي بطحاء مكَّة ذهبًا، فقلتُ: لا يا ربِّ، ولكن أشبع يومًا وأجوع**

(١) مجموعة رسائل الإمام الغزالي صـ١٦٩، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

QaradawiBooks.com

يومًا ـ أو قال: ثلاثًا أو نحو هذا ـ **فإذا جُعْتُ تضرَّعتُ إليكَ وذكرتُكَ، وإذا شبعتُ حمدتُكَ وشكرتُكَ»**[١].

تذكير بحرمان المحرومين:

ومِن أسرار الصِّيام الاجتماعيَّة: أنَّه تذكير عملي بجوع الجائعين، وبؤس البائسين، تذكير بغير خُطبة بليغة، ولا لسان فصيح، تذكير يسمعه الصَّائم من صوت المعدة، ونداء الأمعاء؛ فإنَّ الَّذي نبت في أحضان النِّعمة، ولم يعرف طعم الجوع، ولم يذق مرارة العطش، فلعلَّه يظنُّ أنَّ النَّاس كلَّهم مثله، وأنَّه ما دام يجد فالنَّاس يجدون، ما دام يطعم لحم طير ممَّا يشتهي، وفاكهة ممَّا يتخيَّر، فلن يحرم النَّاس الخبز والبقول!

فلا غرو أن جعل الله من الصَّوم مظهرًا للاشتراكيَّة الصحيحة، والمساواة الكاملة، وجعل الجوع ضريبة إجبارية، يدفعها الموسر والمعسر، ويؤدِّيها مَن ملك القناطير المقنطرة، ومَن لا يملك قوت يومه؛ حتَّى يشعر الغني أنَّ هناك مَعِدات خاوية، وبطونًا خالية، وأحشاء لا تجد ما يمسك الرَّمق، ويطفئ الحرق، فحري بإنسانيَّة الإنسان وإسلاميَّة المسلم، وإيمان المؤمن: أن يرقَّ قلبه، وأنْ يعطي المحتاجين، وأنْ يمدَّ يده إلى المساكين.

فإنَّ الله رحيم، وإنَّما يرحم من عباده الرحماء، وصدق رسول الله ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء**»[٢].

---

(١) رواه أحمد (٢٢١٩٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف جدًّا. والترمذي في الزهد (٢٣٤٧)، وحسنه، والطبراني (٢٠٧/٨)، عن أبي أمامة.

(٢) رواه أحمد (٦٤٩٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٤١)، والترمذي =

QaradawiBooks.com

وقد روي أنَّ يوسف ﷺ كان يكثر الصِّيام ـ أو يقلِّل من الطعام ـ وهو على خزائن الأرض، بيده المالية والتموين، فسئل في ذلك فقال: «أخاف إذا شبعت أنْ أنسى جوع الفقير»[1].

غير مرخصة للطباعة

العبوديَّة الكاملة لله:

وفي الصَّوم قبل ذلك وبعده: تمام التسليم لله، وكمال العبوديَّة لربِّ النَّاس، ملِك النَّاس، إلٰه النَّاس، وهذه الحِكمة هي القدر المشترك في كلِّ عبادة، والهدف الأسمى من كلِّ فريضة، ولن تكون العبادة عبادة، ولا العبد عبدًا إلَّا بها، يقول ربُّ العباد: «أمرت ونهيت»، ويقول العبد: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وما أظهر هذا التسليم والعبوديَّة في الصَّوم خاصَّة ـ فالصَّائم يجوع ويعطش، وأسباب الغذاء والري أمامه ميسرة ـ لولا خشية الله، والرغبة في رضاه، ولهذا نسب الله الصِّيام إلى حضرته، وتولَّى جزاء الصَّائمين بنفسه فقال: «**كلُّ عَمَلِ ابنِ آدمَ له إلَّا الصَّوم، فإنَّه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي**»[2].

أيُّها النَّاس، ذلكم هو الصَّوم في الإسلام، لم يشرعه الله تعذيبًا للبشر، ولا انتقامًا، كيف وقد ختم آية الصَّوم بقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]؟

= في البر والصلة (١٩٢٤)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في البر والصلة (١٥٩/٤)، وقال بعد أن ذكره مع أحاديث عدة في الباب: وهذه الأحاديث كلها صحيحة. ووافقه الذهبي. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٢٥)، عن عبد الله بن عمرو.

(١) إحياء علوم الدين (٨٥/٣)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصوم، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وإنَّما شــرعه الله إيقاظًا للرُّوح، وتصحيحًا للجسد، وتقوية للإرادة، وتعويدًا على الصَّبر، وتعريفًا بالنِّعم، وتربية لمشــاعر الرحمة، وتدريبًا على كمال التسليم لله ربِّ العالمين.

ومن رحمة ربِّ العالمين: أنَّه شرع في الصِّيام رخصة الفطر لمن كان مريضًا أو على ســفر، فيفطر ويقضي عِــدَّة من أيام أُخــر، كما رخَّص للحامل والمرضع أن تفطرا وتقضيا إن تيسَّر لهما ذلك، أو تفتديا بإطعام مسكينٍ عن كلِّ يوم.

المسلمون والصِّيام:

تلك حِكم يجب أن نرعاها حقَّ رعايتها، وأن نضعها نصب أعيننا في صومنا؛ حتَّى يكون صومًا يؤدِّي مهمَّته، ويفي بالغرض المقصود منه.

فليت شِعري هل فقه المسلمون أســرار الصِّيام، وهل انتفعوا بشهر رمضان؟

أمَّا أسلافنا فقد جنوا ثماره، وتفيئوا ظلاله، واستمدُّوا منه رُوح القوَّة، وقوَّة الــرُّوح، كان نهارهم نشــاطًا وإنتاجًا وإتقانًــا، وكان ليلهم تزاورًا وتهجُّدًا وقرآنًا، وكان شهرهم كلُّه تعلُّمًا وتعبُّدًا وإحسانًا، ألسنتهم صائمة؛ فلا تلغو برفَــث أو جهل، وآذانهم صائمة؛ فلا تســمع لباطــل أو لغو، وأعينهم صائمة؛ فلا تنظر إلى حرام أو فحش، وقلوبهم صائمة؛ فلا تعزم على خطيئة أو إثم، وأيديهم صائمة؛ فلا تمتدُّ بسوء أو أذى.

أمَّا نحن، فبئس موقفًا وقفناه من رمضان!

جعله الله للقلب والرُّوح، فجعلناه للبطن والمعدة.

QaradawiBooks.com

جعله الله للحِلم والصَّبر، فجعلناه للغضب والطيش.

جعله الله للسَّكينة والوقار، فجعلناه شهر السباب والشجار.

جعله الله للحقِّ والدين، فجعلناه للتين «وقمر الدين»[١].

جعله الله لنغيِّر فيه من صفات أنفسنا، فما غيَّرنا إلَّا مواعيد أكلنا، جعله الله تهذيبًا للغني الطاعم، ومواساة للبائس المحروم، فجعلناه نحن مَعرضًا لفنون الأطعمة والأشربة، تزداد فيه تُخمة الغني بقدر ما تزداد حسرة الفقير!

الصَّوم حرب على الثالوث الخطر:

بئس القوم قوم اتخذوا من رمضان موسمًا للتعطُّل والتبطُّل، يأكلون فيه أضعاف ما يأكلون في غيره، وينفقون فيه أكثر ممَّا ينفقون في شهور، نهارهم كسل ومنام، وليلهم شراب وطعام، وسهر جلُّه لغو وحرام.

أمَا والله لو انتفعنا برمضان كما يريد الإسلام، لكان حربًا على أعدائنا الثلاثة أو الأربعة من: الجهل، والفقر، والمرض، والرذيلة، الَّتي نادى بمقاومتها السَّاسة والمصلحون والكُتاب والخُطباء.

نعم كان حربًا على الجهل، بما يُلقى فيه من دروس العصر والعشاء والسَّحر والصباح، وما يُعقد فيه من حلقات للتثقيف والتوجيه.

وكان حربًا على فقر الفقراء، بما يرقِّق من القلوب الجامدة عليها، فيجود الموسر على المعسر، ويحسِن الواجد إلى المحروم.

وكان حربًا على مرض المرضى، بما تستريح فيه المعدة، وتنتعش فيه الأجهزة من عناء أحد عشر شهرًا.

---

(١) من أشهر المشروبات التي يتناولها المصريون وغيرهم، في شهر رمضان.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

وكان حربًا على الرذيلة، بما يهذِّب من أخلاق الصَّائم، ويُعَوِّده على التغلُّب على نزوات الجسد، وشهوات النَّفس.

نصيحة إلى الصَّائمين:

أيُّها الصَّائمون، إليكم نصيحتي فاسمعوها، لا تصوموا عمَّا أحلَّ الله وتفطروا على ما حرَّم الله، بل اسمعوا قول رسولكم ﷺ: «**من لم يدع قولَ الزُّور والعملَ به، فليس لله حاجةٌ في أن يدَع طعامه وشرابه**»[(١)].

فصونوا جوارحكم، ونظِّفوا قلوبكم، وغضُّوا أبصاركم، واحفظوا ألسنتكم، وكفُّوا أيديكم، واعلموا أنَّ بعد العناء روحًا، وبعد الظمأ ريًّا.

قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ في الجنَّة بابًا يقال له الريان، يدخل منه الصَّائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصَّائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق، فلن يدخل منه أحد**»[(٢)].

بين الصَّوم والجهاد:

حقيقة، إنَّ في صيام هذه الأيام الملتهبة ما يُتعب الجسد ويشقُّ على النَّفس، ولكن هذا كلُّه تدريب لأمَّة ذات رسالة وجهاد على ملاقاة الشدائد، واحتمال المشقَّات، وعلى قدر التعب والعناء يكون الأجر والجزاء، ولنا في سلفنا أسوة حسنة، فقد كانوا يُرَحِّبون بأيام القيظ الشديد ليصوموا، طلبًا لما عند الله.

(١) رواه البخاري في الصَّوم (١٩٠٣)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢)، كلاهما في الصوم، عن سهل بن سعد.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

بعث رسول الله ﷺ أبا موسى في سَرِيةٍ بَحْرية مع جماعة، فبينما هم قد رفعوا الشراع في ليلة مُظلمة، إذا هاتف فوقهم يهتف: يا أهل السفينة، قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه.

فقال أبو موسى: أخبرنا إن كنتَ مُخْبِرًا.

قال: إنَّ الله قضى على نفسه أن مَن عطَّش نفسه في يوم حار، كان حقًّا على الله أنْ يرويه يوم القيامة.

فكان أبو موسى يتوخَّى اليوم الشديد الحرَّ الَّذي يكاد الإنسان ينسلخ فيه حُرًّا، فيصومه[١].

ورُوِيَ عن عليِّ بن أبي طالب قوله: حُبِّب إليَّ من الدُّنْيا ثلاث: قِرى الضيف، والصِّيام في الصيف، وحرب أعداء الله بالسيف[٢].

فاصبروا ـ أيُّها الصَّائمون ـ نهاركم ولا تسأموا، وقوموا ليلكم ولا تكسلوا، وأحسِنوا على فقرائكم ولا تبخلوا، إنَّ الله يحبُّ المحسنين.

أحيوا ليالي رمضان بالقيام الخاشع، والعِلم النافع، والتلاوة المرتَّلة، فعسى أن تصادفوا ليلة القدر؛ فهي خير من ألف شهر.

رسالة إلى المُفْطِرين:

أمَّا أنتم أيَّها المفطرون المخدوعون، فالتَّوبةَ التَّوبةَ، والإنابةَ الإنابةَ، قبل أنْ يُفاجئكم الموت بسكراته، ويأخذكم الله بعذابه، وتندمون يوم لا ينفع الندم.

(١) رواه أبو نُعيم في الحلية (٢٦٠/١)، نشر دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

(٢) الرياض النضرة لمحب الدين الطبري (٦٠/١)، نشر دار الكتب العلمية، ط٢.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

لقد رأى النَّبيُّ ﷺ في منامه قومًا معلَّقين بعراقيبهم مشقَّقة أشداقهم تسيل دمًا، فسأل: من هؤلاء؟

فقيل: هؤلاء الَّذين يفطرون قبل تحلَّة صومهم[١].

إذا كان هذا جزاء من يهمل ويتسرَّع، فيفطر قبل وقت الإفطار، فكيف بمن يجاهر بالإفطار نهارًا في بلدٍ دينه الإسلام؟!

أرشدوا هؤلاء الضالِّين أيَّها الصَّائمون، وخذوهم بالرِّفق، وأقنعوهم بالحُسنى أولًا، فإن لم تُجدِ معهم الحُسنى، فانهروهم بشدَّة، وخذوهم بقوة، وقاطعوهم في الله، وأبغضوهم لله؛ فإنَّ أوثق عُرى الإيمان الحبُّ في الله، والبُغض في الله.

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**قال الله تعالى: كلُّ عمل ابنِ آدمَ له إلَّا الصَّوم، فإنَّه لي وأنا أجزى به، والصِّيام جُنَّة، فإذا كان يومُ صيام أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابَّه أحد أو قاتله، فليقُلْ: إنِّي صائم، والَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده لخُلُوف فم الصَّائم أطيبُ عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما؛ إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربَّه فرح بصومه**»[٢].

وعنه ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه**»[٣].

* * *

(١) رواه ابن خزيمة في الصيام (١٩٨٦)، وابن حبان في إخباره ﷺ (٧٤٩١)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. والحاكم في الصوم (٤٣٠/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. عن أبي أمامة الباهلي.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصَّوم، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في فضل ليلة القدر (٢٠١٤)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٤

كيف نُصْلِح عيوب أنفسنا؟

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا معشر المسلمين:

صلاح النُّفوس أساس كلِّ شيء:

إنَّ أساس النَّجاح، ومحور الخير يدور حول النَّفس البشريَّة، وإنَّ كتائب النَّصر والنَّجاح في الدُّنْيا والآخرة إنَّما تعتمد على محور أصيل، وعمود ثابت، هذا المحور، وهذا الأساس هو صلاح النُّفوس وطهارتها.

هذا هو الأساس لكلِّ خير في الآخرة والأولى، فلن يصلح الفرد، ولن يفوز بالخير إلَّا إذا صلَحت نفسه الَّتي بين جنبيه، وصدق الله العظيم: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠].

ولن تصلح الأمَّة ولن يصلح المجتمع إلَّا إذا صلَحت نفوس أفراده، واستقامت على أمر الله، وصارت على طريق الله المستقيم؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرَّعد: ١١].

QaradawiBooks.com

صلاح النُّفوس هو حبل النَّجاة، هو سفينة الإنقاذ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرَّعد: ١١].

فعلى كلٍّ منَّا أن يراقب هذه المضغة ـ هذه اللطيفة الربَّانيَّة ـ هذه الجوهرة الرُّوحانية الَّتي أسكنها الله به عليه أن يراقبها ويؤدِّبها ويزكِّيها؛ حتَّى تستقيم على أمر الله تعالى.

كيف نعالج عيوب أنفسنا:

هذه النَّفس إذا صلَحت صلَح كلُّ شيء، وإذا فسدت فسد كلُّ شيء.

أول ما يجب عليك أيَّها المسلم: أن تعرف عيوب نفسك، فإذا عرفتها فأصلحها.

ومن أين تعرف عيوب نفسك؟ أين المُعَلِّم الَّذي يأخذ بيدك وينير لك الطريق؟

المعلِّم الأول: العِلم النَّافع:

الحقُّ، إنَّ هناك: أكثر من مُعَلِّم يرشدك ويعينك في هذا السبيل.

إنَّ أوَّل شيء تعرف منه عيوب نفسك، وأوَّل مرآةٍ مصقولةٍ ترى فيها عيوب نفسك: هو العلم النافع، فتعلَّمْ وادرسْ.

اعرف كتاب الله، وسُنَّة رسوله؛ ففيهما بيان أمراض النُّفوس وعلاجها، وأدواء القلوب وأدويتها.

فعليك بالعلم، خذه من أهله الثقات: المُعَلِّمين الربَّانيِّين، الَّذين تعلَّموا في مدرسة النُّبُوَّة، وأخذوا منها أسوتهم، وكانت لهم تجربتهم في مَيْدَان التربية والسلوك، فانتفع بهم واقتبس منهم، ولا تكن عبدًا لهم، بل كن عبدًا لله وحده.

QaradawiBooks.com

المُعَلِّم الثاني: الأخ النَّاصح:

ثمَّ مِن إخوانك وأصدقائك، فإنَّ الأخ النَّاصح، والصَّديق النَّافع، ليس الَّذي يُجَاملني على حساب الحقِّ، ويداري عليَّ عيوبي، وإنَّما الأخ الحقُّ: هو الَّذي يُعَرِّفني بعيبي، ولا يخشى من غضبي؛ فغضب الله أشدُّ، وعليَّ إذا كنت مؤمنًا أنْ أتقبَّل نصحه وتوجيهه؛ فالمؤمن مرآة أخيه، يرى فيه ما لا يراه في غيره.

واعلمْ أنَّ الرَّجل الَّذي يقول لي: اخشَ من شرارة النَّار في ثوبك أشكره على هذا، وأطفئ هذه الشرارة.

فما بالك بالَّذي يدلُّني على الحذر من نار وقودها النَّاس والحجارة؟!

لقد كان عمر يقف على المنبر ويقول: رحم الله امرأ أهدى إليَّ عيوب نفسي[(١)]! مرحبًا بالنَّاصح أبد الدهر[(٢)].

وكان يقول لحُذَيْفة وهو الخبير بأسرار المنافقين: يا حذيفة، هل تجد فيَّ شيئًا من خصال المنافقين؟

فيقول: لا يا عمر، ولا أُزَكِّي أحدًا بعدك[(٣)].

ويقول عمر مُسْتَنْصِحًا الأمَّة: «من رأى منكم فيَّ اعوجاجًا فليُقَوِّمْني»[(٤)].

من أهدى لك عيبك، وعرَّفك بنقصك فهذا هو الأخ النَّاصح، والصَّديق الصَّادق، عليك أنْ تحمده وتشكره.

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني صـ٢١٧، تحقيق د. أبو اليزيد العجمي، نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

(٢) رواه الطبري في التاريخ (٥٧٩/٢)، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الفتن (٣٨٥٤٥).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٢٩).

QaradawiBooks.com

المُعَلِّم الثالث: المجتمع:

ثمَّ مِن المجتمع الَّذي تعيش فيه، ترى مـــاذا يحمد النَّاس، وماذا يذمُّون، ماذا يحبُّون وماذا يكرهون، ثمَّ قسْ هذا على نفسك، إن كانوا يُحِبُّون الإيثـــار فآثر غيرك على نفســـك، وإن كانـــوا يكرهون الأنانية والأثرة، فقس أخلاقك على ما يحب المجتمع وما يكره، وأبعد نفسك عن الشرِّ.

وهذا إذا ظـــلَّ المجتمع محافظًـــا على أصوله وقيَمـــه وثوابته، ولم تجرفه رياح التقليد لمجتمعات أخرى مخالفة له، فيقلِّدها ويمشي وراءها شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع[1].

المُعَلِّم الرابع: الأعداء:

وهناك مُعَلِّم رابع تَعْلَم منه عيوب نفسك: هم أعداؤك.

وكيف يكون عدُوِّي مُعَلِّمًا؟

نعم فإنَّ هناك من أصدقائك وأحبائك من يدارون عليك، ويسكتون على عيوبك، أمَّا خَصْمُك فهو الَّذي يتمنَّى لك الخطأة والغلطة ويبحث عنها ويبرزها إذا عرفها.

وعينُ الرِّضَا عن كلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ كما أنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبدي المساويا[2]

---

(١) إشارة إلى حديث النبي ﷺ: «**لتتبعنَّ سنن من قبلكم شبرًا بشـــبر، وذراعًا بذراع، حتى لو ســـلكوا جُحر ضبٍّ لســـلكتموه**». قلنا: يا رســـول الله، اليهود والنصارى؟ قـــال النَّبي ﷺ: «**فمن؟!**». متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) من شعر عبد الله بن معاوية الجعفري. انظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي صـ٣٢٧، وقال: هو أول من ذكر (عين الرضا) في شعره، وأرسل مثلًا.

QaradawiBooks.com

فهم الَّذين يبصرون الذرات من عيوبك، ولقد قال إمامنا الشافعي:

عِدَاتــي لهم فَضْــلٌ علــيَّ ومِنَّةٌ فما باعدَ الرحمــنُ عَنِّي الأعاديا
فهم بحثوا عــن زلَّــةٍ فاجتنبتُها وهم نافسوني فارتكبتُ المَعَالِيَا[1]

بهذه الأمور الأربعة نعالج عيوبنا، وندرك نقصنا.

النَّفس مجبولة على الخير والشرِّ:

إنَّ النَّفس ليست شريرة كلّ الشرِّ، ولكن فيها استعداد للخير، واستعداد للشــرِّ، اســتعداد للتقوى واســتعداد للفجور، كما قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلــد: ١٠] ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنســان: ٣]، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشَّمس: ٧، ٨].

الأنفس ثلاثة:

وإنَّ النَّفس أمَّارة بالسوء كما حكى الله في سورة يوسف: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

النَّفس أمارة بالســوء، ميالة إلى المنفعة الدنيويــة، ميالة إلى اللهو واللعب، ولكنك تســتطيع أن تقهرها على الحــقِّ، وتدفعها إلى الخير، فتتعود عمل الخير وترك الشرِّ.

---

(١) البيتان لأبي حيان الأندلسي، انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٦١/٦)، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عبد المعيد، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهنــد، ط٢، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م، والضوء اللامع لأهل القرن التاســع للســخاوي (٤٥٢/١)، نشر منشــورات مكتبة الحياة، بيروت، وطبقات الشــافعية الكبرى للسبكي (١٥٤/٩)، تحقيق د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر دار هجر، ط٢، ١٤١٣هـ.

QaradawiBooks.com

فإذا فعلت شـرًّا كان لك من نفسـك السِّـلاح، وكان لك من ضميرك حارس ناقم، يسـتطيع دائمًا أن يؤنبـك، وأن يدفعك على الخير إذ أهملته، وهذه هي «النَّفس اللوامة»، أي: الَّتي تلوم صاحبها على ترك الخير وفعل الشـر. تقول لك: لماذا أكلت هذه اللقمة؟! ولماذا شـربت هذه الشـربة؟!ولماذا تكلَّمت هذه الكلمة؟! ولماذا ضحكت هذه الضحكة؟!ولماذا نظرت هذه النظرة؟! ولماذا فعلت هذا الفعل؟

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

هذه النَّفس هي الَّتي أقسـم الله بها فقال: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢].

ثمَّ إذا سـارت نفسـك على هذا المنوال، وأصبحت تبتعد عن فعل الشـرِّ انخرطت إلى مرحلة أسـمى، ومرتبة أعلى وأرقى، مرتبة «النَّفس المطمئنة»، وهي الَّتي ناداها الله في كتابه فقال: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠].

المشارطة والمراقبة:

عليك ـ أيَّها المسلم ـ عندما تقوم من نومك أن تشترط على نفسك شروطًا: ألا تهمل في صلاة، وألا تترك فريضة، وألا تتكلَّم كلمة فارغة، وأن تُعرض عن اللغو.

شارط نفسـك على هذا، واعقد معها عقدًا، واكتب عليها صكًّا، هذا قبل أن تعمل شيئًا، ثمَّ إذا تقدَّمت للعمل فعليك أن تلزمها برقابة الله، وتذكِّرها بـأن عين الله لا تغفـل، وأنَّه لا تأخذه سِـنة ولا نوم

QaradawiBooks.com

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧][(١)].

حكى الإمام الغزالي: أن شابًّا غازل فتاة، وراودها عن نفسها، فأبت وامتنعت، فقال لها: ولم ونحن في مكان خال، وليس معنا إلَّا هذه الكواكب؟

فقالت له: يا هذا، وأين مكوكبها، ومسيِّرها[(٢)]؟!

لقد حدَّثوا أنَّ شيخًا أراد أنْ يمتحن بعض التلاميذ فعقد لهم امتحانًا، وأعطى كلَّ واحد منهم عصفورة وسكينًا، وقال لكلِّ واحد منهم: اذهب في مكان خال من كلِّ عين واذبحها.

فذهب هذا إلى «قاعة» وأغلقها على نفسه، ثمَّ عاد بها مذبوحة.

وذهب الثاني إلى جبل حيث لا إنسان فيه، ولا حيوان، وذبحها.

---

(١) شعائر الإسلام تنشئ فيما تنشئ قلوبًا حية، وضمائر يقظة، وأفئدة سليمة، بل الإسلام كلُّه أراد أنْ يكون المسلم كذلك، مراقبًا لله في السرِّ والعلن، في الظهور والخفاء، في الجلوة والخلوة، وحده وأمام الناس، وإيمان العبد بالله ﷻ والتزامه بشعائره هو الذي يربي ذلك في نفسه، لذا كان من كلام الله ﷻ قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزُّخرف: ٨٠].
بهذه الآية ومثلها كثير أراد الله ﷻ أنْ تصل قلوب أهل الإيمان إلى الحياة، وضمائرهم إلى اليقظة، التي يصل فيها العبد وكأنه يرى الله، أو على الأقل فليعلم بأنَّ الله يراه، وهذا هو معنى حديث جبريل في الإحسان: «اعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك». متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٢) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٣٩٧/٤). وروى البيهقي نحوه في شعب الإيمان (٨٥٣)، عن الأصمعي، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

QaradawiBooks.com

وذهب الثالث وذهب الرابع...

وجاء كلٌّ منهم بطائره مذبوحًا، إلَّا واحدًا منهم لم يذبح طائره، وجاء به حيًّا، فقال له الشَّيخ: لِم لَم تذبح طائرك؟

فقال التلميذ: لم أجد مكانًا إلَّا من ورائها عينًا ترقبني، فقال: أي عين؟

قال: عين الله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤][1].

ولله در القائل:

إذا مـــا خلـــوتَ الدَّهْـــرَ يومًـــا فلا تقُلْ: خلوتُ، ولكنْ قُلْ: عليَّ رَقِيبُ!

ولا تحســـبَنَّ اللهَ يغفـــلُ ســـاعةً ولا أنَّ مـــا تُخْفِيه عنـــه يَغِيبُ[2]!

ذكِّرها بالرقابة، وأنَّ عليها «بوليسًـــا» سريًّا يســـجِّل عليك حركاتك وســـكناتك، وغدواتك، وروحاتـــك، وخطواتـــك، وكلَّ ما تحدِّثك به نفسك، يســـجِّل هذا عليك، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزُّخرف: ٨٠]، ويوم القيامة ينـــادي المنادي عليهم: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

* * *

(١) إحياء علوم الدين (٣٩٧/٤).

(٢) ديوان أبي العتاهية صـ٣٤، نشر دار بيروت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

٥

من ثمرات رمضان: التَّوبة[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا معشر المسلمين:

وماذا بعد رمضان؟

ها نحن قد ودَّعنا رمضان، واستقبلنا شوال، فماذا ننوي أن نفعل؟

لعلَّ هنـــاك كثيرًا من النَّـــاس قد عادوا ســـيرتهم الأولـــى: إلى ترك الصلوات، واتِّباع الشَّهوات، وساروا في ركاب الشيطان.

إنَّ الشـــياطين قد انطلقت من عُقُلها[٢] في شوال، وكثيرًا من شياطين الإنس سيعودون على شياطين الجنِّ ليســـتمتع بعضهم ببعض، ويتعاون بعضهم مع بعض، على معصية الرحمن!

هذا دليل على أن هؤلاء لم يعرفوا الله حقًّا في رمضان.

إنَّ المقبول في رمضان من نراه يرجع إلى الله في شوال.

---

(١) أُلقيت في ٦ شوال ١٣٧٢هـ الموافق ١٩ يونيو ١٩٥٣م.

(٢) جمع عقال؛ إشـــارة إلى حديث النَّبي ﷺ: «**إذا دخل شـــهر رمضان، فُتِّحت أبواب السماء، وغُلِّقت أبواب جهنم، وسُلســـلت الشـــياطين**». متَّفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٩)، ومســـلم (١٠٧٩)، كلاهما في الصَّوم، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إنَّ علامة قبول الصِّيام، وأمارة قبول القيام: أنْ يظلَّ بعد ذلك مع الله، وأنْ يرجع إليه، وأنْ يقول قولة أبيه وأمِّه «آدم وحواء»: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

من كان يعبد رمضان فإن رمضان قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

إنَّ الله محمود بكلِّ لسان، معبود في كلِّ زمان، مقصود في كلِّ أوان، يحبُّ أن يطاع في كلِّ شهر، ويكره أن يُعصى في كلِّ حين ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزُّمر: ٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النِّساء: ١٠٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النِّساء: ٣٦].

فلماذا نعبد الله في رمضان ونُعرض عن الله في شوَّال؟!

إنَّ أعظم ثمرة يخرج بها المسلم من رمضان هي: التَّوبة الصادقة النَّصوح من الذنوب، توبة من المعاصي، توبة من الآثام، ورجوع إلى الله ربِّ العالمين.

موانع التَّوبة:

هذه التَّوبة هي الثمرة الناضجة الَّتي يقتطفها المسلم من شهر رمضان، فماذا يحول بين المسلم والتَّوبة؟ ماذا يحول بين العبد والرجوع إلى الله تعالى؟

١ ـ الاستهانة بالمعصية:

لعلَّ هناك قومًا يستهينون بالمعصية، ويستصغرون الذنوب، ولقد كان

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

السلف الصالح يقول: «إنَّ الذنب الَّذي يُخشى ألَّا يُغفر هو: أن يقول العبد: ليت كلَّ ذنب فعلت مثل هذا»[١].

ولقد أوحى الله إلى نبي من أنبيائه: لا تنظر إلى صِغر الهدية، ولكن انظر إلى عظمة مهديها، ولا تنظر إلى صِغر المعصية، ولكن انظر إلى كبرياء من عصيته بها[٢].

وفي الحديث الشريف: «**المؤمن يرى ذنوبَه كأنَّه قاعدٌ تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإنَّ الفاجر يرى ذنوبه كذُبابٍ وقع على أنفه فقال به هكذا**»[٣].

كان السلف يخشون من الذنب الصغير الضئيل، ونحن الآن لا يهمنا الذنب العظيم.

ولقد مرَّ جماعة على أحد الصالحين وهو يبكي بكاءً مرًّا، ويذرف دموعًا ثخينة، فقال بعضهم: يا أبا فلان، ما لنا نراك تبكي، وما رأينا منك فريضة تركتها، ولا حرمة انتهكتها؟

فقال: والله ما أبكي على ذنب فعلته، ولا على واجب أهملته؛ إنَّما أبكي لأنِّي أخشى أنْ أكون قد أتيت ذنبًا أحسبه هيِّنًا وهو عند الله عظيم[٤].

---

(١) إحياء علوم الدين (٣٢/٤).

(٢) قوت القلوب (٣٠٧/١)، تحقيق د. عاصم إبراهيم الكيالي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٣) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٨)، عن ابن مسعود.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (٣٦٥)، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م. عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

وقد ذكرت عائشة مرَّة إحدى ضرائرها فأشارت إلى أنَّها قصيرة القامة! فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة، لقد قلتِ كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته**»[١].

وكان أنس رضي الله عنه يقول: إنَّكم لتعملون أعمالًا هي أدقُّ في أعينكم من الشعر، كنَّا نعدُّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات[٢].

هذه هي ضمائرهم الحسَّاسة، وقلوبهم اليقظة، لم يكونوا يستصغرون الذنوب، بل كانوا يستصغرون الطاعات.

٢ ـ التسويف وطول الأمل:

فماذا يحول بين العبد وربِّه؟

استهانة بالمعصية؟ أم تسويف وتأجيل وتأخير؟

إن أكثرنا يقول: غدًا أتوب. ثمَّ يأتي الغد فيقول: بعد غد أتوب. يقول ابن العشرين: سأتوب في الثلاثين. ويقول ابن الثلاثين: سأتوب في الأربعين. ويقول ابن الأربعين: سأتوب في الخمسين. وهكذا نرى الصغير والكبير، والشَّاب والكهل، كلّهم يسوِّفون ويؤجِّلون، ولا يدرون أنَّ كلَّ امرئ مهدَّد بالموت في أيِّ لحظة، وأنَّ الموت أدنى إليه من شِراك نعله، ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ [النَّحل: ٧٧].

---

(١) رواه أحمد (٢٥٥٦٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٤٨٧٥)، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥٠٢)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٢٧).

(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٩٢)، عن أنس.

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

إن كلَّ إنسان يخرج من بيته ولا يدري أيعود حيًّا أم ميتًا؟ يخرج ولا يعرف أيعود حاملًا أم محمولًا؟ إنَّك تلبس الثوب فلا تدري أتنزعه بيديك أم تنزعه عنك يد الغاسل؟

إنَّ الأجل مجهول، وإنَّ العمر خاتمته غير معروفة، أخفاها الله عن الإنسان ليبادر إلى التَّوبة، ويُسرع إلى الطاعة، ويفرَّ من المعصية.

إنَّ الذنوب شجرة خبيثة، كلَّما أذنبت ذنبًا، تمكن جذر هذه الشجرة من القلب، فعلى المسلم أنْ يبادر بالتَّوبة قبل أن تتراكم الذنوب على قلبه؛ فالقلب كالمرآة المجلوة الصافية، إذا أذنبت ذنبًا، نكت فيه نكتة سوداء، فإذا تاب محيت، وإذا عاد صارت نكتة بجانبها، حتَّى يتراكم السواد على القلب[1]؛ فهذا هو الران الَّذي قال الله فيه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

إنَّ تأخير التَّوبة، وتسويف الرجوع إلى الله يؤدِّي إلى أنْ تتراكم الذنوب على القلب، فربما خُتم على الإنسان بغير الإيمان، والعياذ بالله!

وربما جاءه الموت فيقول: ليتني فعلت، ليتني رجعت، هل لي من تأخير؟ هل لي من تأجيل؟

---

(١) إشارة إلى حديث النَّبي ﷺ: «**تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشربها** ـ دخلت فيه دخولًا تامًّا ـ **نكت فيه نكتة ـ نقطة** ـ سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه **نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: قلب أبيض مثل الصفا ـ الحجر الأملس الذي لا يعلق به شي ـ فلا تضرُّه فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُربادًّا كالكوز مجخيًا ـ مائلًا ـ لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، إلَّا ما أُشرب من هواه**». رواه مسلم في الإيمان (١٤٤)، وأحمد (٢٣٢٨٠)، عن حذيفة.

QaradawiBooks.com

وهيهات هيهات أن يكون ذلك، وصدق الله العظيم: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

٣ ـ الاتِّكال على أماني العفو الإلٰهي:

ماذا يحول بين العبد وبين التَّوبة؟

أهو الاستهانة بالمعاصي والذنوب؟ أم هو التسويف والتأجيل؟ أم هو الاتِّكال على رحمة الله وعفوه؟

هذا اتِّكال المغرور الجاهل، إنَّ الله كما أخبر أنَّه غفور رحيم، حذَّرنا أن عذابه أليم شديد؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فُصِّلت: ٤٣]، وقال سبحانه: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]، وقال أيضًا: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣]، وقال جلَّ شأنه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحِجر: ٤٩، ٥٠].

فلماذا نأخذ بآية وننسى أخرى؟ لماذا نقول: هو الغفور الودود، وننسى قبلها ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]؟

لقد كان بعض الصالحين يتمثل بهذين البيتين:

ما بالُ قَلْبِكَ ترضى أن تُدَنِّسَه ... وثوبُكَ الدَّهْرَ مغسولٌ من الدَّنَسِ؟!

ترجو النَّجاة ولم تَسْلُكْ مَسَالِكَها ... إنَّ السفينةَ لا تجري على اليَبَسِ[1]!

إنَّ رحمة الله وسعت كلَّ شيء، ولكن هل يرمي بها بلا قاعدةٍ ولا نظام،

(١) من شعر أبي العتاهية. انظر: زهر الآداب وثمر الألباب (٨٧١/٣)، نشر دار الجيل، بيروت.

QaradawiBooks.com

لقد قال ربُّنا: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، والإحسان أن تعبد الله كأنَّكَ تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك[١].

إنَّ رحمة الله واسعة؛ ولكن لمن كتبها؟

﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

إنَّ شؤم الذنب خطير.

إنَّ الله عاتب أنبياءه على هفوات صغرى؛ لقد التقم الحوت يونس لغضبةٍ غضبها في غير مَحَلِّها، وعاتب ربُّنا نوحًا من أجل كلمة قالها؛ ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [هُود: ٤٦]، وعاتب الله آدم، بل أخرجه من الجنَّة من أجل لقمة أكلَها في غير ما أمر الله؛ ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦].

ماذا نكون نحن بعدهم؟

وقد نخوض في الذنوب خوضًا، وننغمس في المعاصي انغماسًا، ونقول: «هو الله الغفور الرحيم»!

يا ناظرًا يرنو بعَيْنَيْ راقد ... ومُشاهِدًا للأمر غير مُشَاهِدِ!
أَنسيتَ نَفْسَكَ ضِلَّة وأبحتَها ... طرقَ الرجاء، وهُن غير قَوَاصِدُ
تَصِلُ الذنوبَ إلى الذنوبِ وتَرْتَجِي ... نيلَ الجِنَانِ بها وفَوْزَ العَابِدِ!
أنسيتَ أنَّ اللهَ أخرجَ آدما ... منها إلى الدُّنْيا بذنبٍ واحدٍ[٢]؟!

---

(١) إشارة إلى حديث جبريل الطويل. وقد سبق تخريجه صـ ٨٠.

(٢) من شعر محمود الورَّاق. انظر: عيون الأخبار (٤٠٣/٢).

QaradawiBooks.com

أخــرج الله آدم بمعصية ضئيلة مــن الجنَّة، فكيف نحــن وقد نأتي بالمعصية إثر المعصية؟!

علينا ألا نتَّكل على عفو الله فقط، فليس هذا من الرجاء في شــيء، إنَّما هذا أمنيــة فارغة، وحمــق باطل، وصدق رســول الله ﷺ إذ يقول: «**الكَيِّسُ من دان نَفْسَــه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفســه هواها وتمنَّى على الله الأماني**»[(١)].

وقال علي بن أبي طالب: إيَّاكم والاتِّكالَ على الأماني؛ فإنَّها بضائع النوكى، أي: الحمقى[(٢)].

والشاعر يقول:

ولا تكُنْ عبــدَ المُنَــى؛ فالمُنَى رؤوسُ أمــوالِ المفاليــسِ[(٣)]

وقال آخر:

أُعَلِّــلُ بالمُنَى قلبــي؛ لعَلِّي أُرَوِّحُ بالأمانــي الهــمَّ عَنِّي!
وأعلم أنَّ وَصْلَــكَ لا يُرَجَّى ولكن لا أقلَّ مــن التَّمَنِّي[(٤)]**!**

٤ ـ اليأس من رحمة الله:

ماذا يحول بين العبد وربِّه؟

(١) رواه أحمد (١٧١٢٣)، وقال مخرِّجوه: إســناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة والرقائق (٢٤٥٩)، وقال: حسن. وابن ماجه في الزهد (٤٢٦٠)، والحاكم في التوبة (٢٨٠/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن شداد بن أوس.

(٢) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد (١٠٢/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

(٣) من شعر أبي بكر الخالدي. انظر: التمثيل والمحاضرة صـ١١٣، نشر الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٤) هو ابن العفيف التلمساني. انظر: نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن صـ٢١٣، نشر مطبعة التقدم العلمية، مصر، ط١، ١٣٢٤هـ.

QaradawiBooks.com

أهي استهانة بالمعاصي؟ أم طول الأمل وتسويف وتأجيل؟ أم هو اتِّكال على عفو الله؟ أم هو يأس من رحمة الله؟!

إنَّ الَّذين ييأسون من رحمة الله، وينظرون إلى الدُّنْيا وقد تقطَّعت أسبابها، فيُعرِضون عنه إعراضًا، ويصدُّون عنه صدودًا، وينفضون أيديهم من التَّوبة: جاهلون مخطئون في حقِّ الله؛ فإنَّ الله **يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النَّهار، ويبسط يده بالنَّهار ليتوب مسيء الليل، حتَّى تطلع الشمسُ من مَغْرِبِها**[(١)].

إنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**والَّذي نفْسِي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يُذْنِبون، فيستغفرون فيَغفِر لهم**»[(٢)].

وقال الله في الحديث القدسي: «**يا ابنَ آدم، لو أتيتَني بقِرَاب الأرض خطايا، ثمَّ لَقِيتَني لا تشركُ بي شيئًا لأتيتُكَ بقِرَابها مغفرة**»[(٣)].

التَّوبة ثمرة رمضان:

إنَّ المسلم حقًّا هو الَّذي اقتطف أعظم ثمرة من رمضان، وندم على المعصية، وعزم على الطاعة، واحترق قلبه بنار الحسرة على ما فات، ثمَّ عاد مخلصًا؛ فإن باب الله ليس عليه حاجب ولا بواب؛ بابه مفتوح لكلِّ طالب حتَّى تطلع الشمس من مغربها.

---

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٩)، وأحمد (١٩٥٢٩)، عن أبي موسى.

(٢) رواه مسلم في التوبة (٢٧٤٩)، وأحمد (٨٠٨٢)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٤٠)، وقال: حسن غريب. عن أنس. وقال ابن رجب في شرحه جامع العلوم والحكم (٢/٤٠٠): إسناده لا بأس به.
و«قراب الأرض»: أي ما يقارب ملأها.

QaradawiBooks.com

ليس عجيبًا أن يخطئ ابن آدم، فهو مخلوق من طين، والطين لا يخلو من كدر، وما سمِّي الإنسان إنسانًا إلَّا لنسيانه، ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [طه: ١١٥].

وقال النَّبي ﷺ: «**مثَل المؤمن كمثل السنبلة تخرُّ مرَّة وتستقيم مرَّة**»(١).

إنَّما العجيب كلُّ العجيب: أن يتشبَّث بالذنوب، ويتمادى في الخطأ، ويصرُّ على عدم مصالحته لربِّه.

أمَّا إنَّه إذا أذنب ثمَّ تاب فإنَّ الله يقول: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥]، والأوَّاب: كثير الأوبة إلى الله، كلَّما عصى ربَّه آب إليه، ولم ييأس من رَوحه؛ فإنَّ مغفرة الله تعالى أوسع من ذنوبه، وأكبر من معاصيه.

وقال النَّبيُّ ﷺ: «**كلُّ ابن آدم خطَّاء وخير الخطَّائين التوَّابون**»(٢).

أيُّها المسلم، إنَّ أعظم ثمرة تقتطفها من رمضان: إنَّما هي توبة صادقة، توبة نصوح نقرع بها باب ربِّنا، ونغسل بها ذنوبنا بدموعنا، ونرجع بعدها بقلوب صافية، وعزائم جديدة، لا تنثني للشيطان، ولا تلين للغُوَاة الغُزَاة، الَّذين يغزون القلوب، كما يغزو الاستعمار البلاد والشُّعوب.

---

(١) رواه أحمد (١٤٧٦١)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٧٤٥): رواه أحمد وفيه ابن لهيعة، وفيه كلام، ورواه البزَّار ورجاله ثقات. عن جابر.

(٢) رواه أحمد (١٣٠٤٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة (٢٤٩٩)، وقال: حديث غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢٥١)، وصحَّحه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٤١٤/٥)، وقال: غرابته هي أن علي بن مسعدة، ينفرد به عن قتادة، وقال ابن حجر في بلوغ المرام (١٤٩١): إسناده قوي. عن أنس.

QaradawiBooks.com

علامة التَّوبة النَّصوح:

وعلامة هذه التَّوبة: أن يهجر الإنسان بيئة الشرِّ، ويبحث عن وسط خير، وبيئة طيِّبة كريمة ليتقبله الله، ويسلكه في حزبه الغالبين، ويدخله برحمته في عباده الصالحين.

وقد روي في بعض الآثار القدسيَّة أنَّ الله يقول: «**إنِّي والجنَّ والإنس في نبأٍ عظيم، أخلق ويُعبد غيري، وأرزق ويُشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرُّهم إليَّ صاعد، أتحبَّب إليهم بنعمي، وأنا الغنيُّ عنهم، ويتبغَّضون إليَّ بالمعاصي، وهم أفقر شيءٍ إليَّ، من أقبل إليَّ تلقَّيته من بعيد، ومن أَعرض عني ناديته من قريب، ومن ترك لأجلي أعطيته فوق المزيد، ومن أراد رضاي أردت ما يريد، ومن تصرَّف بحولي وقوَّتي ألنت له الحديد.**

أهل ذِكري أهل مُجالستي، وأهل شُكري أهل زيارتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أقنِّطهم من رحمتي، إن تابوا إليَّ فأنا حبيبهم؛ فإنِّي أحبُّ التوَّابين وأحبُّ المتطهِّرين، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهِّرهم من المعايب.

من آثرني على سواي آثرته على سواه.

الحسنة عندي بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

والسيئة عندي بواحدة، فإن ندم عليها واستغفرني غفرتها له.

أشكر اليسير من العمل، وأغفر الكثير من الزلل، رحمتي سبقت غضبي وحلمي سبق مؤاخذتي وعفوي سبق عقوبتي»[1].

* * *

(١) مدارج السالكين (٢١٢/١)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

٦
نساء اليوم[١]

غير مرخصة للطباعة

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا معشر المسلمين:

أصل الداء ومحور البلاء:

لقد تحدَّثنا قبل الجمعة الماضية عن الشَّباب، وما عليه من واجبات، وما يُعقد عليه من آمال، ورأينا كيف فسد الشَّباب، وكيف ظلَّ يتسكَّع في الطرقات، وكيف نسي مهمَّته، وأغفل واجبه، وتركه الآباء، وأطلقوا له العنان، وأهمل في حقِّه أولياء الأمور، ولكنَّا بجانب ذلك لا ننسى فساد النِّساء.

إذا ذكرنا الشَّباب، وإذا تألمنا للشَّباب، فيجب أن نذكر أمرًا آخر هو: أصل الداء ومحور البلاء، يجب أن نذكر: فساد النِّساء فإذا فسد النِّساء فسد الشَّباب، أمران متلازمان، كلٌّ منهما سبب ونتيجة للآخر.

كيف نطالب الشَّباب بالاستقامة وبالسير على الجادَّة، وعلى أمر الله وكيف يتجنَّب الخطايا، ويبتعد عن طريق الشيطان، وهو إذا سار سارت

(١) أُلقيت في ٢٦ من ذي القعدة ١٣٧٢هـ الموافق ٧ أغسطس ١٩٥٣م.

QaradawiBooks.com

الفتنة بجانبه، إذا تطلَّع عن يمينه وعن شماله لم يجد إلَّا الخلاعة مجسَّمة، والفجور يسعى على قدمين؟

كيف نطالب الشَّباب بالاستقامة، والحياة بجانبه تدعوه إلى الإثم، وتغريه بالفسوق، وتحضُّه على الرذيلة؟

كيف نضع الفحم بجوار النَّار، ثمَّ نقول له: يا فحم، إياك أن تشتعل؟!

أدِر بصرك على هذا المجتمع الَّذي نعيش فيهثمَّ انظر، ماذا ترى؟

ترى فيه تحلُّلًا، وترى فيه إباحية، وترى فيه فسادًا عريضًا.

نساؤنا ونساء السَّلف:

لقد كانت المرأة أيام السَّلف الصالح تستحيي أن تكشف النِّقاب عن وجهها، وكانت تعتقد أنَّها درة مكنونة، وجوهرة مصونة، إذا تعرَّضت لعبث الأيدي احتُقرت وابتُذلت.

أمَّا المرأة في هذه الأيام: فقد أصبحت تعتقد في نفسها أنَّها دُمية للعبث واللعب، تخوض الطرقات، وتزاحم الرِّجال بالمناكب في الأحفال والمراقص.

أمَّا المرأة الآن، فقد كشفت بُرقع الحياء عن وجهها، وخالطت الرِّجال كأنَّها رجل، أو أقلّ حياء من الرَّجل.

فكم تساوي المرأة اليوم بميزان الإسلام، وقد فقدت الحياء، وقلَّدت المرأة الغربية شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع؟!

QaradawiBooks.com

اكتبوها في مكارم الأخلاق:

حدَّثوا أنَّ امرأة اشتكت زوجها بالمتأخِّر من مهرها، فذهبت إلى القاضي، وأراد القاضي أن يرى الشُّهود وجهها.

فقالت المرأة: ولماذا هذا؟

فقال القاضي: لا بدَّ من أن يرى الشُّهود وجهك؛ ليكون الحُكم عادلًا.

فقالت: إذا أدَّى الأمر إلى أن يرى الشُّهود وجهي فأشهدكم أنِّي تنازلت عن حقِّي.

وبلغ ذلك الزوج، فقال: أمَّا وقد فعلت ذلك، فإنِّي أعطيها ما طلبت بلا محاكمة ولا قضاء.

فقال القاضي: تُكتب هذه من مكارم الأخلاق!

هذا مع أنَّ القول الصحيح: إنَّ النِّقاب فضيلة لا فريضة.

هكذا كان المجتمع الإسلامي، وكانت الفضيلة في قوم أُشربت قلوبهم الإيمان.

عُرْي مقيت وتبرُّج مرفوض:

ماذا نرى اليوم؟

نرى ما قاله رسول الله ﷺ: «**نساء كاسيات عاريات مائلات مُميلات، رؤوسهنَّ كأسْنِمة البُخت، لا يَدخلن الجنَّة ولا يجدْنَ رِيحَها، وإنَّ رِيحَها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[1].

(١) رواه مسلم في اللِّباس والزينة (٢١٢٨)، وأحمد (٨٦٦٥)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هذا ما نـــرى اليوم، آنســـات وهـــنَّ متبجِّحـــات، وزوجـــات وهنَّ متحلِّلات، لابسات وهنَّ عاريات.

إي وربي، ملبس يصف ما تحته، ويكشف عمَّا وراءه كأنَّما صُنع من زجاج، لا يستر عورة، ولا يغطِّي مكشوفًا، فكيف نرضى لأنفسنا أن نصل إلى هذا؟

إنك لو ذهبت إلى أحد الشواطئ والمصايف، ورأيت ما هناك لهالك ما رأيت؛ ترى النِّســـاء العاريات، أو شِـــبه العاريات، تـــرى الحياء وهو يُذبح، تـــرى الفضيلة ودمها يراق، ترى الأجســـام الَّتـــي تعرض لحومًا رخيصة تباع على أعين النَّاس، وبعد هذا يقال: مسلمون ومسلمات! وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**أيُّما امرأةٍ نزعت ثيابَها في غير بيت زوجها، إلَّا هتكت سِتر ما بينها وبين ربِّها**»[(١)].

وهاهنَّ اللَّاتي يخلعن ثيابهن على «البـــلاج» وعلى جوانب البحار، وعلى مرأى من الشَّباب والرِّجال.

أي رجولة بقيت للرَّجل الَّذي لا يغار؟! وأي أنوثة بقيت للمرأة الَّتي لا تخجل؟!

إذا لَـــمْ تَخْـــشَ عاقبـــةَ الليالـــي ... ولـــم تَسْـــتَحْيِ فاصنعْ ما تشـــاءُ
فلا واللهِ مـــا فـــي العَيْـــشِ خَيْرٌ ... ولا الدُّنْيـــا إذا ذهـــب الحيـــاءُ[(٢)]

---

(١) رواه أحمد (٢٤١٤٠)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وأبو داود في الحمام (٤٠١٠)، والترمذي (٢٨٠٣)، وقال: حسن. وابن ماجه (٣٧٥٠)، كلاهما في الأدب، عن عائشة.

(٢) من شعر أبي تمام. ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية ونسبه إلى حبيب بن أوس (٢٢٧/٢)، نشر عالم الكتب، وذكره من غير نسبة أبو حيان التوحيدي في البصائر والذخائر (١٨١/٨)، تحقيق د. وداد القاضي، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

فساد المرأة فساد لكلِّ شيء:

إنَّ الأمَّة الَّتي تفسد فيها المرأة يفسد فيها كلُّ شيء.

بفساد المرأة يفسد الشَّباب، وبفساد الشَّباب تفسد الأمَّة، وبفساد الأمَّة يفسد اجتماعها، تفسد سياستها، ويفسد جيشها، وتفسد شرطتها، ويفسد اقتصادها؛ لأنَّ الشَّباب بمثابة قلبها، وإذا صلُح القلب صلُح الجسد كلُّه، وإذا فسد القلب فسد الجسد كلُّه.

ويقول رسول الله ﷺ: «**ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرِّجال من النِّساء**»[1].

وإنَّما تكون المرأة فتنة إذا تَركت مكانها الطبيعي، ومقرَّها الفطري، إذا فقدت خُلق الحياء، الَّذي هو حليتها قبل الذهب والجواهر.

تكون فتنة إذا تركت بيتها، وخرجت إلى الشارع لغير حاجة، إلَّا لتجذب أنظار الرِّجال، وتثير غرائز الشَّباب!

المرأة هي مديرة البيت أو مُرَبِّيته ورئيسته، تطهو طعامه، وتُنَظِّم أثاثه، وترعى أولاده، وتعمل ما تستطيع من راحة لزوجها.

مكانها أنْ تجعل البيت جنَّة من جنان الفردوس في الدنيا، فيه راحة البدن، وسكون النَّفس، وطمأنينة القلب، ونعيم الحياة، يجيء الرَّجل من عمله متعبًا فيرتاح في بيته، منغَّصًا فيسعد بين أهله، فما للحال أصبحت غير الحال؟!

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في النِّكاح (٥٠٩٦)، ومسلم في الذِّكْر والدُّعاء (٢٧٤٠) عن أسامة بن زيد.

QaradawiBooks.com

لمن تكون الزينة؟

يفرض الإسلام أنْ تتزيَّن المرأة في بيتها، وأنْ تتجمَّل وتتعطَّر لزوجها، ولكن الآية قد انقلبت، تظلُّ المرأة في البيت على أسوأ حال؛ تلبس الخَلق البالي من الثياب، حتَّى إذا تهيَّأت للخروج إلى الشارع وقفت أمام المرآة ساعة، أو أكثر، تضع ألوان الأصباغ وفنون المساحيق.

نعم تطمئنُّ على أناقة الملبس، وجمال الهندام، وروعة المنظر، وتصنع النماذج والبروفات للبسمات والضحكات، واللفتات والإشارات.

أجل تقف المرأة ساعة أو ساعات، وتكسل أنْ تقف بين يدي الله دقائق معدودات، وتخرج المرأة بكلِّ ما عندها من زينة، وبكامل ما عندها من مغريات الفتنة، تعرض نفسها للنَّاس كأنَّها تقول لهم: هيأ انظروا وتأمَّلوا!

ما هكذا تكون الفضيلة، وما هكذا يكون الحياء!

ما هذه إلَّا الرذيلة والخلاعة الَّتي يَبِيض الشيطان فيها ويَفْرخ، والَّتِي يُعَشِّش فيها إبليس، ويتَّخذ منها أحابيله ومصايده.

لقد قال إبليس لمثل هذه المرأة المتبرجة المتمرِّدة على طبيعتها: أنت موضع سِرِّي، وأنت نصف جندي، وأنت سهمي الَّذي بك أرمي فلا أخطئ.

فهل عرفنا ما علينا؟

هل ربَّى الأب ابنته، وراقب الزوج زوجته، ونصح الأخ أخته، وأصبح كلٌّ منَّا عينًا يقظة متطلِّعة إلى ما يدور خلفه، وإلى ما يدبَّر حوله؟

QaradawiBooks.com

ربُّوا نساءكم وإلَّا:

يجب أنْ يغرس الأب في ابنته منذ نعومة أظافرها الفضيلة، ويُؤَدِّبها بأدب الله ورسـوله، ويُعَلِّمها معاني الحياء، ومعنى احمرار الخد حينما تُذكر كلمة نابية.

حُمرة خد الفتاة دليل على وجود الحياء فيها.

أمَّا أولئك النِّساء المُتَفَلِّتات فتستمع إحداهنَّ الكلام القبيح وتضحك له وتُقَهْقِهُ، وترى المرأة تتأبَّـط ذراع الرَّجل الأجنبي عنها، والفتاة تتأبَّط ذراع الفتى.

حقائق مسترذلة.

إنَّـه إذا اسـتجملت[1] النَّاقة، فما أشـدُّ المصيبة، وحينمـا يتخنَّث الشَّباب، وتسترجل المرأة، وتستجمل النَّاقة، ويستنوق الجمل، وقد رُوي عن النَّبي ﷺ: «**كيف أنتم إذا طغى نسـاؤكم** ـ أي: خرجن على رجالهنَّ وطبيعتهنَّ ـ **وفسق شبابكم، وتركتم جهادكم؟**»

فقال الصَّحابة: وكائن ذلك يا رسول الله؟

قال: «**نعم، والَّذي نفسي بيده، وأشدُّ منه سيكون**».

قالوا: وما أشدُّ منه يا رسول الله؟

قال: «**كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟**».

قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟

قال: «**نعم، والَّذي نفسي بيده، وأشدُّ منه سيكون!**»

(١) استجملت الناقة: أي صارت جملًا، أو حاولت أن تكون.

QaradawiBooks.com

قالوا: وما أشدُّ منه يا رسول الله؟

قال: «**كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا؟**».

قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟

قال: «**نعم، والَّذي نفسي بيده، وأشدُّ منه سيكون**».

قالوا: وما أشدُّ منه يا رسول الله؟

قال: «**كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟**»

قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟

قال: «**نعم، والَّذي نفسي بيده، وأشدُّ منه سيكون، قال الله تعالى: بي حلفت لأُتيحنَّ لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران**»[1].

هكذا علَّمنا هذا الحديث الشريف كيف يتوالد الفساد، ويتسلسل الانحراف.

كأن الفساد سلسلة متماسكة الحلقات، حلقة تتبعها حلقة.

تطغى النِّساء، فيفسد الشَّباب، فتضعف الهِمم، فيُترك الجهاد، فيُترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإذا فشا المنكر أَنس النَّاس به، واطمأنوا له، وصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا.

ثمَّ تتدرَّج الحال من سيِّئ إلى أسوأ؛ فيأمر النَّاس بالمنكر وينهون عن المعروف، شأن مجتمع المنافقين الَّذين وصفهم الله بقوله:

(١) رواه ابن أبي الدنيا (٣٢)، وعبد الغني المقدسي (٥٦)، كلاهما في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقال العراقي في تخريج الإحياء صـ٧٨٤: إسناده ضعيف. عن أبي أمامة الباهلي.

QaradawiBooks.com

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التَّوبة: ٦٧].

إنَّها فتنة يصير الحليم فيها حيران، بدأها طغيان النِّساء وفساد الشَّباب.

إنَّ القرآن الكريم يقول: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النِّساء: ٣٤]، ولكن العصر الحديث ومنطق الحضارة الأوربيَّة يقول: «النِّساء قوَّامات على الرِّجال».

المرأة أصبحت تتحكَّم في زوجها وتمسك بزمامه، وتُبَدِّد ثروته في أحدث الأزياء وأغلى الأصباغ، فتعس عبد الزوجة.

وفي الحديث: «**إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأمركم شورى بينكم، فظهرُ الأرض خيرٌ لكم من بطنها.**

وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأموركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خيرٌ من ظهرها»[(١)].

يا أيَّها النَّاس، يا أيَّها المسلمون، عودوا إلى الفِطرة، عودوا إلى فضائل الإسلام.

ليعرف الرَّجل حقَّه، ولتعرف المرأة وظيفتها، وليعرف الشَّباب رسالته، وليطلب كلٌّ ما له، ويُؤَدِّي ما عليه، والله معنا ولن يَتِرنا أعمالنا.

يقول رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنَّة: الديوث، والرَّجُلة، ومدمن خمر**».

(١) رواه الترمذي في الفتن (٢٢٦٦)، وقال: حديث غريب، لا نعرفه إلَّا من حديث صالح المري، وصالح المري في حديثه غرائب ينفرد بها، لا يتابع عليها، وهو رجل صالح. وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٣٩٣). عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

قالت الصَّحابة: أمَّا مدمن الخمر فقد عرفناه يا رسول الله، فما الرَّجُلة من النِّساء؟ فقال: «**الَّتي تشبَّه بالرِّجال**»[١].

لا تسمعوا لهذه الشائعات:

كأنِّي أُحِسُّ ببعض الجاهلين الَّذين ضلَّت عقولهم، أو المغرضين الَّذين مرضت قلوبهم، يَشِيعون عنَّا: أنَّنا نريد أن نحجر على فم المرأة حتَّى لا تتكلَّم، وعلى صدرها حتَّى لا تتنفَّس، وعلى عقلها حتَّى لا تتعلَّم، وعلى قلبها حتَّى لا تحبُّ ولا تكره، وعلى جسدها حتَّى لا تتزيَّن.

لا نعجب أن يَشِيعوا عنَّا مثل هذا؛ فالغرض مرض، والهوى إلٰه معبود ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

نظرة الإسلام للمرأة:

ونسي هؤلاء أو تناسوا أنَّ الإسلام أوَّل رسالة كرَّمت المرأة من هوان، وأعزَّتها من ذُلٍّ، وعلَّمتها من جهل، وانتشلتها من هُوة سحيقة، ونقلتها من متاع رخيص إلى إنسان عاقل، له حقوق وعليه واجبات! إنسان ذي أهلية كاملة للتكليف، وله ذمَّة ماليَّة كاملة، يملك ويتصرَّف، ويبيع ويشتري كما يشاء، وجعلت طلب العلم فريضة عليه، كما هو فريضة على الرَّجل.

وصنعت في مصنع البطولة نساء مسلمات بجانب الرِّجال المسلمين.

(١) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٢٠٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٣١٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٧١): صحيح لغيره. عن عمار بن ياسر.

QaradawiBooks.com

لقد كرَّم الإسلام المرأة بنتًا لأب، وكرَّمها زوجة لرجل، وكرَّمها أمًّا لأولاد.

نعم كرَّمها الدين بنتًا فأنقذها من الوأد المقيت، وأنكر هذا الجُرم الشنيع ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩]، وجعل ولادتها بُشرى، وتربيتها رحمة ومثوبة.

وكرَّمها زوجة، فجعل لها مثل ما عليها، إلَّا درجة الإشراف والقوامة للرَّجل، وأمر بمعاشرتها بالمعروف ومعاملتها بالحسنى، وجعل الزواج بها من آيات الله البيِّنات، ومن نِعمه الباهرة «**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**»(١).

وكرَّمها أمًّا؛ فجعل الجنَّة تحت أقدامها، وضاعف الوصيَّة بها: مَن أحقُّ النَّاس بحسن صحابتي؟

قال: «**أمُّك، ثمَّ أمُّك، ثمَّ أمُّك، ثمَّ أبوك**»(٢).

وكرَّمها كذلك، عضوًا في المجتمع المؤمن ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التَّوبة: ٧١].

فهل بعد هذا التكريم من تكريم لو فقهوا؟ وهل بعد هذه العناية من عناية لو أنصفوا؟

ولكنَّهم لا يفقهون ولا يُنصفون.

إنَّما تنفع المقالةُ في المَرْءِ إذا صادفتْ هوًى في الفُؤَادِ(٣)

---

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧١)، ومسلم في البرِّ والصِّلة (٢٥٤٨)، عن أبي هريرة.

(٣) من شعر أبي الطيب المتنبي. انظر: لباب الآداب للثعالبي صـ١٩٨، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

من حقوق المرأة في الإسلام:

نحن نطالب بحقِّ المرأة ـ بل واجبها ـ في أنْ تتعلَّم ما أمكنها من علوم الدِّين والدُّنيا؛ فالعلم ليس مقصورًا على الرِّجال، وطلب العلم فريضة على كلِّ مسلم ومسلمة.

ونُطالب بحقِّ المرأة في أنْ تعمل، وأنْ تُهيَّأ لها سبل العمل الملائم لها، ما دامت ملتزمة بأدب المسلمة في اللباس والمشي والنَّظر والحركة واللقاء بالرِّجال.

ونطالب بحقِّها ـ بل واجبها ـ أن يكون لها نشاطها في خدمة المجتمع، وعمل الخير، والمشاركة في الدعوة إلى الله، وتعليم النَّاس الخير.

أمَّا أنْ تتمرَّد المرأة على أنوثتها، وتتنكَّر لفطرتها ورسالتها، وتتحدَّى الأمومة الكامنة في حناياها؛ لتذرع الشوارع ذهابًا وإيابًا، ولتكون نائبة من «النوائب»، أو وزيرة من «أوزار» الدولة، أو سفيرة من «السفائر»، فتذهب إلى أمريكا، وتخلف زوجها في مصر ينعى الوحدة، ويشكو الوحشة، فليس هذا ممَّا يشرِّف المرأة أو يسعدها، فليتها تعرف قدرها؛ فتعود إلى عرينها، تربِّى فيه أشبال اليوم وأسود الغد.

لا، لا يا أخت فاطمة الزهراء، وعائشة أم المؤمنين، وأسماء ذات النطاقين، وسكينة بنت الحسين.

عودي إلى عُشِّكِ الأمين، عودي إلى حضنك المكين، عودي إلى مَيْدَانك الَّذي خصصت به دون الرِّجال، فرابطي فيه، وجاهدي هناك بسلاح القدوة الحسنة، والتربية الحيَّة، والخُلق المتين.

QaradawiBooks.com

عودي ـ يا أختاه ـ ولا تسمعي عواء ذئاب الطرقات، وحيل الصقور الَّتي تريد إخراجك من عشِّكِ الوديع.

اسعي ـ يا أختاه ـ أن تخرجي لنا عمرَ كعمر، وخالدًا كخالد، ومعاذًا كمعاذ.

ربِّي الأجيال، واصنعي الأبطال، وقومي على تنشئة الرِّجال.

ورحم الله شاعر النيل الَّذي قال:

الأمُّ مَدْرَسَةٌ إذا أعددتَها أعددتَ شعبًا طيِّبَ الأعراقِ[1]!

عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**صنفان من أهل النَّار لم أرهما: رجال معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها النَّاس، ونساء كاسيات عاريات، مُمِيلات مائلات، رؤوسهنَّ كأسنِمة البُخت المائلة، لا يدخلن الجنَّة، ولا يجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[2].

والحديث ـ كما نرى ـ من أعلام النُّبوة؛ فهو تصوير دقيق من وراء الغيب لنساء عصرنا، كما ربط بين الاستبداد السياسي والانحلال الأخلاقي، وهو أمر واقع.

ادعوا الله يستجب لكم.

* * *

(١) ديوان حافظ إبراهيم صـ٢٧٠، تصحيح أحمد أمين بك وآخرين، نشر دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٤٨م.

(٢) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨)، وأحمد (٨٦٦٥)، عن أبي هريرة.
ومعنى «مميلات»: أنهنَّ يعلِّمن غيرهن الميل. ومائلات: يمشين المشية المائلة.

QaradawiBooks.com

٧

هذا ماضينا فأين حاضرنا[١]؟!

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا معشر المسلمين:

بين الأمس واليوم:

ننظر إلى ماضينا ثمَّ نقارن بينه وبين حاضرنا، فيرتدُّ الطرف خاسئًا وهو حسير، باكيًا والقلب حزين، نعود وتفيض العيون عَبرات وعَبرات، ويوقد في القلب حسرات وحسرات.

كنَّا أقوياء، فأصبحنا ضعفاء!

كنَّا أعزَّة، فصرنا أذلَّاء!

كنَّا أغنياء، فبتنا فقراء!

كنَّا سادة، فأصبحنا عبيدًا!

كنَّا نحكم الدنيا، فأصبحنا أذلَّ المحكومين!

كانت كلمتنا هي المسموعة، ورأينا هو السائد، وقولنا صدق،

(١) أُلقيت في ١١ ربيع الثاني ١٣٧٣هـ الموافق ١٨ ديسمبر ١٩٥٣م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وحُكمنا عَدل، فأصبحنا لا يُسمع لنا رأي، ولا يُطاع لنا أمر، ولا يُحترم لنا قول، بل تعزَّز علينا الذليل، واستقوى علينا الضعيف، واستنسر بأرضنا البُغاث، حتَّى الَّذين ضُربت عليهم الذلَّة والمسكنة أصبحوا يذيقوننا كؤوس الأذى ومرير العذاب، ونحن مع هذا غافلون، وفي سكرتنا لاهون، وفي غمرتنا ساهون.

قوَّة يحسب لها ألف حساب:

لقد كنَّا أقوياء، وكانت الدُّنْيا تحسب لنا ألف حساب وحساب، وكان الشرق والغرب يعرف لنا قدرنا وحقَّنا، ويدرك قوَّتنا وعزَّتنا.

لقد صاحت امرأة في بلاد الروم للمعتصم العباسي فقالت حينما أريد لها الذلَّة: وا معتصماه.

وبلغ نداؤها الخليفة المعتصم، رغم الجبال والبحار، فلم يسد أُذنًا من طين، وأُذنًا من عجين، ولم يبعث باحتجاج تافه حقير، ولم يرسل خطابًا تهديديًّا، ولكنَّه كان مجيبًا جوابًا واقعيًّا.

جوابه ـ احتجاجه ـ أنْ جيَّش الجيوش، وجنَّد الجنود؛ لتؤدِّب أعداء الله المستكبرين[1].

وفي عهد عمر بن عبد العزيز بلغه أنَّ رجلًا أسيرًا مسلمًا في بلاد الروم أهانه آسروه واستذلُّوه، فأرسل عمر هذه الكلمات بمثابة إنذار وتهديد لملك الروم، قال: أمَّا بعد، فقد بلغني أنكم أردتم أن تستذلُّوا أسيرًا مسلمًا كتب الله له العزَّة، فإذا وصلك خطابي هذا فأطلق سراحه، وفكَّ أسره، وإلا بعثت إليك بجنود أولها عندك وآخرها عندي!

(١) للمزيد راجع: فتح عمُّورية من تاريخ الطبري (٢٣٣/٥).

QaradawiBooks.com

وما كان لهؤلاء الأعداء إلَّا أنْ أطلقوا سراحه، وخلَّوا سبيله[١].

وكان الخليفة العباسي الشهير هارون الرشيد يتحدَّى السَّحابة في السماء، ويقول لها بعد أن تحرَّكت وبعُدت عن بغداد: شرِّقي ـ أيَّها السحابة ـ أو غرِّبي، وأمطري حيث شئت، فسيأتيني خَراجك[٢].

هكذا كنَّا أقوياء؛ كانت جيوشنا تنطلق في أرض الله، القرآن في صدورهم، والسيوف في أيديهم، والإيمان في قلوبهم، لا دنيا يريدونها، ولا أموالًا يطلبونها، ولا سلطانًا يبتغونه، ولا جاهًا يتطلَّعون إليه؛ فهم يعلمون أنَّ المال ظلٌّ زائل، وأنَّ الجاه عَرَض حائل، وأنَّ الدُّنْيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، «**ولو كانت الدُّنْيا تعدِل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء**»[٣].

ولكنهم انطلقوا يدعون إلى الله، ويهدون البشريَّة للتي هي أقوَم، ويخرجون النَّاس من الظلمات إلى النُّور، وذهب بعضهم[٤] إلى «رستم» قائد الفرس، فدخل هذا العربي المسلم المجاهد على هذا القائد، وحوله الخدم والحشم، والحجَّاب والحرس، والعرش والتاج، والسندس والإستبرق، وظنَّ هؤلاء أنَّ المظاهر والزخارف والزينات ستأخذ بلباب هذ العربي المقبل من الصحراء القاحلة، والأرض المقفرة.

---

(١) راجع: سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم صـ١٤٨، تحقيق أحمد عبيد، نشر عالم الكتب، بيروت، ط٦، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

(٢) انظر: صبح الأعشى (٢٨٥/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٢٠)، وقال: صحيح غريب. وابن ماجه في الزهد (٤١١٠)، والحاكم في الرقاق (٣٠٦/٤)، وصحَّحه، وقال الذهبي: زكريا بن منظور ضعَّفوه، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٤٣). عن سهل بن سعد.

(٤) هو ربعي بن عامر. انظر: تاريخ الطبري (٤٠١/٢).

QaradawiBooks.com

ولكن الرَّجل المسلم ـ دخل على القائد الكبير ـ يطأ الوسائد، لا يبالي وهو يخرقها برمحه!

لم تغره هذه البُسط والنمارق، والزرابي، والمظاهر.

ثمَّ دخل على القائد فجلس بجواره، فغضبوا وكلَّموه في ذلك فقال: كنت أحسب أنكم مثلنا، ما كنت أحسب أن بعضكم أرباب لبعض؟! نحن إخوة بعضنا لبعض؛ أميرنا كواحد منَّا، يجلس ونجلس معه، ويحادثنا ونحادثه، ولا يتَّخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله.

ثمَّ قال له: من أنتم؟

فقال له: نحن قوم قد ابتعثنا الله لنخرج النَّاس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدُّنْيا إلى سَعتها، ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام، فمن تبعنا إلى ذلك فله ما لنا وعليه ما علينا، ومن وقف في سبيلنا، وصدنا عن غرضنا، قاتلناه حتَّى نفضي إلى موعود ربِّنا.

قال: وما موعود ربِّكم؟

قال: الجنَّة لمن مات، والفوز والنَّصر لمن بقي[1].

هكذا كانت قوَّتهم، وهكذا كان جهادهم وعزَّتهم.

كنَّا أغنى الأمم:

وكانوا أغنى النَّاس في الدُّنْيا مع أنَّهم زهدوا في زخارفها، ووضعوها في أيديهم ولكنَّهم لم يُسكنوها في قلوبهم، وتُقبل إليهم بوجهها وهم عنها معرضون.

(١) تاريخ الطبري (٤٠١/٢).

QaradawiBooks.com

كانوا أغنى النَّاس؛ بحثوا عن فقير مسلم في عهد عمر بن عبد العزيز ليعطوه الزَّكاة فلم يجدوا، وقالوا: لقد عمَّ عدل الإسلام الجميع. فقال عمر: اشتروا بها رقابًا فأعتقوها[١].

أي: بعد أن حرَّر الإسلام النَّاس من الفقر، شرع يحرِّرهم من الرقِّ.

وصدق الله العظيم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

كنَّا سعداء بإيماننا ورسالتنا:

وكانوا سعداء في دينهم ودُنْياهم بإيمانهم وأخلاقهم.

ولستُ أرى السعادةَ جَمْعَ مَالٍ ... ولكنَّ التَّقِيَّ هو السَّعِيدُ[٢]

هي السعادة الَّتي تنبع من القلب، وتطمئن بها النَّفس، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرَّعد: ٢٨]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

حدَّثوا أنَّ عمر غاضب زوجَتَه أمَّ كلثوم بنت عليٍّ، فقال لها متوعِّدًا: لأُشْقِيَنَّكِ!

فقالت: لا تستطيع أنْ تَشْقِيَني؛ لأنِّي لا أرى سعادتي في مال تستطيع أن تقطعه عَنِّي، ولكنِّي أرى سعادتي في إيماني، وإيماني في قلبي، وقلبي لا سلطانَ لأحدٍ عليه غير الله ربِّي.

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد بن عبد الحكم صـ٦٥.

(٢) ديوان الحطيئة رواية وشرح ابن السكيت صـ٧٩، تحقيق مفيد محمد قميحة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

كنَّا أساتذة الدنيا:

كنَّا أســاتذة الدنيا، وقادة الحضارة، ومُعَلِّمي البشــريَّة، نحو ثمانية قرون؛ اقتبســت منَّا أوربا المنهــج العلمي والتجربــة، وتعلَّمت منَّا في الحروب الصليبيَّة، وفي الأندلس، وفي صقليَّة وغيرها.

وكانت كتبنا العلميَّة مراجعهــم الأولى، وعن طريق علمائنا وحدهم عرفوا فلسفة أرسطو، وعلوم أرسطو.

كنَّا في رأس القافلة، وكنَّا نحــن الآخذين بزمامها، وكنَّا نعلِّم النَّاس العلم والإيمــان، كنَّا نُعَلِّمهم أخــلاق الدين وإبداع الدنيــا. كذلك كُنَّا، وهكذا أصبحنا!

لقد أصبحنا في المؤخِّرة بعــد أنْ كنَّا في الطليعة والمُقَدِّمة، وأصبحنا في الحضيض بعد أنْ كُنَّا في الذروة، وأصبحنا تلاميذ بعد أنْ كنَّا أساتذة الدُّنْيا وقادتها، وأصبحنا نتلقَّى العلم على يد غيرنا بعد أنْ كنَّا نُلَقِّنه لغيرنا.

لقد أهدى هارون الرشــيد ســاعةً دقَّاقة تدور بالماء إلى «شرلمان» إمبراطور الروم، فارتعشــت فرائصهــم، وخافوا وقالوا: إنَّ المســلمين يُسَخِّرون الجنَّ والعفاريت[1].

لقد كانت «قرطبة» عاصمة الأندلس منارة العلوم والمعارف، وظلَّت نحو ثمانية قرون تنشر العلم والنُّور.

«قرطبة» كانت تُضاء بالمصابيح، بينمــا كانت أوربا تغيب في ظلام الليل.

---

(١) انظر: الدر المنثور في طبقات ربَّات الخدور (٤٢٤/١)، نشر المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط١، ١٣١٢هـ.

QaradawiBooks.com

«قرطبة» كانت شوارعها مرصوفة، بينما كانت أوربا غارقة في الأوحال.

«قرطبة» كان فيها (٦٠٠) حمام، بينما كان أهل أوربا لا يهتمُّون بالنَّظافة، حتَّى القسيسون والرهبان يقولون: إنَّ النَّظافة بُعد عن الله، ويقول أحدهم: رحم الله القديس فلانًا؛ لقد عاش خمسين عامًا ولم يقترف إثم غسل الرِّجلين!

ويقولون: وا أسفاه! لقد كان مَن قبلنا يعيش طول عمره، ولا يبلُّ أطرافه بالماء، ولكنَّا أصبحنا في زمن يدخل فيه النَّاس الحمام! فانتقلت العدوى إليهم[1].

كان كثير من سراة أوربا لا يعرفون توقيع أسمائهم بينما كانت قرطبة منارة العلم والعرفان.

ينظر الإنسان إلى هذا الماضي العزيز، فيعود بأعين باكية، وقلوب حسرى، ويفكِّر في هذا الماضي، كنَّا أمراء وكنَّا أقوياء، وكنَّا أوصياء على هذه البشريَّة القاصرة فأصبحنا هكذا في مؤخِّرة القافلة!

حاضر مؤسف:

يا معشر المسلمين، هذا هو ماضينا العظيم، أمَّا حاضرنا فالحال كما ترون.

مِحنة فلسطين:

هذه مصر ومراكش وتونس والجزائر وفلسطين... فلسطين الجريحة، فلسطين الذبيحة الَّتي يلاقي أهلها الأمَرَّين، ويذوقون الظلم.

(١) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للعلَّامة أبو الحسن الندوي صـ١٥٨ ـ ١٦٠، لمعرفة المزيد عن عصور الظلام في أوربا، نشر مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر؛ نقلًا عن تاريخ أوربا لمؤلفه مستر «ليكي».

QaradawiBooks.com

فلقد عـاد العائدون مـن مؤتمر القدس ببعـض الأنبـاء الَّتي تثير الأعصـاب، المسـجد الأقصى: أولـى القبلتيـن، وثالث المسـجدين المعظَّمين ـ الذي بارك الله حوله ـ ثالث مساجد الله الَّتي لا تشدُّ الرِّحال إلَّا إليها، هذا المسـجد بُيّتت لـه المؤامرات اليهوديَّـة، ولا ندري ماذا سيكون إن لم يتيقَّظ المسلمون، وهيهات هيهات!

هذه الحفنة أخذت فلسـطين واغتصبتها أمام أعيننا، ونحن نسـمع ونرى! وكنَّا نقول: لا يمكن أن يأتي شـذَّاذ الآفاق، وحجاج الشُّـعوب ويقيموا لهم وطنًا في قلب ديارنا ونحن أحياء!

ولكنهم أقاموا الوطـن، وأقاموا الدولـة، وظلَلْنا نقول: «إسـرائيل المزعومة» حتَّى رأينا الخزي يملأ أفواهنا، فلـم نعد نراها مزعومة، بل رأيناها حقيقة، بل أصبحت تتحدَّى الدول العربيَّة والشُّـعوب الإسلاميَّة فتحتل فلسطين وتصفع هذه الجبهة، وتركل الأخرى.

كلُّ هذا ولا نقدِّم شيئًا، إلَّا أن نرسل احتجاجات إلى هيئة الأمم، أو مجلس الأمن، أو مراقب الهدنة.

يا للفجيعة ويا للعار، ويا للمصيبة ويا للشنار!

يا قومنا، إنَّ فلسطين هي الأنشودة الحزينة، نعرفها ونُرَدِّدها دائمًا.

إنَّه لا ينبغي أن تشـغلنا قضيَّة مصر عن قضيَّة فلسطين؛ فإنَّ مصيرنا واحد، ولقد قال الزعيم المراكشـي «علَّال الفاسـي»: أنا لا أنسى أبدًا قضيَّة فلسـطين، وربَّما أنسى قضيَّة مراكش! لأنَّ فلسـطين ليست بلدًا عاديًّا، بل حرمًا مقدَّسًا من حرمات المسلمين، على المسلمين جميعًا أنْ يدافعوا عنه!

QaradawiBooks.com

يا قومنا، إنَّ مليونًا من اليهود أو أقل يعملون هذا كلَّه، أربعة عشر مليونًا متفرِّقين استطاعوا أن يقيموا دولة، على الرغم من وجود خمسمائة مليون مسلم وثمانين مليون عربي[1].

كارثة اللاجئين:

أليست هذه مصيبة؟ أليست هذه فضيحة الفضائح ومأساة المآسي؟!

لقد رأيت اللاجئين بعيني حين زرتهم في مخيماتهم في صيف سنة ١٩٥٢م، وإنَّ قصة اللاجئين لهي قصة الطير الذبيح، والأسير الجريح، واللحن الحزين، والدمع الثخين، والألم الدفين... فنحن هنا نلبس القطن والصوف، ونسكن البيوت والقصور، ونتغطَّى بالثقيل، ومع هذا كلِّه نشكو البرد، ونرتعد من البرد، فكيف هؤلاء الَّذين يعيشون في خيام ممزَّقة، إذا جرت الرياح الهوج، وعصفت العواصف، خلعت الخيام، فيجرون وراءها حتَّى يمسكوها؟!

إنَّهم لا يحصلون من مواد التموين إلَّا على بعض «الكيلوات» من الدقيق تنتهي في الخامس عشر من الشهر، إنَّ مليونا من اللاجئين يبكون، ولكن لغير حبيب، ويشكون ولكن لغير طبيب، وينادون ولكن أين المجيب؟

فهل نجيب الدعاء، ونلبي النداء، وننصر إخواننا والله يقول: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرات: ١٠]؟

(١) عدد المسلمين الآن يقارب ملياري مسلم، وعدد سكان الدول العربية يقترب من أربعمائة مليون عربي.

QaradawiBooks.com

يا قومَنا، إنَّ إخواننا يذوقون المرَّ، ويلاقون الأسى، ويُقاسون العذاب، وهكذا أصبح حالنا، ولله در الشاعر[١] إذ يقول:

إِنِّي تَذَكَّرْتُ وَالذِّكْرَى مُؤَرِّقَةٌ ... مَجْدًا تَلِيدًا بِأَيْدِينَا أَضَعْنَاهُ
وَيْحَ العُرُوبَةِ كَانَ الْكَوْنُ مَسْرَحَهَا ... فَأَصْبَحَتْ تَتَوَارَى فِي زَوَايَاهُ
كَمْ صَرَّفَتْنَا يَدٌ كُنَّا نُصَرِّفُهَا ... وبات يَمْلِكُنا شَعْبٌ مَلَكْناهُ
أَنَّى اتَّجَهْتَ إلى الإسلامِ في بَلَدٍ ... تَجِدْه كالطَّيْرِ مَقْصُوصًا جَنَاحَاهُ!

بين وعد بلفور ووعد الله تعالى:

يا قومنا، إنَّ وعدًا من الإنجليز حفَّز اليهود على أن يقيموا وطنًا قوميًّا، من وزير خارجية بريطانيا «بلفور» في نوفمبر سنة (١٩١٧م) في الحرب العالميَّة الأولى، حفَّزهم هذا الوعد على العمل، وأشعل الحماسة في صدورهم، وأخذ «هرتزل» يجوب الآفاق، ويجمع الأموال، ويجمع الشَّباب والشَّابات؛ فهاجروا من كلِّ مكان تاركين العزب والضياع، في سبيل أنْ يعيدوا مجدًا قديمًا تحطَّم، ودولة أفنى عليها الدهر ملك سليمان كما يقولون.

وفعلًا أقاموا هذه الدولة، وليست هي كلّ شيء عندهم، بل ما هي إلَّا لقمة بعدها لقيمات، ولطمة بعدها لطمات، فليس الأمر أمر قطعة أرض ملكوها يلتمسون المزيد، بل إنَّهم يتغنون بهذا النشيد: ملك إسرائيل من الفرت إلى النيل! أي: من العراق إلى مصر.

(١) انظر: شعر محمود غنيم الأعمال الكاملة (٧٩/١)، قصيدة: وقفة على طلل، وهي من روائع الشعر العربي في العصر الحديث، نشر دار الغد العربي، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

وعد الإنجليز لليهود وعدًا فعملوا وجاهدوا، ووعدنا الله وعدًا، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النُّور: ٥٥].

وعدنا الله بهذا، فهل حفَّزنا وعد الله على العمل، هل أوقد شعلة الحماسة في الصدور؟ وهل جمع المتفرِّقين؟ وهل ألَّف بين المتخاصمين؟ وهل عملنا وجاهدنا؟!

كلا كلا، لا زلنا في غفلة، لا زلنا في نوم عميق، لا زال يَلعب بأعيننا النوم رغم أنَّ الشمس ساطعة.

القدس قضيَّة الأمَّة الأولى:

يا قومنا، هذا هو حاضرنا، علينا أن ننظر إليه ونستعدَّ للعمل والبذل، وإنَّ قضيَّة فلسطين يجب أن نذكرها دائمًا فهي قضيتنا الأولى، قضيَّة الأمَّة المسلمة في مشارق الأرض ومغاربها.

يجب أن نبذل لهم المال والطعام، والغطاء والثياب، ونحن وقتذاك نبذله للإسلام، نبذله لكرامة القرآن، نبذله لله ربِّ العالمين، نبذله لأنفسنا ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

هؤلاء الخمسمائة مليون مسلم، ليت معنا بدلًا منهم خمسين ألفًا من الرِّجال الَّذين يكثرون عند الفزع ويقلُّون عند الطمع، لا تغريهم المنحة، ولا تفتنهم المحنة، ولا يغريهم وعد، ولا يثنيهم وعيد!

ليت لنا اثني عشر ألفًا يحملون اللواء، ويكونون من الصادقين.

يا معشر النَّاس:

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

يقول رسول الله ﷺ: «**يوشك أنْ تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة ـ أو الآكلة ـ إلى قصعتها**».

قالوا: أومن قلَّة نحن يا رسول الله؟

قال: «**لا أنتم يومئذ كثير، ولكنَّكم غثاء كغُثَاء السَّيْل، ولينزعنَّ اللهُ المهابةَ منكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوهن**».

قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟

قال: «**حبُّ الدنيا، وكراهية الموت**»[١].

وقال ﷺ فيما رواه الشَّيخان: «**لن تقوم الساعة حتَّى تقاتلوا اليهود فيختبئ اليهودي وراء الحجر، فيقول الحجر: يا عبد الله ـ وفي رواية: يا مسلم ـ هذا يهودي ورائي فاقتُلْه**»[٢].

وإنَّا لهذا اليوم لمُنْتَظِرون؟

* * *

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسِّيَر (٢٩٢٦)، ومسلم في الفتن (٢٩٢٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

٨

القرآن الكريم منهاج للفرد(١)

غير مرخصة للطباعة

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا معشر المسلمين:

إنَّ الله ـ جلَّت قدرته ـ قد اختصَّنا بكتاب كريم، وبدستور عظيم، ذلك هو القرآن الكريم؛ خير كتاب أنزله الله على خير نبيٍّ أرسله الله لخير أمَّة أخرجت للنَّاس.

وإنَّنا حينما نسمع المُتَحَدِّثين عن الدستور والتشريعات والقوانين يجب أن نتحدَّث عن القرآن الَّذي لم تضعه لجنة، ولم تؤلفه جماعة من النَّاس، وإنَّما أنزله الله ربُّ العالمين ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥].

القرآن الكريم منهاج للفرد:

منهاج للفرد: يضع له أُسس حياته، وينير الطريق أمامه، ويأخذ بيده إلى الله ربِّ العالمين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النِّساء: ١٧٤]، ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٦].

(١) أُلقيت في ١٨ ربيع الثاني ١٣٧٣هـ الموافق ٢٥ ديسمبر ١٩٥٣م.

QaradawiBooks.com

النُّور المبين الَّذي يأخذ بيد المسلم إلى الجنَّة، ويهديه إلى الله إنَّما هو: القرآن الكريم، وصدق رسول الله إذ يقول: «**القرآن شافع مشفَّع، وماحِل[١] مصدَّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنَّة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النَّار**»[٢].

ذلك هو القرآن الكريم، في حفظه رحمة، وفي تلاوته نعمة، وفي اتِّباعه بركة، والتجمُّع عليه سكينة، وصدق رسول الله إذ يقول: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلَّا نزلت عليهم السَّكينة، وغشيَتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[٣].

القرآن يعلِّم الفرد المسلم عقيدته:

أوَّل ما يُعنى القرآن: أنْ يعلِّم الفرد المسلم: عقيدته الَّتي يدين بها، ويلقى الله عليها، يعلِّمه الإيمان بوجود الله تعالى، ويقيم البراهين على ذلك من فطرة الإنسان ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الرُّوم: ٣٠].

ومن مظاهر الكون علويه وسفليه، جماداته ونباتاته، وحيوان وإنسان: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۞ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٦، ٧]، ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذَّاريات: ٢٠، ٢١].

---

(١) ماحل: أي مجادل عن صاحبه.

(٢) رواه ابن حبَّان في العلم (١٢٤)، وقال الأرناؤوط: إسناده جيد. عن جابر.

(٣) رواه مسلم في الذِّكْر والدُّعاء (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٤٢٧)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والإيمان بصفاته العليا، وأسمائه الحسنى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۞ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الحديد: ٣ ـ ٦].

والتركيز على توحيد الخالق، بل لا بدَّ من إثبات توحيد الإلٰهية؛ فقد كانت مشركو العرب إذا سألتهم: من خلق السماوات والأرض؟ يقولون: «خلقهن الله»، ومع هذا كانوا يشركون بالله، ويعبدون الأصنام، ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

ومن هنا كان تركيز القرآن على الدعوة إلى عبادة الله وحده؛ فهي الغاية من خَلق الإنسان ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذَّاريات: ٥٦].

ولا غرو أنْ كثرت الآيات الآمرة بالصَّلاة والزَّكاة والصِّيام والحجِّ، وغيرها من العبادات الظاهرة والباطنة.

ويعلِّم القرآن المسلم كذلك: أنَّ وراء هذه الحياة الدنيا، حياة أخرى، توفَّى فيها كلُّ نفس ما كسبت، وتُخلَّد فيما عملت، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وأنَّ هذه الحياة القصيرة الَّتي نعيشها إنَّما هي مزرعة للحياة الباقية الدائمة؛ فنحن نزرع هنا لنحصد هناك، يوم تُنشر الدواوين، وتُنصب الموازين، ويُبعث النَّاس ليوم عظيم، ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

QaradawiBooks.com

أقام القرآن الأدلَّة الناصعة على إمكان البعث الَّذي استبعده المشركون، وقالوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣]، وبيَّن لهم أنَّ الَّذي خلقهم أوَّل مرَّة قادر على أن يعيدهم كما بدأهم، وهو أهون عليه.

وبيَّن القرآن الكريم بوضوح: أنَّ من العبث المنكر، والباطل المرفوض: أن ينتهي العالم وتنفض سوقه، ولا يُجزَى المحسن بإحسانه، ولا المسيء بإساءته، فأين عدل الله؟ وأين حكمة الله؟

يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۞ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧، ٢٨].

ويقول سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

ويعلِّم القرآن المسلم ـ أيضًا ـ عقيدة النُّبوة، وأنَّ الله تعالى بحِكمته ورحمته، لم يُنزل الإنسان سُدًى، ولم يدَع خلقه هملًا، بل بعث إليهم النَّبيين مبشِّرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحقِّ؛ ليحكم بين النَّاس فيما اختلفوا فيه.

كانت مهمَّة هؤلاء الرسل: أنْ يحرِّروا البشر من عبادة الطواغيت، وأنْ يبيِّنوا لهم معالم الطريق إلى الله، ويعينوهم على تزكية أنفسهم، وكسب محبَّة ربِّهم، واتِّقاء عقوبته، وأنْ يعيشوا معهم متحابِّين متكافلين، ولا يظلم بعضهم بعضًا، مهتدين بشرع الله سبحانه.

هذا أوَّل ما علَّمه القرآن للفرد المسلم، وهو أساس البقاء كلِّه.

QaradawiBooks.com

القرآن يعلِّم الأخلاق:

القرآن الكريم: كتاب الله الَّذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فُصِّلت: ٤٢].

هذا القرآن منهاج يضع للإنسان أسس الحياة الَّتي يعيش عليها، فهو كما يعلِّم العقيدة الصحيحة للمسلم: يؤدِّبه بالآداب السامية، ويخلِّقه بالأخلاق الكريمة، ويعزِّفه بكلِّ صغيرة وكبيرة في حياته، حتَّى إنَّه ليعلِّمه كيف يمشي، ويعلِّمه كيف يتكلَّم، ويعلِّمه كيف يجلس، ويعلِّمه كيف يزور أخاه، وهكذا.

كلُّ هذا وغيره مفصَّلًا في القرآن.

يعلِّمك القرآن كيف تمشي فيقول الله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفُرقان: ٦٣]، ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [الإسراء: ٣٧]، ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾ [لُقمان: ١٩].

كن معتدلًا في مشيك لا بالسريع المتهوِّر، ولا بالبطيء المتواني.

ويعلِّمك القرآن كيف تتكلَّم ﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لُقمان: ١٩].

ويعلِّمك القرآن كيف تزور أخاك في بيته ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ ﴾ [النُّور: ٢٧، ٢٨].

ويعلِّمك القرآن كيف تجلس في المجلس ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ ﴾ [المجادلة: ١١].

QaradawiBooks.com

القرآن يخاطب العقول والقلوب:

يعلِّمنا القرآن كثيرًا من هــذه الآداب العامَّة الَّتي يتواصى النَّاس بها، ويعيش المجتمع علــى ضوئها، والقرآن هو المصبــاح المنير الَّذي ينير الطريق إلى الله، والَّذي يعتمد في هذا كلِّه علــى مخاطبة القلوب، وهزِّ المشاعر، وأخذ الوجدانات إلى الله.

يملؤها بخشــية الله، ويؤثِّر فيها، ويرغِّبها فيما عند الله، ويخوِّفها من عــذاب الله، ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمر: ٢٣].

كتاب تقشعرُّ له الأبدان، وتطمئن له القلوب، وتلين له الجلود، يؤثِّر في الأرواح والقلوب والضمائر حتَّى في المشــركين؛ ســمعه الوليد بن المغيرة فعاد مدهوشًا، وقال: والله لقد سمعت من محمَّد كلامًا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أعلاه لمثمر، وإنَّ أسفله لمغدق، وإنَّه يعلو ولا يعلى عليه[1].

بهذا أدهش الكفَّار وقالوا: ﴿سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [سبأ: ٤٣، الأحقاف: ٧]، ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ﴾ [المدثر: ٢٤]؛ لأنَّه سحر قلوبهم.

القرآن يزلزل قلوب المشركين:

هذا القرآن استطاع أنْ يُؤَثِّر في المشركين، حتَّى خاف زعماء الكفَّار على عامَّتهم أنْ يتأثَّروا به؛ فكانوا يشوِّشون على قراءته ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فُصِّلت: ٢٦].

(١) رواه الحاكم في التفسير (٥٠٦/٢)، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣٣)، وجود إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ٣٢٤. عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وإنَّما دخل الداخلون في الإسلام لا بقوة السيف، ولا بكثرة العدد، ولا برهبة الجيوش، فما كان عندهم في فجر الإسلام ـ في العهد المكي ـ سيوف ولا رماح، ولكن كان السِّلاح الوحيد الَّذي يغزون به: كتاب الله.

لقد سمع القرآن عمر بن الخطَّاب فاستسلم له، وألقى السِّلاح من يده، وأتى إلى النَّبيِّ ﷺ يعلِن إيمانه، ويُشهر إسلامه؛ فقد هزَّ القرآن فؤاده هذا عندما سمع ﴿طه ۞ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۞ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۞ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۞ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۞ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۞ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۞ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه: ١ ـ ٨][1].

بهذه الآيات هزَّ القرآن قلب عمر بن الخطَّاب فأعلن الإسلام بعد أن كان ذاهبًا ليقتل نبي الإسلام.

وهكذا يفعل القرآن في نفوس المشركين قبل نفوس المؤمنين، أراد الله به أن يحيي القلوب الميتة، وينعش النُّفوس الخاملة، ويهزُّ الأفئدة الجامدة، ويأخذ بيد هذه البشريَّة إلى نفحات الله، إلى رياض جنَّة الفردوس ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

كيف نقرأ القرآن:

لا يستوي هذا وذاك؛ لهذا أمرنا الله تعالى أن نتدبَّر القرآن إذا قرأنا، ونتدبَّره إذا سمعنا، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]،

(١) انظر: دلائل النُّبوة لأبي نعيم صـ٢٤١، نشر دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمَّد: ٢٤]، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النِّساء: ٨٢].

ليسمع هذا القرآن الَّذين لا يعرفون القرآن إلَّا ألحانًا وأناشيد، وليفهم هذا: «السَّمَّعية» الَّذين لا يعرفونه إلَّا أصواتًا حلوة، ولا يفهمون من معانيها شيئًا.

علينا أن نتدبَّره إذا قرأنا، عملًا بوصيَّة الله لنبيِّه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمّل: ١ ـ ٤].

ترتيل القرآن، والتخشُّع في تلاوته، والتباكي عند قراءته، فقد قال ﷺ: «**إنَّ هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنَّوا به فمن لم يتغنَّ به فليس منَّا**»[(١)].

وقد وصف الله المؤمنين فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

على القارئ أنْ يقرأ بتدبُّر، ويسمع بتأمُّل وتفهُّم، قال الدكتور إقبال «شاعر الإسلام»: أوصاني أبي فقال: يا بني، إذا قرأت القرآن فاقرأه وكأنما عليك أنزل.

---

(١) رواه ابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٣٧)، وقال البوصيري في الزوائد (١٥٧/١): في إسناده إسماعيل بن رافع: ضعيف متروك. وأبو يعلى (٦٨٩)، ورواه البزار (١٢٣٥) من طريق آخر، وقال عقبه: فيه عبد الرحمن بن أبي بكر هذا لين الحديث. وجود إسناد ابن ماجه العراقي في تخريج الإحياء صـ٣٢٨، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٨٧٧)، عن سعد بن أبي وقاص. ولكن البكاء عند القراءة مشروع غير ممنوع؛ ففي الصحيحين أنَّ النَّبي ﷺ قرأ عليه ابن مسعود سورة النِّساء وفيه: «فإذا عيناه تذرفان الدمع». متَّفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٥٠)، ومسلم في صلاة المسافرين (٨٠٠).

QaradawiBooks.com

القرآن يجيب عن الأسئلة الخالدة[١]:

هكذا يجب أن يقرأ القارئ، وهكذا يجب أن يسمع السامع، ولو أنَّنا أعطينا القرآن حقَّ القراءة، وحقَّ الاستماع، لأثَّر في قلوبنا حقَّ التأثير.

ستجد فيه جوابًا عن كلِّ سؤال يجول بنفسك، أو يجري على لسانك.

إذا سألت نفسك: ماذا كان مبدئي، وماذا ستكون نهايتي وآخرتي؟

ستجد القرآن يحدِّثك عن مبدأ حياتك، وعن نهاية أمرك، وعن موقفك في آخرتك، واسمع قول الله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤].

ذلك هو مبدؤك.

أمَّا منتهاك فاسمع قول الله ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥].

ثمَّ ماذا لك عند الله؟

اعرض نفسك على القرآن يجيبك ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤]، ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۞ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۞ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النَّازعات: ٣٥ ـ ٤١].

(١) راجع ما كتبناه في: العبادة في الإسلام صـ١١ وما بعدها، تحت عنوان: «الأسئلة الخالدة»، نشر مكتبة وهبة، ط٢٩، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

QaradawiBooks.com

القرآن يجيبك عن كلِّ سؤال تسأل به نفسك.

إذا خلـوت مع صاحبك وظننـت أنَّ الليل قد أرخى سـدوله، وأنَّ النَّجوم قد اختفت وراء السَّحاب، وأنك تستطيع أنْ ترتكب المحرَّمات، ولا عين تراك، ولا لسـان يتحدَّث عنك، فارجع إلـى القرآن واقرأ آياته ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦ ـ ١٨].

وإذا ظننت أنَّ الحياة كلُّ شيء فاسمع قول الله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ [ق: ١٩، ٢٠].

وإذا ظننت أنَّ الآخرة سـيطول أمدها، وهيهات أنْ تأتي، وقلتَ: إنَّ المسـافة طويلة، وإنَّ الأمد بعيد فاقرأ قـول الله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ۝ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢٠، ٢١].

وإذا ظننتَ أنَّ العمل الَّذي تعمله يذهب وينتهي والنَّاس لا يعرفون، فاعلم أنَّ الأعمى سـيبصر يوم القيامـة، وأنَّ الغِطاء سينكشـف عن العيـون، ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

تجاوُب السَّلف مع القرآن:

لنرجع إلـى القرآن أيُّها النَّـاس؛ لنحيي به موات نفوسـنا، ونتَّخذه دسـتور حياتنا، نتعلَّم بعلمه، ونقتبس من سَناه، ونهتدي بهداه، ونتأدَّب بآدابه، ونسير وفق تعاليمه، ولن يكون ذلك إلَّا إذا قرأنا فأحسنَّا القراءة، وسمعنا فأحسنَّا السماع، لقد كان الرَّجل يأتي إلى النَّبي ﷺ فيسمع سورة

QaradawiBooks.com

الزلزلة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۞ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ فيقول: حسبي يا رسول الله، لا أبالي أن لا أسمع من القرآن غيرها[١].

وفي رواية: أنَّ رسول الله قال: «**دعه؛ فقد فقِه**»[٢].

وفي رواية: أنَّ رسول الله قرأها وعنده أعرابي، فقال الأعرابي: يا رسول الله، أمثقال ذرة؟

قال: «**نعم**».

فقال الأعرابي: وا سوأتاه، ثمَّ قام وهو يقولها.

فقال رسول الله ﷺ: «**لقد دخل قلبَ الأعرابي الإيمان**».

وفي رواية أخرى: فقام رجل يضع يده على رأسه، وهو يقول: وا سوأتاه.

فقال النَّبي: «**أمَّا الرَّجل فقد آمن**»[٣].

هذه الآية وحدها لو عمل النَّاس بها، وساروا وراء هديها، لعاشوا أعزَّة كرماء.

---

(١) رواه أحمد (٢٠٥٩٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في الكبرى في التفسير (١١٦٣٠)، والطبراني (٧٦/٨)، عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق.

(٢) رواه عبد الله بن المبارك في الزهد (٨١)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، وعبد الرزاق في تفسيره (٣٦٧٥)، عن زيد بن أسلم.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (٨١)، وعبد الرزاق في التفسير (٣٦٧١).

QaradawiBooks.com

كان الرَّجل بعد هذا حينما يتصدَّق بالصدقة اليسيرة ـ بحبة العنب ـ يقول: يا عجبًا، كم في هذه من ذرَّات؟!

لا يحاسب نفسه بالقنطار، ولكن يحاسب نفسه بالذرَّة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

حال المسلمين اليوم مع القرآن:

إنَّنا لم نعد الآن نقرأ القرآن كما ينبغي؛ إنَّ القارئ يقرأ غالبًا آيات الوعد، فإذا وصل إلى آيات الوعيد ـ الَّتي تذكِّر النَّاس بالنَّار وبطش الله الجبار ـ فرُّوا منها كأنَّما يريدون أن يعدِّلوا على الله، فإذا قرؤوها، قرؤوها بطريقة لا تشعر السامع أبدًا أنَّهم يتلون آيات وعيدية مخيفة، كأنَّها زفير جهنم بين يديه؛ إنَّه يقرأ ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۞ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۞ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۞ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ۞ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۞ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ۞ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدُّخان: ٤٣ ـ ٤٩]. فيقرؤها بطريقة تجعل السامعين يقولون: «أعِد أعِد» كأنهم لا يفهمون عن النَّار، وطعام الأثيم، وشجرة الزقوم شيئًا!

هكذا صارت قراءتنا، ولو أنَّنا قرأناه كما ينبغي لما كان أعداؤنا يذيعونه علينا؛ إنَّ إسرائيل تذيع القرآن علينا، إنَّ لندن تذيعه علينا، إنَّ محطة الشرق الأدنى تذيعه علينا؛ لأنَّهم اطمأنوا إلى أنَّ القرآن لا يحرِّك فينا ساكنًا، ولا ينبِّه غافلًا.

هذا وحده الَّذي حمل لندن أنْ تقرأ مثل: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وتقرأ: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التَّوبة: ٤١]؛ لأنَّهم عرفوا أنَّ المسلمين أصبحوا غير المسلمين.

QaradawiBooks.com

خصائص القرآن:

يا قومنا، علينا أن نعود إلى القرآن، نتدبَّره ونستمع إليه؛ فالقرآن كتاب سماوي ليس ككتب السماء؛ قد فضَّله الله على كلِّ كتاب أُنزل؛ فضَّله على توراة موسى، وإنجيل عيسى، وصُحف إبراهيم؛ لأنَّه امتاز بميزات منها:

١ ـ أنَّه كتاب مُعجز:

جعل الله في آياته البيان والبلاغة، أعجز العرب وهم أصحاب الألسنة وأرباب الفصاحة أن يأتوا بأقصر سورة من مثله، وحقَّق عليهم الغلبة، وصدق الله العظيم: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

٢ ـ وامتاز كذلك بالتيسير:

فالله قد يسَّره للذِّكر والحفظ؛ فلن تجد كتابًا سماويًا كالقرآن يُتلى ويُحفظ بسهولة، ويفهم منه العام والخاص، والفيلسوف والجاهل، والعالم والأمي ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدُّخان: ٥٨]، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].

﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هُود: ١]، ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١، القصص: ٢].

ميسَّر مبين واضح، ويحفظه من المسلمين عشرات الآلاف حتَّى من الصبيان، ولم تجد القسيسين ولا رجال الكهنوت أنفسهم يحفظون التوراة أو الإنجيل.

فالقرآن صاحب هذه الميزة الكبرى يحفظه الحافظون، ويتعبَّد بتلاوته القارئون والسامعون، وبذلك يوصي رسول الله فيقول: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**»[1]، ويقول: «**من قرأ القرآن وعمل به، أُلبس والده يوم القيامة**

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٢٧)، عن عثمان.

QaradawiBooks.com

تاجًا من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويكسى والداه حلَّتين لا يقوم لهما الدنيا، فيقولان: بما كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن»[(١)].

هذا في شأن الَّذي يقرؤه؛ فما بالكم بالَّذي يعمل به؟

وهذا حث للنَّاس على أنْ يحفِّظوا أبناءهم القرآن، وإن كنَّا في زمن نخشى على مستقبل أبنائنا الَّذين هجر آباؤهم القرآن.

٣ ـ أنَّه محفوظ لا يعتريه تبديل ولا تغيير ولا نقص ولا زيادة:

لأنَّ الَّذي تولَّى حراسته ليس بشرًا من البشر، وإنَّما ربُّ القُوى والقُدَر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحِجر: ٩].

لقد قرأ صبي قول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤] فقال: «وما محمَّد ﷺ إلَّا رسول» فوكزه صبي بجانبه، وقال: من أين زدت على القرآن؟

فالصبي نفسه يشعر بأنَّ القرآن الكريم لا يُنتقص منه ولا يزاد عليه.

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُصِّلت: ٤١، ٤٢].

ليس في الدُّنْيا كتاب سماوي لم يتغيَّر، بل لعِب رجال الدين بالكتب السماويَّة، وحرَّفوا الكلِم من بعد مواضعه، فإذا بالتوراة غير التوراة، والإنجيل عبارة عن أناجيل شتَّى، بلغت العشرات كـ: إنجيل يوحنا وإنجيل مرقس، وإنجيل متَّى وإنجيل لوقا.

أمَّا القرآن الكريم فهو باق بعين الله محفوظًا ومحروسًا، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التَّوبة: ٣٢].

---

(١) رواه الحاكم في فضائل القرآن (٥٦٧/١، ٥٦٨)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. عن بريدة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ذلكم هو القرآن الكريم:

كمنهاج للفرد: يحيي قلبه، وينير عقله، ويشدُّ عزمه، ويضع له الآداب، ويحلُّ مشاكله، ويحيي نفسه بتقوى الله.

وكدستور للدولة ومنهاج للمجتمع، وقانون للحكومة، فسنتحدث عنه في الأسبوع القادم إن شاء الله.

الحضُّ على قراءة القرآن:

يقول النَّبي ﷺ: «**اقرؤوا القرآن؛ فإنَّه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**»(١).

وقال ﷺ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»(٢).

وقال ﷺ: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**»(٣).

وقال ﷺ: «**إنَّ لله أَهْلِينَ من النَّاس**».

قالوا: من هم يا رسول الله؟

فقال: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصَّته**»(٤).

* * *

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٨٠٤)، وأحمد (٢٢١٩٣)، عن أبي أمامة الباهلي.

(٢) رواه الترمذي في فضائل القرآن (٢٩١٠)، وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٣٣٢٧)، عن ابن مسعود.

(٣) سبق تخريجه صـ ١٣٠.

(٤) رواه أحمد (١٢٢٧٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وابن ماجه في المقدمة (٢١٥)، والنسائي في الكبري في فضائل القرآن (٧٩٧٧)، عن أنس.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٩

القرآن الكريم دستور للدولة(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا معشر المسلمين:

تحدَّثنا في الأسبوع الماضي: عن القرآن ككتاب سماوي، وأنَّ الله تعالى اختصَّه دون الكتب السماويَّة ـ دون التوراة والإنجيل وصحف إبراهيم ـ بخصائص لا توجد في غيره.

اختصَّه بأنه كتاب ميسَّر ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].

واختصَّه بأنه كتاب مُعجِز ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

واختصَّه بأنه كتاب محفوظ من التغيير والتبديل ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُصِّلت: ٤١، ٤٢].

واختصَّه بأنه كتاب مهيمن على هذه الكتب كلِّها، يجمع كلَّما فيها: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]،

(١) أُلقيت في ٢٦ ربيع آخر ١٣٧٣هـ الموافق أول يناير ١٩٥٤م.

QaradawiBooks.com

ويزيد عليها ما تحتاجه الإنسانيَّة في كلِّ عصر وفي كلِّ مصر، وفي كلِّ زمان ومكان.

فهي النُّجوم الساطعة، والمصابيح الهادية، والقرآن هو الشمس المشرقة، والمصباح الساطع المنير.

اللهُ أكبرُ إنَّ دينَ مُحَمَّدٍ وكتابَه أقوى وأقومُ قِيلَا
لا تَذْكُروا الكُتُبَ السوالفَ عِنْدَه طَلَعَ الصَّبَاحُ فَأَطْفِئِ القِنْدِيلَا[1]

تحدَّثنا عن القرآن ككتاب سماوي، كمنهاج للفرد: يحيي قلبه، ويضع له الآداب، ويحلُّ مشاكله، ويحيي قلبه بتقوى الله.

ونريد أن نتحدَّث اليوم عن القرآن كدستور يجب أنْ تُحكم به الدولة، وأنْ تسير على منهاجه كلُّ حكومة، وأن تتَّبع هديه كلُّ أمَّة.

القرآن كتاب إلٰهي:

هذا القرآن دستور لم تصنعه لجنة من النَّاس، ولم يؤلفه جماعة من البشر، فإنَّ أي جماعة من البشر يصدرون قانونًا، ويؤلِّفون دستورًا، لا يخلو قانونهم، ولا يخلو دستورهم، ممَّا فيهم من عيب ونقص ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء: ٢٨].

الإنسان عاجز، كليل الذهن، قليل العلم، فلا بد أن يكون الدستور فيه من ضعف الإنسان ما فيه.

ثمَّ لكلِّ جماعة هوى؛ فلن يخلو الدستور من هوى لواضعيه، ينفذون إليه وإن لم يشعروا، أمَّا القرآن فهو دستور الله، شرع الله العزيز الحكيم،

(١) من شعر البوصيري، كما في المجموعة النبهانية في المدائح النبويَّة لإسماعيل النبهاني (١٨٣/٣)، نشر المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

كلام الله الَّذي أتقن كلَّ شيء، شريعة الَّذي أحسن كلَّ شيء خلقه، وكلَّ شيء شرعه.

إنَّ أفضل ما وصلت إليه الإنسانيَّة هو المصباح الكهربائي، فأين هذا من نور الشمس الإلٰهي؟ أين النور الصناعي من النور الطبيعي؟

إنَّ الإنسان يصوِّر تمثالًا من حجر أو حيوان، وهل يستطيع أن يجعل فيها حياة، ويجعله يسعى ويتحرَّك على قدميه، ويحس بشعور، وينطق بلسان؟

لا يستطيع أن يفعل هذا؛ لأنَّه فرق بين قدرة الإنسان وقدرة الرحمن.

وَهَلْ يَسْتَوِي وَحْيٌ مِنَ اللهِ مُنْزَلٌ وَقَافِيَةٌ فِي الْعَالَمِينَ شَرُودُ؟

ميزات القرآن:

القرآن الكريم يمتاز عن الدساتير كلِّها بميزات:

الميزة الأولى: بأنه دستور كامل:

وكماله من كمال منزِّله وشارعه؛ الكمال الَّذي لا يدركه عيب ولا تشوبه شائبة من الجهل والهوى.

ولو شئنا أن نقارن بين أي قانون من قوانين القرآن، والقانون الَّذي وضعه الواضعون، وشرعه الشارعون، ووضعوه بأدمغتهم، فهيهات هيهات فأين الثريا من الثرى؟

الميزة الثانية: أنَّه دستور شامل:

لقد جعل لكلِّ مشكلة حلًّا، ولكلِّ معضلة علاجًا، ووصف لكلِّ داء دواء، ولكلِّ جرح «مرهمًا»، ولكلِّ مرض علاجًا، هو صيدلية كبرى، الله

QaradawiBooks.com

مركِّب أدويتها، والمسيطر عليها، وصدق الله العظيم: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، شفاء للفرد، شفاء للأسرة، شفاء للمجتمع، شفاء للعالم كلِّه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يُونس: ٥٧]، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فُصِّلت: ٤٤].

القرآن الكريم كتاب شامل ودستور عام، عالج كلَّ مشاكل الإنسان: الإنسان مادة، والإنسان روحًا، والإنسان عقلًا، والإنسان عاطفة، والإنسان فردًا والإنسان مجتمعًا.

فلا غرو أنْ يكون فيه: سياسة، واقتصاد، واجتماع، وثقافة وفكر وسِلم وحرب، وروحانية، وعمل، وصلاة وجهاد... جمع فأوعى، وصدق الله العظيم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النَّحل: ٨٩].

كان سيِّدنا أبو بكر يقول: «والله لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله»[(١)].

وقف عبد الله بن عباس ترجمان القرآن يومًا أمام المرآة يصلح من هندامه، ويصفِّف من شعره، ويجمِّل من نفسه، فقال له نافع مولى عبد الله بن عمر: أتجمِّل نفسك؛ والنَّاس يرحلون إليك من أطراف البلدان ليتعلموا منك؟

فقال: وماذا في هذا؟ أتزيَّن لامرأتي كما تتزيَّن لي امرأتي، وهذا في كتاب الله!

قال: وأين نجد هذا في كتاب الله؟

(١) الإتقان في علوم القرآن (٣١/٤)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

QaradawiBooks.com

قال: في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[١] [البقرة: ٢٢٨].

هكذا كانوا يفهمون رُوح القرآن، ويأخذون منه كلَّ شيء.

القرآن هو دستور شامل.

يقول بعض النَّاس: ما للقرآن والسياسة؟ وما له وللاقتصاد؟ وما له وللمجتمع؟!

ونقول لهم: إن لم تؤمنوا بهذا فاشطبوا من القرآن آيات شتَّى تتعلق بـ: السياسة الخارجية والداخلية، فيه هداية الفرد، وفيه نظام الأسرة، وفيه إرشاد المجتمع، وفيه توجيه الحكومة.

لقد وضع الخطوط الرئيسية، ورسم الأهداف العامَّة لحياة الفرد وحياة الأمَّة، كيف نترك هذا؟

هَـذَا الكِتَـابُ وإنَّ فيه سِيَاسَـةً ... أَتُـراه أَمْرًا فـي الكتـاب غَرِيبَا
إنْ كان تُؤْذِيكُـمْ سِيَاسَـتُهُ دَعُو ... هُ ونَقِّبـوا عَـنْ غَيْـرِه تَنْقِيبَـا
أَوِ اعْرِضُوهُ علـى الرَّقِيبِ فرُبَّما ... أفتـى، فغـادَرَ نِصْفَهُ مَشْـطُوبَا
يا قَـوْمُ سُـحْقًا لِلرَّقِيـبِ وَأَمْرِه ... فكَفَى بـرَبِّ العَالَمِيـنَ رَقِيبَا[٢]

لو اتَّبعناه لكنَّا في طليعة الأمم، ومقدمة الصفوف، إنَّ الإنسانيَّة لن تسعد ولن تهتدي إلَّا إذا اتَّبعت منهج الله وهداه، وإذا أعرضت عنه كان مصيرها ضنك المعيشة في الدنيا، وعذاب الله في الآخرة.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في الطلاق (١٩٦٠٨).

(٢) ديوان جراح وأفراح للأديب الشاعر الدكتور حسان حتحوت صـ١٠، نشر دار القلم، الكويت، ط١، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

QaradawiBooks.com

وهذا ما قالـــه الله لآدم وزوجه حين خرجا مـــن الجنَّة: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ۝ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

سُـــئل أحد العلماء: إنَّك تقول: إنَّك رأيت في القـــرآن أمثال العرب والعجم كلّها، فهل تجد في القرآن: «دولة الباطل ساعة ودولة الحقّ إلى قيام الساعة»؟

فقال: نعم؛ فـــي قـــول الله: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء: ٨١]، وقوله تعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ﴾ [الأنبياء: ١٨].

فقيل له: «الحجر المغصوب في الدار رهن بخرابها»؟

فقال: نعم؛ في قوله تعالى: ﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ [النَّمل: ٥٢].

فقيل له: هل تجد معنى المثل القائل: «أعطـــه تمرة، فإن أبى فأعطه جمرة»؟

فقال: في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾ [الزُّخرف: ٣٦].

فقيل: هل تجد المثل القائل: «خير الأمور الوسط»؟

قال: نعم؛ في أربعة مواضع في البقرة: ﴿بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]، وفي الإنفاق: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورٗا﴾ [الإسراء: ٢٩]، وفي وصف الله لعباده

QaradawiBooks.com

المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفُرقان: ٦٧]، وفي أمر الله لرسوله ﷺ بالصَّلاة: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ١١٠][1].

وهكذا كان القرآن لسلفنا الصالح مرجعهم في كلِّ أمر، وبغيتهم في كلِّ حكم، فاتخذوه هاديًا، وساروا وراءه، فأفلحوا به ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وهذه هي الميزة الثانية من ميزات القرآن: أنَّه شامل؛ شمل كلَّ ما يفتقر إليه الإنسان.

إنَّ أي دستور ينظِّم ناحية ويترك أخرى؛ ينظِّم علاقة الفرد بالحاكم، أمَّا علاقة الأفراد بعضهم ببعض، أو علاقة الفرد بنفسه فلا شأن له بهذا.

ينظِّم العقوبات للمسيء، أمَّا كيف ينظِّم المكافآت للمحسن؟ فلا شأن له بهذا.

أمَّا القرآن فيشمل كلَّ هذه النَّواحي؛ لأنَّه كتاب الله الكريم ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هُود: ١]، ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فُصِّلت: ٤٢].

الميزة الثالثة: أنَّه كتاب مقدَّس:

له في كلِّ نفس قدسية، وفي كلِّ قلب تأثير، إنَّ أي دستور وضعي لا يمكن أن يؤثِّر في القلوب، أو يهزَّ الأعصاب، ويُبكي العيون، إلَّا

(١) انظر: التحبير في علم التفسير صـ١٢٥، ١٢٦، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

القرآن الَّذي يتأثَّر به ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزُّمر: ٢٣].

أي دستور يؤثِّر في النَّفس هذا التأثير، إلَّا دستور سماوي تقدِّسه النُّفوس، وتعظِّمه القلوب؛ لأنَّه نازل من عند ربِّهم.

إنَّ أي إنسان يستطيع أن يدخل بالدساتير الأخرى المراحيض، وقد يضعه تحت رجليه، أمَّا القرآن فلا يمسه إلَّا متوضئًا مغتسلًا متطهِّرًا، ولا يدخل به المراحيض، ولا يلمس ورقه وهو جُنب، ولا يقرأه جُنبًا، بل يحترمه ويقدِّسه، وهذا ممَّا يدفع النَّاس إلى العمل به ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۞ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۞ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۞ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۞ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٨٠].

الميزة الرابعة: في هذا الدستور أنَّه كتاب خالد:

إنَّ أُناسًا كثيرين منَّا عاشوا عمرًا طويلًا، ورأوا دستورًا يوضع وآخر يُلغى، وُضع دستور في سنة ١٩٢٣م، وألغاه صدقي في سنة ١٩٣٠م، ثمَّ أعيد مرَّة أخرى، وهذا قد أُلغي في عهد الثورة، وهناك لجنة تضع دستورًا آخر.

أمَّا القرآن فلا يمكن أنْ يتغيَّر فيه سطر، بل كلمة، بل حرف؛ لأن حارسه وراعيه والمتكفِّل بحفظه ليس إنسانًا من البشر، وإنَّما خالق الخلق، ومالك الملك، وربُّ الأرض والسماء ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحِجر: ٩].

أي دستور في الدُّنْيا يمكن أن تجتمع فيه هذه الميزات؟!

الكمال: الَّذي لا يلحقه نقص.

والشُّمول: الَّذي لا يترك ناحية إلَّا عالجها.

QaradawiBooks.com

والقُدسية: الَّتي تلج كلَّ نفس إنسان فتعظِّمه وتحترمه.

والخلود: الَّذي يُبقيه إلـــى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فُصِّلت: ٤٢].

موقفنا من القرآن:

هذا هو القرآن.

فماذا كان موقفنا منه؟

لقد فرَّطنا فيه أفرادًا، وفرَّطنا فيه أُسرًا، وفرَّطنا فيه جماعات.

أين هو منَّا؟ أين هو من حياتنا؟

القرآن كتاب كنَّا نحفظه فهو الآن مهدَّد بخطر!

لقد كانت مصر مشـــهورة بتحفيظ القـــرآن؛ إنَّ الكتاتيب قـــد بادت، وإنَّ المدارس الَّتي أنشأها «دانلوب» المستشار الإنجليزي الَّذي وضع مناهج وزارة المعارف هي خطة للقضاء على القرآن، فليس في المدارس لحفظ القرآن نصيب يذكر، وهذه مشكلة خطيرة، فبعد سنوات قليلة لن نجد من يحفظ القرآن.

لا بدَّ من وجود أُناس يدرسون الإسلام، ويحفظون القرآن، وينطلقون يعلمون النَّاس الاستنجاء والصَّلاة وأحكام المعاملات.

إنَّه بعد سنوات قليلة لن تجد الأزهر.

وإنَّ مستقبل الثقافة الإسلاميَّة مهدَّد بخطر عظيم، من ذا الَّذي يترك ابنه حتَّى يحفظ القرآن، ثـــمَّ يلتحق بمعهد في المنصـــورة أو في طنطا والمدارس كثيرة بجواره؟!

QaradawiBooks.com

وقبل أنْ يدخل الطالب الأزهر يكون التلميذ في السنة الثانية الإعدادية، ويتوظف قبله، ويأخذ مرتبًا أحسن منه.

وها نحن الآن نطلب المساواة بمن هم أقلُّ منَّا.

إنَّه أمر مدبَّر على حفظ القرآن وعلى دراسة الإسلام، وعلى الطائفة الَّتي قال الله فيها: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التَّوبة: ١٢٢].

وإنَّنا نتمنَّى ـ والله ـ لو عاد الزَّمان القديم الَّذي كان علماء الإسلام منصورين على الحكام، الزَّمان الَّذي كان يوقف فيه عشرات الألوف «من الأموال» على العلماء، على الأزهر؛ ليضمنوا لأبناء الدين مستقبلًا كريمًا حتَّى لا تمدَّ أيديهم إلى الحكَّام.

هجران تلاوة القرآن قراءة:

أين قراءة القرآن؟

لقد فقدنا حتَّى قراءة القرآن، ولم يعد يُقرأ بالرُّوح الَّتي يجب أنْ يُتلى أفضل كتاب بها.

إنَّنا نقرؤه الآن على أنَّه ألحانٌ وأغانٍ، لا على أنَّه أسرارٌ ومعانٍ، نسمعه على أنَّه صوت فلان الجميل وألحان المقرئ الشهير.

وإنَّنا في مأتم من المآتم، نذهب لنستمع فلانًا فإذا كان غيره أعرضنا عنه؛ لأنَّه لا تعجبنا ألحانه ومغانيه، مع أنَّ الله وصف سامع القرآن بقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

QaradawiBooks.com

هجران العمل بالقرآن:

أين العمل بالقرآن؟ أين كتاب الله في حياتنا؟

إنَّك تمشي في الشـــارع فترى مظاهر لا تتمشَّى مع الإسلام، سرْ في طنطا، سرْ في القاهرة، سرْ في الإسكندرية، لا تجد فرقًا بينها وبين بلاد أوربا؛ الخمَّارات هي الخمَّـــارات، والقمار هو القمـــار، والمقاهي هي المقاهـــي، والنِّســـاء المتبرجـــات المتهتِّكات هـــن النِّســـاء المتبرجات المتهتِّكات، والنَّاس هم النَّاس، فأين القرآن فينا؟

أتظنون أنَّه يكفي أنَّ لنا اتحادًا للمقرئين ورابطة للقراء، وأنَّ في مصر عددًا من الأصوات الجميلة تشنف أسماعنا.

لا، لا، إنَّنا نخشى أن يحادنا رسول الله، ويخاطبنا القرآن يوم القيامة، فماذا نقول حينمـــا يقول رســـول الله: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفُرقان: ٣٠]؟

ماذا نقـــول إذا قال القـــرآن: يا ربـــي، إنَّك قد أنزلتنـــي لأقضي في المحاكم فإذا بهم يجعلوني تلاوة في المآتم؟

ماذا نقول إذا قال القـــرآن: يا ربي، إنَّك قد أنزلتنـــي لهداية الأحياء فجعلوني للقراءة على الأموات؟

ماذا نقول إذا قال القرآن: يا ربي، إنَّك قد أنزلتني للتشريع والتوجيه فجعلوني في التسلية والترفيه؟

ماذا نقول إذا قـــال القرآن: يا ربي، إنَّك قـــد أنزلتني لأكون حِرزًا للإنســـانيَّة كلِّها من الضلال فجعلوني حِرزًا يعلَّق في صدور النِّســـاء والأطفال؟

QaradawiBooks.com

ماذا نقول إذا قال القرآن: يا ربي، إنَّك نزَّلتني لأكون سنة للرُّقِي؛ فجعلوني تعاويذ للرُّقَى؟

ماذا نقول إذا خاصمنا القرآن فخصمنا، وحادنا رسول الله فغلبنا، ولم نجد جوابًا شافيًا، فبأي لسان نتكلَّم، وبأي لغة نجيب.

واجبنا نحو القرآن:

يا قومنا، الرجعةَ الرجعةَ إلى كتاب الله، العودةَ العودةَ إلى دستور السماء، الَّذي ينظِّم حياة الفرد والعائلة والمجتمع والحكومة.

يا قومنا، القرآن يجب أنْ تُستمدَّ منه قوانين الدولة؛ فقد تستفتون في القريب أو البعيد في دستوركم، فإن كان قرآنيًّا فأقرّوه، وإنْ كان بعيدًا عن القرآن فارفضوه، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ـ ٱلظَّٰلِمُونَ ـ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الآيات: ٤٤، ٤٥، ٤٧ من سورة المائدة]، ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

أيُّها المسلمون، أوَّل واجب علينا: أن نقرأه بتدبُّر ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وأن نستمع إليه بتأمُّل وتأثُّر ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، وأن نتَّبع هديه ونعمل به في حياتنا الخاصَّة والعامَّة ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وأن نحكُم به دستورًا وقانونًا ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النِّساء: ١٠٥]، وأن نبلِّغه إلى الإنسانيَّة كلِّها ليحميها من ضلالة، وينقذها من جهالة

QaradawiBooks.com

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

روى الترمذي، عن علي رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ستكون بعدي فتن كقطع الليل المظلم**».

قلت ـ أي علي ـ: وما المخرج منها يا رسول الله؟

قال: «**كتاب الله؛ فيه نبأ من قبلكم، وخبر من بعدكم، وحُكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل... من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهُدى في غيره أضلَّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذِّكر الحكيم، الَّذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخلق على كثرة الردِّ، ولا تنقضي عجائبه، ولم تنته الجن حين سمعته حتَّى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾** [الجن: ١، ٢].

هو حبل الله المتين، والنُّور المبين، والذِّكر الحكيم، والصراط المستقيم، ومن قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حَكم به عَدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم»[(١)].

وقال ﷺ: «**القرآن شافع مشفَّع، من جعله أمامه قاده إلى روضة من رِياض الجنَّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النَّار**»[(٢)].

* * *

(١) رواه الترمذي في فضائل القرآن (٢٩٠٦)، وقال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال.

(٢) سبق تخريجه صـ ١١٩.

QaradawiBooks.com

١٠

المِحنة سُنَّة الله في أصحاب الدعوات(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا معشر المسلمين:

رسالة إلى المُرجفين:

لقد عدنا إليكم، وقد ظنَّ كثير من الغافلين ألا نعود، وحُقَّ لنا أن نخاطب هؤلاء بقول الله للمنافقين: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ۞ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: ١٢، ١٣].

ظنَّ هؤلاء أنَّ الرسول الَّذي خرج للغزو لن يعود هو وأصحابه سالمين، ولكن الله كذَّبهم، وعادوا سالمين غانمين منصورين.

الابتلاءات سُنَّة:

ظنَّ آخرون أنْ لن يعود رسول الله بعد أن أُخرج من مكَّة مطرودًا مشردًا، خرج منها خفية من قومه، خرج منها في حَلَك الظلام خائفًا

(١) أُلقيت في ٢٨ رجب ١٣٧٣هـ الموافق ٢ أبريل ١٩٥٤م. وهي أول خطبة بعد أن قضيت مع الإخوان في المعتقل مدَّة تقرب من السبعين يومًا. (الاعتقال الأول في عهد الثورة).

QaradawiBooks.com

يترقَّب، ولكن الله خيَّب ظنون المنافقين، وحطَّم أحلام الكافرين، وعاد رسول الله إلى مكَّة فاتحًا بعد أنْ خرج منها طريدًا.

عاد إليها جهارًا، وقد خرج منها خفية.

عاد إليها نهارًا، وقد خرج منها ليلًا.

عاد يحطِّم الأصنام الَّتي كانت حول الكعبة وهو يقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

أيها النَّاس، إنَّ دولة الباطل ساعة، وإنَّ دولة الحقِّ إلى قيام الساعة.

إنَّ الحقَّ لا بدَّ أن ينتصر مهما طال به المدى، ومهما امتدت الأيام.

إنَّ عين الله لا تنام، وإن رقابة الله لا تغفل.

أفكار مغلوطة وأفهام خاطئة:

أيها النَّاس، إنَّنا نريد أن نُصَحِّح أفكار النَّاس؛ فإنَّ كثيرين يظنُّون أنَّ الَّذي ابتُلي وعذِّب فذلك دليل على ضعف إيمانه، وانحرافه عن الحقِّ.

وكذبوا والله؛ فإنَّنا لو مشينا على هذا الفكر الضال لكان الأنبياء والمرسلون كلُّهم ضالين ومنحرفين.

أي نبي وأي رسول عاش داعيًا إلى الله، مجاهدًا في سبيله، ناصرًا للحقِّ، خاذلًا للباطل، ولم يُمتحن؟ ولم يُضطهد من قومه؟

من ثمرات المِحن:

إنَّ سلسلة النُّبوة حلقات دامية كلَّها، وقد صُبَّ عليها الأذى والاضطهاد.

QaradawiBooks.com

إنَّ لله سُـــنة في خلقه لن تتبدل، وقانونًا ثابتًا لا يتحول: إنَّ الله يربِّي عباده بالمحن، ويصقل جواهرهم بالابتلاء، ويصفِّي نفوسهم بالاضطهاد؛ حتَّى لا تعرف إلَّا إيَّاه، ولا ترجع إلَّا إليه، ولا تعتمد إلَّا عليه، ولا تفزع إلى سواه، ولا تنظر إلى غيره، ولا تدعو إلَّا إيَّاه، وحتى ترسل الزفرات الحارَّة، والدعوات الصارخة، الَّتي ليس بينها وبين الله حجاب.

قد يسخر الساخرون بالقلوب المؤمنة، وبالدعوات المظلومة، ولكنَّا نقول لهم:

أَتَـهْـزَأُ بِـالـدُّعَـاءِ وتَـزْدَرِيـهِ؟ ... ومَـا يُدْرِيكَ مَا صَنَـعَ الدُّعَاءُ؟!
سِـهَامُ اللَّيْـلِ لَا تُخْطِـي ولَكِنْ ... لَهَـا أَمَـدٌ وَلِلْأَمَـدِ انْقِضَـاءُ
فَيُمْسِـكُهَا إِذَا مَـا شَـاءَ رَبِّـي ... ويُرْسِـلُهَا إِذَا نَفِـذَ القَضَـاءُ[1]

طريق الدعوة محفوف بالمخاطر:

أيها النَّـاس، إنَّ أنبيـاء الله جميعًا قد اضطُهدوا، وإنَّ الله لم يرسـل رسولًا إلَّا وأدَّبه بدروس الأذى والاضطهاد والابتلاء.

إنَّك لا تستطيع أنْ تشرب كوبًا من الشاي إلَّا إذا أدخلته النَّار فينضج، والمؤمـن لا يكمل إيمانـه إلَّا إذا انصهر في أفـران المحن وصدق الله العظيـم: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

(١) ذكرها الأبشيهي من غير نسـبة في المستطرف صـ١١٧، نشـر عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

QaradawiBooks.com

إنَّ نوحًا ﷺ ظلَّ يدعو ألف سنة إلَّا خمسين عامًا، ويقال عنه: مجنون، وازدجر.

وإنَّ إبراهيم ﷺ قد أوذي من قومه؛ حتَّى ألقوه في النَّار.

وإنَّ إسماعيل ﷺ قد تعرَّض للذبح.

وإنَّ لوطًا ﷺ قد أخرجه قومه من قريتهم، أو أرادوا إخراجه، لا لشيء إلَّا لخُلقه الجميل، ولسانه النظيف، وقلبه الطاهر ﴿قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢].

وإنَّ موسى ﷺ من أوَّل يوم ولد فيه ربَّاه الله على المحن؛ فأُلقي في اليمِّ ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

وإنَّ يوسف ﷺ منذ صغره قد لقي ما لقي؛ فقد أُلقي في الجُب، ولا ذنب له، وبِيع بثمن بخس دراهم معدودة، كما تباع الشياه، ثمَّ نراه يخدم في بيوت الأمراء كما يخدم الأرقَّاء.

يوسف الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي هذا الرسول النسيب الحسيب، يخدم كما تخدم العبيد، ثمَّ يُتهم كما يُتهم ذوو الفاحشة، ثمَّ يُسجن ويلبث في السجن بضع سنين كما يُسجن المجرمون!

إنَّ زكريَّا ﷺ نشره اليهود كما تُنشر الخشب.

وإنَّ السيِّد الحصور يحيى ذُبح كما تُذبح الأنعام.

وإنَّ عيسى ﷺ قد تآمر عليه اليهود، لولا أن رفعه الله إليه.

QaradawiBooks.com

وإنَّ رسول الله ظلَّ في مكَّة ثلاثة عشـــر عامًا وهو يذوق العلقم من الجبهة المشـــركة، ثمَّ يذهب إلـــى المدينة فيلقى من عنت المشـــركين، ودسائس اليهود، ومكر المنافقين!

كلُّ هذا ليزداد صفاءً ويقينًا وقربًا من ربِّه، وقد غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر.

هؤلاء هم الأنبياء، فإن أردتم أن تروا غيرهم فمن ذا ترون؟

والصَّحابة على دربهم سائرون:

أترون إلى عمر وقد مزَّقت أشلاءه يدٌ مجوسية كافرة؟

أترون إلى عثمان وقد قُتل وهو يتلو كتاب الله؟

أترون إلى عليٍّ وقد ضُرب في شهر رمضان وهو ذاهب إلى صلاة الفجر؟

أترون إلى الحسين وقد قُتل ظمآن إلى شربة الماء؟

والدُّعاة والمصلحون على الطريق:

أترون إلى الدعاة من بعدهم والمصلحين؟

أترون إلى ابن تيمية وقد عاش ســـنين من عمره في الســـجون حتَّى قال: لا أجزع من ســـجني ولا نفيي ولا قتلي؛ فسجني خلوة لعبادة الله، ونفيي سياحة في سبيل الله، وقتلي شهادة في سبيل الله[1].

أترون إلى جمال الدين الأفغاني، وقد أُخـــرج من مصر ونفي منها؛ لأنَّه رئيس جمعيَّة سِرِّيَّة من الشَّباب ذوي الطَّيْش مجتمعة على فساد الدين والدنيا!

(١) شرح العقيدة الأصفهانية صـ١٧، نشر المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.

QaradawiBooks.com

أترون إلى حسن البنَّا، وقد قُتل في شـــارع كبير من شوارع القاهرة؛ ليُقَدَّم رأسه هديَّة في عيد ميلاد ملك؟

هكذا كان أنبياؤنا المرسلون، وهكذا كان المُصْلِحون والمُجَدِّدون... كما قال رســولُ الله ﷺ: «**إنَّ الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط**»(١).

النَّاس عند نزول المحن:

حظُّ كلِّ إنســان من المحنة ومن المصيبة ما تُحَدِّث المحنة في نفسه: رضا يطمئن إلى غايته ومنهجه، أو سخطًا فينكر عبادته ودعوته، وصدق الله العظيم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحجُّ: ١١].

والقائل سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠].

ومن هنا لم يكن النَّاس عند نزول المحن سواء، وإنَّما هم أنواع، فمنهم:

١ ـ قوم تُحْدِث المحنة في نفوسهم سخطًا وفزعًا.

٢ ـ قوم تُحْدِث المحنة في نفوســهم صبرًا جميــلًا على قضاء الله، أولئك الَّذين قال الله فيهم: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

---

(١) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٩٦)، وابن ماجه في الفتن (٤٠٣١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢١١٠)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

٣ ـ وقوم تُحْدِث المحنة في نفوسهم الرضا بقضاء الله تعالى، أولئك الَّذين يعلمون أنَّ الله يختار لهم الخير حيثما كانوا، ويتدبَّرون الأثر القدسي إذ أوصى الله إلى داود فقال: «**يا داود، أنت تريد وأنا أريد، فإذا سلَّمت لما أريد كفيتك ما تريد، ثمَّ لا يكون إلَّا ما أريد**»(١).

يتدبَّرون الأثر القائل: «**إنَّ الله تعالى جعل الفرح والروح في الرضا واليقين، وجعل الهمَّ والحزن في السخط والشك**»(٢).

٤ ـ وقوم تُحْدِث المحنة في نفوسهم أكثر من الصَّبر والرضا، وهو: الشُّكر والسرور بقضاء الله تعالى، فيرون المحنة منحة، والنقمة نعمة، والبلية هديَّة... يرون فيها نصر الله كما قال عبد الله بن عمر: ما أُصبت بمصيبة إلَّا كان لله عليَّ فيها ثلاث نِعم: النِّعمة الأولى: أنَّها لم تكن في ديني، والنِّعمة الثانية: أنَّها لم تكن أكبر منها، والنِّعمة الثالثة: أنَّني أرجو ثواب الله عليها(٣).

لا بدَّ من المحنة؛ لأنَّها سُنَّة الله في أصحاب الدعوات، ولن تجد لسُنَّة الله تبديلًا، ولن تجد لسُنَّة الله تحويلًا، والله يقول للمؤمنين: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، ويقول: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، ويقول:

(١) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (٣٤٦/٤).

(٢) رواه الطبراني (٢١٥/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٢٩١): فيه خالد بن يزيد العمري، اتهم بالوضع. وضعف إسناده البوصيري في إتحاف الخيرة (٢٧١/٢)، عن ابن مسعود.

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (١٢٩/٤).

QaradawiBooks.com

﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣].

أيُّها النَّاس، هذه سُنَّة الله في أصحاب الدعوات.

الدنيا دار التعب:

ونظرة أخرى حتَّى في غير أصحاب الدعوات، في طبيعة هذه الحياة الدنيا، إنَّها لا تخلو من عنت ومشقَّة، ودلُّوني بربِّكم على إنسان مرتاح النَّفس، هادئ الضمير، سعيد الفؤاد، ولا يكدِّر حياته مكدِّر، دلُّوني عليه نكن مثله، ليس في هذه الدُّنْيا سعيد، لا غني ولا فقير، ولا ذو سلطان ولا خامل، ربما كان أصحاب الجاه والسلطان أشدَّ النَّاس ألمًا وأكثرهم مرارة وتعبًا ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤].

مِن أوَّل يوم ينزل فيه الإنسان من بطن أمِّه يجد العناء.

وقد قيل لسيِّدنا عليٍّ: صف الدنيا.

فقال: ماذا أصف من دار أولها بكاء، وأوسطها عناء، وآخرها فناء، من افتقر فيها حزن، ومن اغتنى فيها افتتن، في حلالها الحساب، وفي حرامها العقاب، وفي متشابهها العتاب[1].

إذا كان أهل الدُّنْيا متعَبين، وطلاب الآخرة متعَبين، ما دام التعب ضرورة، فلنتعب للآخرة بدلًا من أن نتعب للدنيا، ولنتعب لله بدلًا من أن نتعب للنَّاس، ولنتعب للرحمن بدلًا من أن نتعب للشيطان، اجعلوا تعبكم ومعاناتكم للآخرة وللإسلام ـ أيَّها النَّاس.

(١) رواه القالي في الأمالي في لغة العرب بمعناه (١٢٠/٢)، ترتيب محمد عبد الجواد الأصمعي، نشر دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦م.

QaradawiBooks.com

نسأل الله تعالى أن يتقبَّل أعمالنا، إنَّه نِعم المولى ونِعم النصير.

يقول رسول الله ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن! إنَّ أمره كلَّه له خير، وليس ذلك لأحد إلَّا للمؤمن، إنْ أصابته سرَّاء شكر فكان خيرًا له، وإنْ أصابته ضرَّاء صبر فكان خيرًا له**»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمَّتي على الحقِّ ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرُّهم من جابههم إلَّا ما أصابهم من لأواءَ ـ أذى ـ حتَّى يأتي أمر الله...**»(٢).

* * *

غير مرخصة للطباعة

(١) رواه مسلم في الزُّهد والرقائق (٢٩٩٩)، وأحمد (١٨٩٣٤)، عن صهيب.

(٢) رواه عبد الله في المسند وجادة عن خط أبيه (٢٢٣٢٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره دون قوله: قالوا: يا رسول الله، وأين هم... والطبراني (١٤٥/٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٢٤٨): رجاله ثقات. عن أبي أمامة الباهلي.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

غير مرخصة للطباعة

أمَّا بعد، أيها الإخوة المسلمون:

هكذا الدُّنْيا أيَّها النَّاس، كلُّ إنسان معرَّض فيها لبلية نازلة، أو لنعمة زائلة، أو لجائحة في نفسه، أو في أهله، أو في ماله، أو فيمن يحبُّ من أهله وعشيرته.

ربما كان أشدُّ النَّاس تعبًا هم الَّذين تعدُّونهم سعداء، وربَّما كان أشدُّ النَّاس سعادة هم الَّذين تعدُّونهم مغرَّبين أو مضطهدين.

لأنَّ المؤمن يشعر بالأمان في نفسه، والاطمئنان إلى مصيره، وإن خاف النَّاس من حوله، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرَّعد: ٢٨].

وقديمًا قال إبراهيم لقومه حينما حاجوه وناقشوه: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۞ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ﴾ أصنامكم الكبيرة ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠ ـ ٨٢].

لقد قالت امرأة عمر حينما قال لها: لأشقينَّك، لأرينَّك الشقاء والهوان.

فقالت: لا تستطيع ـ يا عمر ـ أن تشقيني؛ فما كانت سعادتي في مال تمنعني منه، ولا في زينة في صدري ولا في أذني لتقطعها عني، وما هي في شيء من هذه الدنيا، ولكنِّي ـ يا عمر ـ أرى سعادتي في إيماني، وإيماني في قلبي، وقلبي لا سلطان لأحد عليه غير ربي.

QaradawiBooks.com

إنَّنا نسعد ـ أيَّها النَّاس ـ بعقيدتنا.

إنَّنا نسعد ـ أيَّها النَّاس ـ بدعوتنا.

إنَّنا نسعد ـ أيَّها النَّاس ـ بإيماننا.

ليست سعادتنا في فخامة الدور، ولكنها في طوايا الصدور.

وليس إيماننا في البنيان والطوب، ولكن في شغاف القلوب.

فليعملوا ما شاءت لهم أهواؤهم وأغراضهم، فإنَّ القافلة تسير، وإن دين الله باق، وإن دعوة الله ماضية ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

ورد أنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلَّا استجيب له[١].

اللهمَّ نسألك رحمة من عندك تجمع بها شملنا، وتلمُّ بها شعثنا، وتقوِّم بها عوجنا، وتصلح بها فسادنا، وتهدي بها قلوبنا، وترفع بها شأننا، وتزكِّي بها أعمالنا.

ربنا أعنَّا ولا تُعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا ولا تمكر علينا، واهدنا ويسِّر الهدى إلينا، وانصرنا على من بغى علينا.

* * *

(١) كما في الحديث المتَّفق عليه: أنَّ رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «إنَّ في الجمعة لساعة، لا يوافقها مسلم، قائم يصلي، يسأل الله خيرًا، إلَّا أعطاه إيَّاه» وأشار بيده يقللها. رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢)، كلاهما في الجمعة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١١

النَّاس أصناف أربعة[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا معشر المسلمين:

أصناف النَّاس:

النَّاس في هذه الدُّنْيا أصناف شتَّى، وأنواع كثيرة:

١ ـ صنف يعيش للشَّهوة، فهذا حيوان.

٢ ـ صنف يعيش للأذى، فهذا سبع.

٣ ـ صنف يعيش للباطل، فهذا شيطان.

٤ ـ صنف يعيش للحقِّ، فهذا ملاك.

الصنف الأول: من يعيش لشهوته:

من النَّاس من يعيش في هذه الدُّنْيا ولا غاية له، ولا مبدأ له، ولا فكرة له، ولا هدف له، تسأله: كيف يعيش؟ ولمَ يعيش؟ وإلى أين يسير؟ وفي أي طريق يمشي؟

(١) أُلقيت في ٦ شعبان ١٣٧٣هـ الموافق ٩ أبريل ١٩٥٤م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فلا يعطيك جوابًا، بل ربما لا يعرف معنى السؤال.

هذا جحد نعم الله الكبرى عليه.

فلماذا أنزل الله له الكتب؟ ولماذا أرسل له الرسل؟ ولماذا منحه العقل الَّذي به يميِّز؟ والقلب الَّذي به يحسُّ؟ والإرادة الَّتي بها يرجِّح ويختار؟

هذا لم يعرف قدره، فتراه حيًّا كميت، وموجودًا كمفقود، وإنسانًا كحيوان؛ همُّه كما قال القائل:

إنَّما الدُّنْيا طعامْ وشرابٌ ومنامْ
فإذا فاتك هذا فعلى الدُّنْيا السَّلامْ[1]

هذا صنف من النَّاس لا يمكن أبدًا أن نعدَّه في زُمرة الإنسانيَّة، وأن نحسبه على الطائفة البشريَّة؛ يعيش في الدُّنْيا كأنَّه ليس منها، يعيش كأنَّه ليس فيها، لا يحسُّ بالحياة، ولا تحسُّ به الحياة، لا يشعر بحقيقة الوجود، ولا يشعر بسرِّ الوجود.

هذا هو الصنف الَّذي حدَّثنا عنه الله تعالى فقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

لهم حواس ولهم مشاعر، ولكنَّهم عطَّلوها، وغطُّوا عليها، وأهملوها، فكانوا كالأنعام، بل كانوا أضلَّ من الأنعام، وإنَّما كانوا أضلَّ من الأنعام، وكانوا أحطَّ درجة، وأنزل شأنًا؛ لأن الحيوان معذور.

(١) محاضرات الأدباء (١/٧٨٤ ـ ٧٨٥).

QaradawiBooks.com

لماذا هذا الصنف أضلُّ من الأنعام؟

وهذا الصنف من النَّاس أضلُّ من الأنعام لحقيقتين:

الحقيقة الأولى: أنَّ الأنعام لا عقل لها تفكِّر، ولا حسَّ به تشعر، ليس لها تلك القلوب الخافقة، وليس لها تلك الأنفس الناضجة، وليس لها تلك الأفكار العالية، لم تنزل عليها الكتب، ولم تُرسل إليها الرسل، فلا عجب إذا سارت وراء شهواتها، وانحطَّت في دركاتها، وانغمست في ملذَّاتها.

أمَّا هذا الإنسان العجيب الَّذي سخَّر الله له السماوات والأرض، ما عذره إذا أهمل سرَّ الله في كيانه؟

لا عذر له.

لهذا كان مثل هذا الصنف من النَّاس أضلَّ من الأنعام سبيلًا!

والحقيقة الثانية: أنَّ الأنعام والبهائم، والجواميس والأبقار، والخيل والبغال والحمير: لها مهمَّة تؤدِّيها، ولها رسالة لا تتأخر عن أدائها.

الجاموسة إذا دُعيت للحرث والنَّسل لا تتردَّد، ولا تتأخَّر عن أن تجرَّ المحراث، ثمَّ هي تربي أولادها، ثمَّ تأتينا باللبن خالصًا سائغًا للشاربين.

فهي تؤدِّي مهمَّتها، وتقوم برسالتها، لا تتمرَّد ولا تعصي.

فما بالك بالإنسان ومهمَّته عبادة الله وحده، وخلافة الله في هذه الأرض، فما بالك بهذا الَّذي لا يعرف مبدأ يعيش له، وإنَّما يعيش للشَّهوات، يعيش للبطن وللمعدة، يعيش للفرْج وللغريزة، يعيش للمرأة، يعيش للهو واللعب، يعيش لهذه الغايات الضئيلة الَّتي تفنى؟

QaradawiBooks.com

الصنف الثاني: من يعيش لأذى غيره:

وهناك صنف آخر: لا يكتفي فقط أنْ يأكل ويشرب، ويلهو ويلعب، بل راحته في إيذاء النَّاس، وسعادته في ظلم النَّاس، طبيعته طبيعة الوحوش الضارية، والثعابين النفَّاثة، والعقارب اللادغة، لا يرتاح ولا ينشرح إلَّا بنفث السموم، تسمع له القول المعسول، واللفظ الليِّن، ولكنَّه يضمر في نفسه شرًّا.

لو كشفت عن أسنانه وأضراسه لوجدتها أسنان وحش ضار، وأنياب نمر مفترس، ولو كشفت عن ثيابه لوجدت تحت الثياب كلبًا عقورًا، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].

لا تقل: إنَّ هذا الصنف بشر، إنَّهم شرٌّ من السِّباع والوحوش؛ لأنَّ الوحوش لا تؤذي فرائسها بقصد الأذى والعدوان، بل هي تقصد أن تشبع جوعها، وتملأ بطنها، بخلاف هؤلاء الَّذين يؤذون لغرض الأذى.

الصنف الثالث: من يعيش للباطل:

وهناك صنف ثالث: يعيش لمبدأ، ولكن لمبدأ باطل، ويحيا لفكرة، ولكن لفكرة ضالَّة، إنَّه قد ضلَّ وخُدع، إنَّه قد غُرِّر بعقله، وانحرف تفكيره، فسار وراء السَّراب يظنُّه ماء، وظنَّ الورم شحمًا، وظنَّ الشرَّ خيرًا والباطل حقًّا، هذا هو المخدوع كما قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗا﴾ [فاطر: ٨]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُمۡ بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ۞ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

QaradawiBooks.com

ولهذا كان من دعاء السَّلف: اللهمَّ أرنا الحقَّ حقًّا وارزقنا اتِّباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.

وكان من دعاء المسلمين في كلِّ يوم في سبع عشرة ركعة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

المغضوب عليهم هم: الَّذين يعرفون الحقَّ ولا يتبعونه، خدعهم الشيطان.

والضالُّون: هم الَّذين انحرفوا عن طريق الحقِّ؛ لأنَّهم جهلوه ولم يعرفوه، أو التبس عليهم الحقُّ بالباطل، واختلط عليهم الحابل بالنابل، كالذي ضلَّ في الصحراء، فلم يعرف له وجهة: أبشرق أم بغرب؟

فاللهمَّ اهدنا الصراط المستقيم؛ صراط الَّذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

آمين.

الصنف الرابع: من يعيش للحقِّ:

وهناك صنف رابع: هو الَّذي يعيش لغاية كريمة، يعيش لمثُل عُليا، يعيش لفكرة رفيعة، يعيش لهدف نبيل، يعيش لعقيدة سامية، لمبدأ حقٍّ.

إنَّه لا يعتقد أنَّ الله سبحانه قد هيَّأ له هذا الكون، وأوجد فيه سرَّ الحياة، وأنزل عليه الكتب، وأرسل إليه الرسل، لا يعتقد أنَّ هذا كلَّه ليعيش عيشة الحيوان، بل ليعيش إنسانًا كريمًا يرتفع بنفسه إلى الله تعالى، ويسمو برُوحه إلى الملأ الأعلى، إلى الملائكة المقرَّبين.

QaradawiBooks.com

هؤلاء هم الَّذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البيِّنة: ٧].

غايات نبيلة وأخرى وضيعة:

لقد قال الله تعالى مبيِّنًا للنَّاس الغايات الكريمة من الغايات الوضيعة: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٤، ١٥].

هل أدلُّكم على أفضل من الحرث والأنعام، والنِّساء والبنين، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة؟

نعم أنبئنا يا رب!

﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۞ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۞ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ [آل عمران: ١٥ ـ ١٧].

أولئك الَّذين عرفوا حقيقة وجودهم، أولئك الَّذين أدركوا سرَّ حياتهم، أولئك الَّذين عرفوا أنَّ كلَّ ما في الوجود لا يساوي حبَّة خردلة، وأنَّ الدُّنْيا بأرضها وسمائها، وبحارها وأنهارها، وزروعها وأشجارها، وجِنِّها وإنسها، وفضتها وذهبها، لا تزن عند الله جناح بعوضة، ولو كانت تساوي عند الله جناح بعوضة ما شرب كافر منها شربة ماء[1].

(١) إشارة إلى حديث سهل بن سعد: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرًا منها شربة ماء»، وقد سبق تخريجه صـ ١٠٨.

QaradawiBooks.com

تسبيحة أفضل من مُلك سليمان!

لقد حكوا أنَّ سليمان بن داود مرَّ بملكه العريض، وموكبه العجيب ـ فيه الجنُّ والإنس والطير، من كلِّ صنف ولون ـ على رجل فلاح يلقي بذرته في الأرض، يبذر الحبَّ ويرجو الثمار من الربِّ، فرأى فخامة ملكه وضخامَته، فقال معجبًا بهذا الملك: لقد أوتيتَ يا ابن داود ملكًا عظيمًا.

فبلغت مقالته سليمان، فقال في معرفة المتواضعين العارفين: والله لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير ممَّا أُعطي ابن داود[1].

فإنَّ التسبيحة في صحيفة المؤمن تبقى، وما أوتي ابن داود يزول ويفنى.

هذا هو منطق المؤمنين، هذا هو فقه أصحاب القلوب: الَّذين بحثوا عن السعادة الحقِّ فوجدوها، ولم يضلُّوا الطريق إليها.

ليست هذه هي السعادة:

إنَّ السعادة ليست في المال؛ فالمال ظلٌّ زائل.

وليست في الجاه؛ فالجاه نَجْمٌ آفل.

وليست في الأولاد؛ فالولد لا يبقى لك، وإن بقي فلن تبقى له.

وليست في الملك؛ فالملك لا يدوم.

إنَّ كلَّ ما في الدُّنْيا ومَن في الدُّنْيا إلى زوال، كلُّ جمْع إلى شتات، وكلُّ حيٍّ إلى ممات، وكلُّ مُلك إلى فوات.

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣١٣/٢)، عن أبي عمران الجوني.

QaradawiBooks.com

هــب الدُّنْيا تُسَــاقُ إليــك عَفْوًا ... أليس مصيــرُ ذاك إلــى انتقالِ؟
ومــا دُنْيــاكَ إلَّا مثــل ظــلٍّ ... أظلَّــكَ ثــمَّ آذنَ بالــزوالِ[1]!

هذا هو شأن الدنيا!

السعادة الحقَّة في القلوب:

لقد عرف أرباب العقول النيرة، وفقِه أصحاب القلوب البصيرة: أنَّ ســعادة المرء ليســت في مظهر من مظاهرهــا، ولا في مال من أموالها، ولا في عَرض من أعراضها الزائفة، إنَّما سعادتها الحقَّة فيما ينبع من شــغاف القلوب الطاهــرة، وفيما يُرفع إلــى الله تعالى من العمل الصالح.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النِّساء: ١٣٩].

هكذا عَرف المؤمنون، وهكذا فقِه العارفون، وهكذا يتربَّى الشَّــباب الطاهرون.

يُرِيــدُ العَبْــدُ أن يُعْطَــى مُنَــاهُ ... ويأبــى اللهُ إلَّا مــا يُرِيــدُ
يقــول العبــدُ: فائدتــي ومالــي ... وتقــوى الله أفضــلُ مــا يُفِيــدُ
ولســتُ أرى الســعادةَ جَمْعَ مالٍ ... ولكــنَّ التَّقِــيَّ هــو الســعيدُ[2]

السعادة إذن ليست في وفرة المال، ولا سطوة الجاه، ولا كثرة الولد، ولا نيل المنفعة.

(١) من شعر أبي العتاهية، انظر: لباب الآداب للثعالبي صـ١٧٢.
(٢) البيتان الأولان يُنسبان إلى أبي الدرداء. انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (٢٢٥/١).
والبيت الثالث في ديوان الحطيئة رواية وشرح ابن السكيت صـ ٧٩.

QaradawiBooks.com

السعادة شيء معنوي لا يُرى بالعين، ولا يُقاس بالحجم، ولا تحتويه الخزائن، ولا يُشترى بالدينار، ولا بالجنيه، أو الروبل، أو الدولار.

السعادة شيء يشعر به الإنسان بين جوانحه، صفاء نفس، وطمأنينة قلب، وانشراح صدر، وراحة ضمير.

هؤلاء هم النَّاس حقًّا:

هذا الصنف الرابع هو الَّذي يعيش للغاية الحقَّة، يجب أن نعدَّه وحده من النَّاس، ويجب أن نحسبه وحده من المؤمنين الصادقين.

إنَّ الإنسان ليس إنسانًا بضخامة جسمه، ولا بجمال منظره، ولا بفخامة مظهره، ولا بما أوتي من مال وجاه، وإنَّما هو إنسان بهذه المضغة الَّتي بين جنبيه، هو إنسان بهذا القلب الَّذي به يصلُح أو يفسد، ويسعد أو يشقى، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعراء: ٨٨، ٨٩].

وفي «الصحيحين»: قال ﷺ: «**ألا إنَّ في الجسد مُضغة إذا صلَحت صلح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه؛ ألا وهي القلب**»[(١)].

فأصلحوا ـ أيَّها النَّاس ـ هذه القلوب.

كيف نعرف الحقَّ من الباطل:

أيُّها النَّاس، بماذا نعرف المبدأ الحقَّ من المبدأ الباطل؟

المبدأ الحقُّ: هو الَّذي يتَّصل بالله تعالى، هو الَّذي يأمر به الله؛ لأنَّ معنى الحقِّ: الثابت الَّذي لا يتغيَّر.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

فكلُّ متغيِّر وزائل هو الباطل: لا يملك أساسًا له.

والحقيقة الثابتة في النُّفوس، الراسية في القلوب، الَّتي لا يعتريها تغيير ولا زوال هي: الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

فليس في الدُّنْيا حقٌّ إلَّا الله.

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يُونس: ٣٢].

إنَّ كلَّ ما تظنُّه في الدُّنْيا ممَّا سوى الله حقًّا، فأنت به مخدوع، فكم من شيء اعتقدت أنَّه حقٌّ وزال، ولكن الحقَّ الباقي: هو الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحجُّ: ٦٢].

مَن جهل هذا في الدُّنْيا سيعرفه في الآخرة.

مَن عمِيَت عينه عنه اليوم فسينكشف الغطاء غدًا ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]، ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النُّور: ٢٥].

أيُّها النَّاس،

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ بَاطِلُ وكلُّ نَعِيمٍ لا مَحَالَةَ زَائِلُ

هذه أصدق كلمة قالها شاعر كما قال رسولُ الله ﷺ[1]، فقيسوا المبدأ الحقَّ بصلته بالله، وبكتابه، وبدينه، وبرسوله.

(١) إشارة إلى حديث: «**أصدق كلمة قالها الشاعر؛ كلمة لبيد**». متَّفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٤١)، ومسلم في الشِّعر (٢٢٥٦)، عن أبي هريرة. وانظر: ديوان لبيد صـ١٣٢، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

فهو الحقُّ الَّذي لا يمكن أن يزول، مهما تألَّبت عليه القوى، وتجمَّع عليه النَّاس، وكاد له الكائدون، وتربَّص به المتربِّصون، فإن الله من ورائهم محيط، وإن ربَّك لبالمرصاد، وإن عين الله لا تغفل، وإنَّ الله لا تأخذه سِنة ولا نوم.

﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزُّخرف: ٨٠].

اخترْ لنفسك صنفًا:

أيها النَّاس، هؤلاء هم أصناف النَّاس:

صنف: ليس له فكرة ولا مبدأ ولا غاية، يعيش لبطنه وفرْجه، ويدور حول أمعائه وأهوائه، ويحيا لمأكله ولمشربه، ولملبسه أو مسكنه، لامرأته أو لأهله، أو لأولاده، يعيش لمصلحته الذاتية، ومنفعته الشخصيَّة.

وصنف ثان: يعيش لإيذاء النَّاس، كما تعيش العقارب، والثعابين، ولا يتمكَّن إلَّا ليتمكَّن لنفسه، ولا يحسن القول والكلام إلَّا ليجد الفرصة لإيذاء خلق الله.

وصنف ثالث: خُدع عقله، فمشى وراء الأحلام، وظنَّ الباطل حقًّا، والضلال هدًى، فهذا لا يهتدي حتَّى ينكشف له الغطاء، ويتَّضح الصبح لذي عينين، فإنَّ الأمر سيظهر في الآخرة.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [النُّور: ٣٩].

وصنف رابع: هو الَّذي يعيش لغاية، ويحيا لفِكرة، ويعمل لهدف رفيع نبيل، فهؤلاء هم المؤمنون ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرَّعد: ٢٨].

QaradawiBooks.com

فاللهمَّ اجعلنا منهم، وانفعْنا بهم.

يقول رسول الله ﷺ: «**الحلال بَيِّن والحرام بيِّن وبينهما مُشْتَبِهات، لا يعلمهنَّ كثير من النَّاس، فمن اتَّقى الشُّبهات فقد استبرأ لدِينِه وعِرضه** ـ أي: طلب البراءة لدينه وعِرضه ـ **ومن وقع في الشُّبهات فقد وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحِمى، يوشك أنْ يرتع فيه، ألا إنَّ لكلِّ ملك حِمى، ألا إنَّ حِمى الله محارمه، ألا وإنَّ في الجسد مُضغة إذا صلُحت صلُح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه، ألا وهي القلب»**[(١)].

وقال ﷺ: «**إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**إنَّ من ورائكم لفتنًا كقِطَع الليل المظلم، للعامل فيها أجر خمسين منكم**».

قالوا: منهم يا رسول الله.

قال: «**بل منكم؛ لأنَّكم تجدون على الخير أعوانًا، وهم لا يجدون على الخير أعوانًا**»[(٣)].

والحمد لله ربِّ العالمين.

* * *

(١) سبق تخريجه صـ ١٦٥.

(٢) رواه مسلم في البرِّ والصِّلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٨٢٧)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٤١)، والترمذي في التفسير (٣٠٥٨)، وابن ماجه في الفتن (٤٠١٤)، وابن حبان في البر والإحسان (٣٨٥)، والحاكم في الرقاق (٣٢٢/٤)، وصحَّحه ووافقه الذهبي. عن أبي ثعلبة الخشني.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٢

جهاد الجزائر[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها العرب، أيُّها المسلمون:

هل أتاكم نبأ الجزائر المؤمنة المجاهدة؟ ذلك الجزء العزيز من وطننا العربي الكبير، والَّذي يُعَدُّ واسطة عِقْد المغرب العربي، وفِلْذة كبد العروبة في الشمال الإفريقي.

عاطفتان مختلفتان:

إنَّ الحديث عن الجزائر العربيَّة يُثير في النَّفس عاطفتين مختلفتين: يثير الغضب والحقد والكراهية إذا ذُكرت فرنسا ووحشيَّتها، ويثير الإشفاق والإعجاب والتقدير إذا ذُكرت الجزائر وبسالتها.

ثورة مُدَوِّية كأنَّها الرعد:

لقد نُكبت الجزائر بالاستعمار الفرنسي في غفلة من الزمن سنة ١٨٣٠م، وكانت أوَّل قُطر عربي حلَّت به كارثة الاستعمار.

(١) نصُّ الخطبة التي أُذيعت من إذاعة القاهرة من مسجد الزمالك، سنة ١٩٥٧م.

QaradawiBooks.com

ولكــنَّ الجزائر الأبيَّة لــم تركع على قدميها صاغــرة، ولم تفتح ذراعيها للمســتعمر، بل قاومت وصمدت، وبذلــك وضُحت غايتها، وقام أبناؤهــا بحركات عديدة ضد بغي فرنســا، قُتــل فيها الألوف، وعشــرات الألوف، وهُدمت منازل ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيرًا، وأُبيدت قُرى بأســرها، فلم يثن ذلك للجزائريين عزمًا، ولم يفل لهم حدًّا، بل كانوا كالشُّعلة المتَّقدة كلَّما هبت عليها الريح زادت اشتعالًا، ولم يزالوا مصمِّميــن على التحرُّر من عبوديَّة فرنســا، وتحطيم قيود الذلِّ والهوان، حتَّى قامت ثورتهم المباركة الأخيرة منذ ثلاث سنوات، مُدَوِّية كأنَّها الرعد، كاسحة كأنَّها العاصفة، راسية كأنَّها الجبل، جبَّارة كأنَّها قدر من الأقدار.

وجُنَّ جنون فرنسا، فجمعت جموعها، وحشدت جيوشها، تزحف من البرِّ، وتضرب من البحر، وتقذف بالحمم من الجو.

نصف مليون جندي فرنســي بكلِّ ما لدى فرنسا من أسلحة حديثة، بل بأسلحة أوربا الغربية، وحلف الأطلنطي كلِّه، بهذا كلِّه وقفت فرنسا تحارب جيش التحرير، المحدود العدد، الضئيل السِّلاح.

هل أخافَ هذا العدد والعُدد أبناء الجزائر؟

لا، ثمَّ لا؛ إنَّهم نظروا إليه نظرة خبير بشباب فرنسا المنحلِّ المنهار، وردَّدوا ما قاله الرســول ﷺ حين نظر إلى جموع المشركين يوم هوازن: «**تلك غنيمة المسلمين غدًا إن شاء الله**»[1].

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٥٠١)، والنســائي في الكبرى في الســير (٨٨١٩)، والحاكم في الجهاد (٨٣/٢)، وصحَّحه على شــرط الشــيخين، ووافقه الذهبــي، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٢١٨٣)، عن سهل ابن الحنظلية.

QaradawiBooks.com

وكانوا مثالًا رائعًا للمؤمنين[١] ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

جهود ابن باديس ورفاقه:

وطار لُبُّ فرنسا من تصميم الأحرار، وضربات المجاهدين، فاعتقلت الزُّعماء الخمسة، تحسب أنَّ الثورة ستخمد نارها، وجهلوا أنَّ حركة الجزائر ليست حركة أشخاص، ولكنها حركة أمَّة، ويقظة عملاق، وامتداد حضارة، وانتفاضة تاريخ.

إنَّها نتيجة تعليم طويل المدى وتربية عميقة الجذور لعلماء مخلصين ورجال مؤمنين ﴿صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

إنَّها ثمرة لما غرسه الإمام المجدِّد: عبد الحميد بن باديس ورفقاء دربه: الإبراهيمي، وإخوانه من أعضاء جمعيَّة العلماء الجزائريين المسلمين، الَّذين وقفوا أمام الاستعمار الفرنسي يقاومون «فرنسته» بالأسلمة والتعريب، وتجهيله للشعب بالتعليم، ويربون الجيل الحرَّ الَّذي حمل اليوم السِّلاح ليحارب الوحش الاستعماري، أو الاستعمار الوحشي.

ابن باديس هو الَّذي حفَّظ الشعب الجزائري النشيد الخالد:

---

(١) هم الصحابة الذين حضروا غزوة أحد، وقد جاءهم أنَّ أبا سفيان، ومن معه أجمعوا على السَّير إلى المدينة ليستأصلوا المسلمين، فقال الرسول ومن معه: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾. قال ابن عباس: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها محمد ﷺ، حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾. رواه البخاري في التفسير (٤٥٦٣).

QaradawiBooks.com

شَــعْبُ الجَزَائِــرِ مســلم وإلــى العُرُوبَــةِ يَنْتَسِــبْ
من قــال: حــاد عــنَ اصْلِهِ أو قال: مات، فقــد كَذَبْ[1]

غير مرخصة للطباعة

حرب على العروبة والإسلام:

أيُّها العرب، أيَّها المسلمون، لقد عرف الفرنســيُّون المُسْتَعْمِرون أنَّ قِوَام الشخصيَّة الجزائريَّة هو العروبة والإسلام، فحاولوا بكلِّ ما استطاعوا من قوَّة وكيد أن يُحَطِّموا تلك الشخصيَّة لتنهار مقاومتها، ويذوب كيانها، ويسهل ابتلاعها وإدماجها.

حاربت فرنسا اللغة العربيَّة، وأصدر أحد وزراء خارجيتها قرارًا بأنَّ اللغة العربيَّة لغة أجنبيَّة بالنسبة لجميع ســكان الجزائر، واعتبر تعليمها «محاولة عدائيَّة» ضد فرنسا، لصبغ الجزائر بالصبغة العربيَّة.

وحاربت فرنسا الحرَّة المتسامحة! الدين الإسلامي حربًا خسيسة فاجرة، وحســبنا هذا النص الواحد دليلًا على سياســة فرنســا مع الإسلام:

قال أحد الفرنســيِّين في الإدارة الإســلاميَّة: «لقد بلــغ مدى إذلالنا للدين الإســلامي: أنَّه أصبح يتعيَّن على كلِّ من يرغب في شغل منصب من مناصب الإمامة والإفتاء، أنْ يعمل جاسوسًا لفرنسا! وهو لا ينال بعد ذلك تقدُّمًا أو ترقية إلَّا بقدر ما يُظهر من وفاء، ويثبت من طاعة للإدارة العامَّة الفرنسية».

(١) انظر: آثار ابن باديس (٣٣٤/٤)، تحقيق عمار طالبي، نشر دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط١، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

فشل ذريع لفرنسا:

تلك كانت سياسة فرنسا في قرن وربع قرن من الزمان: سياسة فرنسة الجزائر، وإلغاء شخصيتها العربيَّة المسلمة، فهل أفلحت سياسة فرنسا؟

لا، وايم الحـقِّ: إنَّ جهودها الجبَّـارة المتتابعـة، المؤيَّدة بالحديد والنَّار، والعلم والمال، والخبث والدهاء، باءت بالفشل الذريع، وبقيت الجزائر عربية صريحة العروبة، مسـلمة عميقة الإسـلام، وأضافت إلى كتاب العروبة والإسـلام صفحة خلـود جديدة، أثبتت بهـا أنَّ العروبة أصلب عودًا، وأشدُّ قوَّة، وأنَّ الإسلام أعظم صمودًا واستعصاء على كلِّ محاولات الخادعين والمخادعين.

أيُّها المسـلمون، لقد تجلَّت الجزائر المؤمنة بربِّها وبنفسها وبحقِّها في جيش تحريرها المنصور، الَّذي ألقى على الطغاة الفرنسـيِّين دروسًا بليغة في احترام الشُّعوب، وعلَّمهم أنَّ في الزوايا خبايا، وأنَّ في العرين أسـودًا لا يُسـتباح حماها، وأنَّ الجزائر ليسـت غنيمة باردة، ولا لقمة سائغة، ولكن طعمها مرُّ المذاق، ولحمها سمٌّ زعاف.

النعام تستأسد:

ولما فشل جيش فرنسا في مواجهة ثلاثين ألفًا من المجاهدين الَّذين لا يملكون سوى البنادق والرشَّاشات ولَّى وجهه شطر المدنيين الآمنين.

جيش فرنسـا الَّذي خرَّ على ركبتيه منذ الضربة الأولى للألمان سنة ١٩٤٠م، وفـاز ببطولة العَدْو أمـام جنود هتلر! هؤلاء النعـام يريدون أن يكونوا أسودًا تثبت زئيرها ونابها ومخلبها، ولكن على مَن؟

على النِّساء الحوامل، والفتيات العذارى، والأطفال الرضَّع، والشُّيوخ المحطَّمين.

QaradawiBooks.com

وحوش في لبوس بشر:

لقد صبَّ الاستعمار الفرنسي جام غضبه على القرى الآمنة، فحرق بلادًا بأسرها، وهدم دورًا ومنازل، وقتل أعدادًا هائلة من النَّاس، وتفنَّن في صنوف التنكيل والتعذيب ممَّا لا عين رأت ولا أذن سمعت!

ألم تروا إلى القرية العامرة، تمرُّ عليها في الصباح نابضة بالحياة آهلة بالسكان وادعين، وبالزراع كادحين، وبالأطفال لاعبين، فتمرّ عليها في المساء فلا تجد مكان الدور إلَّا خرائب، ولا مكان الحياة إلَّا موتًا، ولا مكان الآدميين إلَّا أشلاء متناثرة، سلّطت عليها الآلات الجهنمية فجعلتها حصيدًا كأن لم تغْن بالأمس؟

ألم تروا إلى الرَّجل الأعزل، أو المرأة الضعيفة، أو الصبي الناعم الأظفار أمسك به كلاب الصيد من الفرنسيِّين فصبُّوا عليه صفائح البنزين، ثمَّ أشعلوا في جسده النار؛ ليتلذَّذوا برؤية تلك الشمعة الآدمية وهي تحترق، وهم بين الضحك الوحشي، والعربدة النكراء؟!

ألم يأتكم حديث القرية الجزائرية الَّتي دخلوا عليها كالريح العقيم، فساقوا أهلها كما يسوق الجزار الشياه إلى المجزرة، وأمروهم أنْ يخلعوا ملابسهم، ويعروا أجسادهم رجالًا ونساءً، كبارًا وصغارًا، تحت ضغط السياط الَّتي تلهب الظهور، والمدافع المصوبة إلى الصدور، ثمَّ يحدث ما يستحيي من ذكره اللسان، وتقشعرُّ من هوله الأبدان!

وكم من سيدة شريفة أو فتاة عذراء قَتلت من أجل ذلك نفسها؛ حتَّى لا تدنِّس عِرضها!

QaradawiBooks.com

وكم من رجال ـ بعد هذه المناظـر ـ اعتصموا في الجبال مصمِّمين على الانتقام للعِرض والشرف أو الموت في مَيْدَان الجهاد.

لمِثْلِ هذا يذوبُ القَلْبُ من كَمَدٍ إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ[1]

فرنسا نسيت تاريخها:

أيُّها العرب، أيُّها المسـلمون، تلك هي فرنسـا! مهـد الثورة، وأم الحرية، وبلد الإخاء والمساواة ـ كما يزعمون ولا يستحون!

هي فرنسا! الَّتي سـبرنا غورها، وعجنَّا عودها، فعرفتنا وعرفناها منذ قرون:

عرفتنا فرنسـا في العصور الوسـطى حين تكتَّل الغـرب الصليبي للاعتداء على الشـرق الإسـلامي، فلقَّنها صلاح الدين الأيوبي درسًا قاسيًا لم تكن لتنساه، فلما نسـيته وعادت تزحف بجيوشها إلى مصر، واحتلَّت دمياط واتجهت نحو المنصورة لقيها جيش مصر، فهزمها شرَّ هزيمة، وأُخذ ملكها «لويس التاسـع» أسيرًا، وحُبس في دار ابن لقمان بالمنصورة، ولم يُفك أسره إلَّا بعد دفْع فدية ضخمة، وأصبح الفرنسيون بعدها موضع الازدراء والسخرية، حتَّى تندَّر بهم الشاعر المصري ابن مطروح فقال:

قُـلْ للفِرْنِسِـيسِ إذا جِئْتَـه مقالَ صِـدْقٍ عن قـؤولٍ فصيح
أتيـتَ مِصْـرَ تبتغـي مُلْكَهـا تحسـب أنَّ الزمر يا طبـلُ رِيح
وكلّ أصحابِـكَ أودعتهـم بحُسْـنِ تدبيركَ بطنَ الضريح!

(١) من شعر أبي البقاء الرندي. انظر: نفح الطيب للمقري (٦/٢٣٢ ـ ٢٣٤)، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

QaradawiBooks.com

خمسين ألفًا لا ترى منهمو ... غير قتيلٍ أو أسيرٍ جريح
ألهمك اللهُ إلى مِثْلِها ... لعلَّ عيسى منكمو يستريح
إذا كان بَابَاكُمو بذا راضيًا ... فرُبَّ غِشٍّ قد أتى من نَصِيح
وقل لهم: إنْ أضمروا عودةً ... لأخذ ثأر أو لقصدٍ قبيح
دار ابن لقمان على حالها ... والقيد باقٍ والطواشي صبيح[1]

أيُّها العرب، أيَّها المسلمون، اعرفوا عدوكم حتَّى تحذروا منه، وتُوجِّهوا القوى إلى حربه، وهذا يقتضي منَّا توحيد الجهود، وإعداد العُدَّة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصَّف: ٤].

وفي الحديث: يقول الرسول ﷺ: «**والذي نفس محمَّد بيده، لولا أنْ أشقَّ على المسلمين ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا، ولكن لا أجد سعة فيتبعوني، ولا تطيب أنفسهم فيتخلَّفون بعدي.**

والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّد بيده، لوددتُ أنْ أغزو في سبيل الله فأقتل، ثمَّ أغزو فأقتل، ثمَّ أغزو فأقتل»[2].

* * *

(١) انظر: الحروب الصليبية أسبابها نتائجها حملاتها لسيد علي حريري (٢٥٣/١)، تحقيق عصام شبارو، نشر دار التضامن.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣٦)، ومسلم في الإمارة (١٨٧٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد:

أفليس من العجب أن يتَّفق الغرب المسيحي مع إسرائيل اليهوديَّة؟

ولكن العارفين يعلمون أنَّ الغرب الاستعماري لا دين له، كما أنَّ إسرائيل الصهيونيَّة لا دين لها: الاستعمار والصهيونيَّة كلاهما لصٌّ عالمي مهمَّته أن يسرق ويقتل، وغايته خراب البلاد، وذلّ العباد، وإشاعة الفساد، لهذا تعاونا واتَّفقا ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [الجاثية: ١٩].

لقد كان هناك في الماضي من يقول: «ما لنا وللجزائر الآن؟ نحن في قضيَّة مصر؛ فكيف نوزع الجهود ونبعثر القوى هنا وهناك؟»

ولكنَّا عرفنا اليوم أنَّ معركتنا ـ نحن العرب ـ واحدة، وإن نشب القتال في جبهات شتَّى، وأنَّ عدونا واحد، وإن ظهر في ثياب أشخاص مُتَعَدِّدين.

فإذا سدَّدنا إلى هذا العدوِّ سهمًا في أيِّ شخصٍ من أشخاصه وفي أيِّ جبهة من جبهاته، فإنَّما نُصيب أعداءنا جميعًا.

وإنَّ أية حركة تقوم بها ـ أيَّها العربي المسلم في مصر ـ لنصرة إخوانك الجزائريِّين ضدَّ فرنسا، أو لنصرة إخوانك اليمنيِّين ضد بريطانيا، أو لنصرة إخوانك الفلسطينيِّين ضد إسرائيل، إنَّما هي في الواقع حركة ضد الاستعمار والعدوان على مصر.

يا ثمانين مليونًا من العرب[1]:

جميل أنْ تُضربوا من أجل الجزائر تعبيرًا عن مشاعركم وإعلانًا

(١) هذه الأرقام كانت في خمسينيات القرن الماضي، ولم تكن هي الأرقام الحقيقية للمسلمين أو العرب، وإنَّما كانت أعدادهم تفوق هذه بكثير.

QaradawiBooks.com

لتضامنكم، ولكن الأجمل والأحرى: أنْ تتحوَّل العواطف والمشاعر إلى مال وسلاح يقدَّمان للجزائر.

يا أربعمائة مليون من المسلمين:

هبُّوا من مرقدكم؛ فإنَّ الإسلام يفرض عليكم أنْ تمدُّوا أيديكم، وتقفوا بجوار إخوانكم بالنَّفس والمال.

يا أحرار العالم، ومحبي السَّلام، وأنصار الإنسانيَّة في كلِّ مكان:

ها هي فرنسا قد انتهكت حرمة المواثيق الدولية، واعتدت على حقوق الإنسان، وأقامت من أهل الجزائر موانع بشريَّة واقية، فقولوا كلمتكم، وأوقفوا عدوان المعتدين، فقد قالت الجزائر كلمتها وسجَّلتها بالدم الزكي الغالي على صفحات التاريخ.

أمَّا أنتم ـ يا أبناء الجزائر الأعزاء ـ فامضوا على بركة الله في جهادكم؛ فالعرب جميعًا من ورائكم، ومئات الملايين من المسلمين بجانبكم، وجميع الأحرار في صفِّكم، وجند السماء الخفي يحارب معكم، والله تعالى يؤيِّدكم بنصره، ويرعاكم بعينه، والعاقبة للمتقين، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعراء: ٢٢٧].

اللهمَّ أصْلِح لنا ديننا الَّذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا الَّتي فيها معاشنا، وأصْلِح لنا آخرتنا الَّتي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلِّ شرٍّ، و﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وأقم الصَّلاة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٣

لماذا نرفض العِلْمانيَّة[١]؟

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

رفضي الحوار مع علماني في قناة الجزيرة:

في الأسبوع الماضي شاركت في حلقة في قناة الجزيرة الفضائيَّة القطريَّة حول الإسلام والعِلْمانيَّة.

اتصل بي الإخوة المسؤولون في الجزيرة، وطلبوا إليَّ أن أشارك فاعتذرت في أوَّل الأمر، وقلت لهم: إن كان ولا بدَّ من هذه الحلقة، فليس الشخص الَّذي ترشحونه هو المناسب للحوار فيها؛ لأنَّ الأصل في الحوار بين الإسلام والعِلْمانيَّة أن يكون الإنسان مؤمنًا بالإسلام باعتباره عقيدة على الأقل، ولكنَّه يشكِّك أو يرتاب في الشَّريعة أو أحكام معينة من الشَّريعة.

أمَّا أن يكون الشخص ملحدًا لا يؤمن بالإسلام، لا يؤمن بالله ربًّا، ولا بالإسلام دينًا، ولا بالقرآن منهاجًا، ولا بمُحَمَّدٍ رسولًا، بل لا يؤمن

(١) أُلقيت في جامع عمر بن الخطَّاب بالدوحة في ١ صفر ١٤١٧هـ الموافق ٦ يونيو ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

بالألوهية أصلًا، ولا بالرسالات السماويَّة، ولا بالوحي الإلٰهي، فكيف نلتقي مع مثل هذا الإنسان؟ وما هي الأرضية المشتركة بيننا وبينه؟

لو كانت الحلقة حوارًا بين الإيمان والإلحاد لكان هذا مناسبًا، أمَّا أن يكون بين الإسلام والعِلْمانيَّة، فليس هذا هو الشخص المناسب؛ وذلك أنِّي قرأت لهذا الشخص من قديم كتابه «نقض الفكر الديني» الَّذي ينقض فيه الفكر الديني، إسلاميًّا كان أو مسيحيًّا أو أي دين، وينكر الأديان جملة وتفصيلًا.

وزادها بكتاب آخر سمَّاه: «ذهنية التحريم» أنكر فيه الأديان، ووقف فيه أمام كلِّ مؤمن بالله.

ومع أنَّه رجل ناصري من الناحية السِّياسيَّة، فقد عاب على عبد الناصر أنَّه بعد حرب الخامس من حزيران ـ أو يونيو ـ ١٩٦٧م بعث إلى الملك حسين يقول له: إنَّنا قوم نؤمن بالله، ونؤمن أنَّ الله تعالى لن يتخلَّى عنَّا، ولعلَّه يفتح علينا بنصر من عنده.

عاب ذلك على عبد الناصر وقال: هذه رجعة إلى الوراء وانتكاسة، كيف يدخل الدين في هذه القضية؟!

فهذا رجل لا دين له، ولذلك كان اعتراضي على الرَّجل من أوَّل الأمر.

إلحاح إخواني أثناني عن الرفض:

ولكن الإخوة ـ سامحهم الله ـ قالوا: إنَّنا ارتبطنا بالرَّجل، ولا بدَّ من لقاء معه، وقد رشَّحت لهم عددًا من الإخوة الَّذين يمكنهم أن يحاوروه، ولكن يبدو ـ للأسف ـ أنَّهم لم يجدوا واحدًا ممن رشَّحتهم، واضطروا أن يعودوا إليَّ، ويلحوا عليَّ أن أشارك في هذا الحوار أو في هذه الحلقة.

QaradawiBooks.com

وأنا رجل أضعف أمام الإلحاح، واستجبت لهذا الأمر، وكان هذا اللقاء الَّذي شاهده وسمعه الكثير منكم، أو قرأ التعقيب عليه في الصحف المختلفة.

محاور لا يتحلَّى بأدب الحوار:

المهم نحن لسنا ضعفاء، نحن مستعدون أن ننازل كلَّ ملحد وكلَّ مكابر، على أن يكون إنسانًا يعرف أدب الحوار وأدب الاختلاف، ولكن الرَّجل ـ للأسف ـ لم يكن يعرف أدب الحوار.

قلت له من أوَّل الأمر: إنَّ الإسلام يدعونا إلى الحوار بالتي هي أحسن؛ ففي الموعظة اكتفى بأنْ تكون موعظة حسنة: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النَّحل: ١٢٥]، ولكنَّه في الجدال قال: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النَّحل: ١٢٥]، وذلك أنَّ الموعظة تكون مع الموافق، والجدال يكون مع المخالف.

ولكن هذا الرَّجل لم يعرف الجدال بالتي هي أحسن، إنَّما عرف الجدال بالتي هي أسوأ، عرف المماراة بالباطل، فكان يجادل في كلِّ شيء، في كلِّ قضيَّة.

حتى حينما قلت: إنَّ الإسلام يسع النَّاس بمراتبهم المختلفة: الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات، والله تعالى جعل هؤلاء جميعًا من الأمَّة المصطفاة ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]؛ فهؤلاء من الأمَّة المصطفاة.

هذه اعترض عليها وقال: أنتم إذن مثل اليهود، أنتم شعب الله المختار!

QaradawiBooks.com

هذا كلام تضليل وتهريج في الحقيقة؛ لأنَّ شعب الله المختار شعب ذو نسب معين، وهم الإسرائيليون الَّذين ينتسبون إلى إسرائيل.

أمَّا الأمَّة المصطفاة فأمَّة ذات مبادئ وأصول، وقيم ومناهج، فلا مانع أن تُفضل أمَّة لفلسفتها ومناهجها، وخيريتها جاءت من الإيمان بالله، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فهي أمَّة ليست لنفسها، أنبتها الله، صنعها الله ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أمَّة مجعولة لم تُجعل لنفسها ولكن للنَّاس، لهداية النَّاس، لنفع النَّاس، لإسعاد النَّاس، لإخراج النَّاس من الظلمات إلى النُّور ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

لقد انتهت الحلقة الَّتي استمرَّت حوالي الساعتين، ولكن ـ للأسف ـ بسبب هذه المماراة بالباطل لم نجب الإجابة الشافية للصدور عن الأسئلة الَّتي أثارها مقدِّم البرنامج؛ فمقدِّم البرنامج أثار أسئلة مهمَّة، وكان ينبغي أن تُعطى حقَّها في الإجابة، ولكن التشويش والمماراة بالباطل أفسدت علينا الجو.

تساؤلات لها أجوبة:

هناك تساؤلات: هل يقف الدين عائقًا عن تقدُّم المجتمعات الإسلاميَّة؟ هل الإسلام سبب في التخلُّف الَّذي تعانيه أمَّتنا؟ هل تقدَّمت الأقطار الَّتي تبنَّت العِلْمانيَّة؟ هل نحن في حاجة إلى العِلْمانيَّة أو هي أمر دخيل علينا من عند غيرنا؟

هذه أسئلة مهمَّة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هل الدين عقبة أمام التقدُّم؟

الدين ـ وخصوصًا الإسلام ـ لا يقف عائقًا أبدًا أمام التقدُّم، بالعكس، الدين قوَّة هادية ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، ينير الطريق للإنسان، يجعل الأمور أمامه واضحة، بحيث لا يتزعزع ولا يتزلزل، ولا يقدِّم رِجلًا ويؤخِّر أخرى.

الإنسان المؤمن المتديِّن عرف غايته، وعرف طريقه، فاستقام له الأمر، ومضى قُدمًا إلى الأمام.

والإيمان قوَّة حافزة، تحفِّز الإنسان على الخير، على العمل، على الإنتاج، تجعله يتعبَّد لله بالعمل، يعتبر العمل في دنياه، في معاشه، في كسب رزقه، في عمارة الأرض عبادة وجهادًا في سبيل الله.

هذا ما تحتاج إليه أمَّتنا.

الإيمان قوَّة حافزة، وقوَّة ضابطة أيضًا، تضبط سلوك الإنسان، تردعه عن الشرِّ، تزعه عن المنكرات، تجعله إنسانًا ملتزمًا لا يبيع ضميره، ولا يبيع شرفه، ولا يبيع وطنه، ولا يبيع قيمَة من القيَم بملء الأرض ذهبًا.

هذا هو الإيمان، هذا هو الدين.

الدين لا يقف عقبة أبدًا، إلَّا الدين الخرافي.

وهذا هو الَّذي حدث في أوربا حينما كانت الكنيسة تتحكَّم في رقاب النَّاس وفي ضمائرهم، وقفت الكنيسة مع الملوك ضد الشُّعوب، ومع الإقطاعيين ضد الفلاحين، ومع الرأسمالية ضد العمال، مع الجمود ضد التحرُّر، مع الجهل ضد العلم، مع الظلام ضد النُّور، ولذلك ثار النَّاس عليها، وقالوا قولتهم الشهيرة: اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس.

QaradawiBooks.com

لســـنا في حاجة لا إلى الملوك، ولا إلى رجال الدين؛ هؤلاء أفسدوا الدنيا، وهؤلاء أفسدوا الدين.

هذا ما حدث.

كانت هناك محاكم التفتيش في أوربا الَّتي حاكمت العلماء، وأحرقت جثثهم؛ لأنَّهم اكتشـــفوا أشـــياء غير مـــا كان عليه العلـــم المعروف في الكنيسة، العلم المدرسي.

«جاليليو» و«كوبرنكس» وغيرهما اكتشفوا أشياء جديدة، هذه الأشياء الجديدة كانت عندنا نحن المسلمين.

اكتشـــفوا أنَّ الأرض كروية، وهذا أمر كان يدرسه طلاب المسلمين، ابن حزم فـــي «الفصل في الملل والأهـــواء والنِّحَل» يُدَلِّـــل على كَرَوِيَّة الأرض بعدَّة أمور[1]، في كُتب التوحيد مثل: «شرح المواقف»، في كُتب التفســـير مثل: «تفســـير الرازي» كانوا يتحدَّثون عن هذه الأمور وكأنَّها قضايا مُسَلَّمة.

وكان الغربيُّون يعتبرون من وصل إلى هذه النتيجة «مُهَرْطِقًا» ومُلْحِدًا وجاحدًا للدِّين، ويستحقُّ أن يعاقَب.

عاقبوا النَّاس حتَّى بعـــد موتهم، بعد أن ماتـــوا حاكموهم وأحرقوا جُثَثَهم!

وهذا ليس عندنا.

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل (٢/٢٤١ ـ ٢٥٥)، مطلب بيان كروية الأرض، تحقيق د. محمد إبراهيم نصـــر ود. عبد الرحمن عميرة، نشـــر مكتبات عكاظ، الســـعودية، ط١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

QaradawiBooks.com

التديُّن المرفوض:

الدِّين الَّذي يقف عائقًا هو الدِّين الَّذي يتبنَّى الخرافات، يتبنَّى الجبريَّة في العقيدة، يتبنَّى الشركيَّات في التوحيد، يتبنَّى الشكليَّة في العبادة، والسلبيَّة في الأخلاق، والمظهريَّة في الحياة، والسطحيَّة في التفكير، والجمود في الفقه، هذا هو الَّذي يمكن أن يُجَمِّد الحياة، ونحن ضد هذا النوع من التديُّن، نحن نحارب هذا النوع من التديُّن.

التديُّن الَّذي يلغي شخصيَّة الإنسان ويقول: المريد بين يدي الشَّيخ كالميت بين يدي الغاسل، من قال لشيخه: لم؟ لا يفلح! مع أنَّ الصَّحابة كانوا يناقشون رسول الله ﷺ في كثير من آرائه ويقولون له: ليس الأمر كذلك يا رسول الله، وإنَّما هو كذا وكذا[1].

التديُّن الَّذي يقول للنَّاس إذا رأوا المنكر يستشري، والفساد يتفاقم، والشرَّ يستعلن ويستعلي: دعوا الملك للمالك، واتركوا الخلْق للخالق، أقام العباد فيما أراد.

هذا النوع من التديُّن هو الَّذي يفسد الحياة ويدمِّرها.

(١) كما فعل الحُباب بن المنذر، حينما جاء إلى النَّبي ﷺ قبيل معركة بدر؛ فقال: أرأيت هذا المنزل، أمنزلًا أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدَّمه ولا نتأخَّر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**». قال: يا رسول الله، فإنَّ هذا ليس بمنزل. ثم أشار عليه بمكان أفضل ليعسكر فيه المسلمون. فقال رسول الله ﷺ: «**لقد أشرت بالرأي**». ثم أمر بإنفاذه. انظر: سيرة ابن هشام (٢٧٢/٢)، والطبقات الكبرى (١٠/٢، ١١).
والأمثلة على هذا كثيرة، لكن مما ينبغي أن نلاحظه هو أن هذه المناقشة منحصرة في أمور دنيوية بحتة، لا علاقة لها بالتشريع ولا مبنية على الوحي، فلا تكون دليلًا ولا يلزم اتِّباعها، ولهذا بوَّب الإمام مسلم لهذه المسألة في «صحيحه» فقال: «باب: وجوب امتثال ما قاله شرعًا دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا على سبيل الرأي».

QaradawiBooks.com

التديُّن الحقيقي:

التديُّن الحقيقي هو الَّذي يعطي المؤمن القوَّة لمقاومة الباطل، لمقاومة الطاغوت، للوقوف في وجه الشرِّ، للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لنصيحة أئمة المسلمين وعامَّتهم.

النَّبي ﷺ يقول: «**أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطان جائر**»(١).

«**سيِّد الشهداء حمزةُ بن عبد المُطَّلِب، ورجل قام إلى إمامٍ جائر فأمره ونهاه فقتله**»(٢).

«**إذا رأيت أمَّتي تهاب أنْ تقول للظالم: يا ظالم، فقد تُودِّع منهم**»(٣).

«**إنَّ النَّاس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمَّهم الله بعقاب منه**»(٤).

هذا هو الَّذي جاء به الإسلام.

---

(١) رواه أحمد (١٨٨٢٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في البيعة (٤٢٠٩)، عن طارق بن شهاب.

(٢) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (١٩٥/٣)، وصحح إسناده، وقال الذهبي: الصفار ـ أحد الرواة ـ لا يُدرَى من هو. والخطيب في تاريخ بغداد (٥٣/٦)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٣٧٤)، عن جابر بن عبد الله.

(٣) رواه أحمد (٦٧٨٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والحاكم في الأحكام (٩٦/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، والبزار (٢٣٧٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١١٠): رواه أحمد والبزار بإسنادين، ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح، وكذلك رجال أحمد. عن عبد الله بن عمرو.

(٤) رواه أحمد (٣٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الملاحم (٤٣٣٨)، والترمذي (٣٠٥٧)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٤٠٠٥)، كلاهما في الفتن. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٥٦٤)، عن أبي بكر الصديق.

QaradawiBooks.com

في القنوت، قنوتِ ابن مسعود المعروف في المذهب الحنفي، من ضمن عباراته: «**نشكرك اللهمَّ ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك**»[١].

انظروا إلى هذه الألفاظ: «**نخلع ونترك من يفجرك**»، هذا هو الإسلام.

ما هو التقدُّم الَّذي يريدون؟ التقدُّم المادي؟

الإسلام والتقدُّم:

الإسلام يُعنى بالتقدُّم المادي، والتقدُّم الروحي، التقدُّم الحسي، والتقدُّم المعنوي.

التقدُّم المادي أساس العلم، والإسلام يعتبر كلَّ علم نافع فريضة على الأمَّة، ينبغي أن تتفوَّق الأمَّة في كلِّ العلوم بحيث لا تكون عالة على غيرها، وبحيث تكتفي اكتفاء ذاتيًّا فيما يتعلَّق بالعلوم والتكنولوجيا.

ولذلك قال علماؤنا من قديم: إنَّ تعلُّم الطب والهندسة والرياضيات وغير ذلك فرض كفاية على الأمَّة، وكذلك تعلُّم الصناعات.

ومعنى هذا أنَّ الإسلام يفرض على الأمَّة، بالتضامن، أنْ تكون أمَّة قوية: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

كيف تعدُّ الأمَّة ما استطاعت من قوَّة؟ تعدُّ نفسها علميًّا وتكنولوجيًّا، هذه فريضة على الأمَّة.

العلم عندنا ليس مقابل الدين، الفكر ليس مناقضًا للإيمان، الحِكمة ليست مناقضة للشريعة، هذا في أديان أخرى، أمَّا عندنا فهناك تآخٍ بين هذه القيَم بعضها وبعض، الدين عندنا علم، والعلم عندنا دين.

---

(١) رواه عبد الرزاق (٤٩٦٨)، وابن أبي شيبة (٧١٠٠)، والبيهقي (٢١٠/٢)، ثلاثتهم في الصلاة، وصحَّحه الألباني في الإرواء (٤٢٥)، عن عمر موقوفًا.

QaradawiBooks.com

وقد رأينا كثيرًا من علمائنا أئمة في علوم الدين: الفقه والتفسير ونحو ذلك، وأئمة في علوم أخرى.

كان الفخر الرازي إمامًا في التفسير، وفي الفقه، وفي أصول الفقه، وله كتبه المعروفة، وقالوا: كانت شهرته في الطبِّ لا تقلُّ عن شهرته في التفسير والفقه وأصول الفقه.

ابن النفيس الَّذي اكتشف الدورة الدموية الصغرى، كان من فقهاء الشافعية، ترجم له ابن السبكي في كتابه «طبقات الشافعية».

كذلك وجدنا العلامة ابن رشد أعظم شارح لأرسطو، وبعض مؤرخي الفلسفة اعتبره أعظم فيلسوف إسلامي على الإطلاق، وهو طبيب شهير له كتاب «الكليات في الطب» انتفعت به أوربا عدَّة قرون وترجموه إلى اللاتينية، وهو كذلك فقيه مالكي من أعظم الفقهاء، وكان قاضيًا شرعيًّا، وله كتابه الشهير: «بداية المجتهد ونهاية المقتصد».

ليس عندنا صراع بين الدين والعلم كما عُرف ذلك في تاريخ أوربا.

إن كانوا يريدون التقدُّم العلمي فالإسلام يرحِّب بالتقدُّم العلمي، ويعتبره فريضة على الأمَّة الإسلاميَّة في مجموعها.

الإسلام والتقدُّم الاقتصادي:

إن كانوا يريدون التقدُّم الاقتصادي، فالإسلام يفسح المجال للاقتصاد؛ تعاليم القرآن والسُّنَّة جاءت تدعو إلى زيادة الإنتاج، وإلى ترشيد الاستهلاك، وإلى سلامة التداول، وإلى عدالة التوزيع، وتجنِّد الأمَّة تجنيدًا لترتفع بمستواها.

QaradawiBooks.com

لم يعتبر الإسلام المال كما اعتبرته المسيحية: «لا يدخل الغني ملكوت السماوات حتَّى يدخل الجمل في سمِّ الخياط» كما رُوي عن المسيح.

لا، ليس في الإسلام هذا.

حكوا أنَّ رجلًا جاء إلى المسيح ﷺ يقول: أريد أنْ أومن بك وأتَّبعك.

قال له: اذهبْ فبِعْ مالَكَ واتَّبِعْني!

لم يقل الإسلام ذلك، بل قال: «**نِعم المالُ الصالحُ للرجلِ الصالح**»[(١)]، وقال: «**ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر**»[(٢)]، وكان عليه الصلاة والسلام يدعو الله فيقول: «**اللهمَّ إنِّي أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**»[(٣)].

وامتنَّ عليه ربُّه فقال: ﴿**وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ**﴾ [الضُّحى: ٨]، أي: وجدك فقيرًا فأغناك.

وكان يستعيذ بالله من الفقر والكفر[(٤)]، أي: يعتبر الفقر مصيبة يستعاذ بالله من شرها.

هذا ما جاء به الإسلام.

---

(١) رواه أحمد (١٧٧٦٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والحاكم في البيوع (٢/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (١٩)، عن عمرو بن العاص.

(٢) رواه أحمد (٧٤٤٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في المناقب (٣٦٦١)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في المقدمة (٩٤)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٧١٨)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم في الذِّكْر والدُّعاء (٢٧٢١)، وأحمد (٣٩٠٤)، عن عبد الله بن مسعود.

(٤) عن أبي بكرة، أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول في دُبر كلِّ صلاة: «**اللهم إنِّي أعوذ بك من الكفر والفقر، وعذاب القبر**». رواه أحمد (٢٠٤٠٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي على شرط مسلم. وأبو داود في الصلاة (١٥٤٤)، والنسائي في السهو (١٣٤٧)، وابن خزيمة في الصلاة (٧٤٧).

QaradawiBooks.com

فإذا كان التقدُّم يعني التقدُّم الاقتصادي فأهلًا وسهلًا به، الإسلام يرحِّب بذلك ويدعو إليه، ويحارب الفقر بكلِّ وسيلة، وأوَّل الوسائل: العمل، تجنيد الأمَّة لتعمل، لتنتج، لا تعيش أمَّة مستهلِكة، لا تعيش مستورِدة وغيرها يصدِّر إليها كما هو الحال في بلادنا نحن المسلمين، نستورد الأقوات، ونستورد السِّلاح، ونستورد الصناعات الثقيلة، وهكذا.

نحن نقول: التقدُّم لا يقف الدين عائقًا أمامه.

الإسلام والتقدُّم الصِّحي:

إن كانوا يريدون تقدُّم الصِّحة، فالإسلام يريد أمَّة سليمة الأجسام، قوية الأبدان: «**المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف**»[(١)].

ولأول مرَّة في جو الدين يسمع النَّاس هذه الكلمة: «**فإنَّ لجَسَدِكَ عليك حقًّا**»[(٢)]؛ النَّاس كانوا يسمعون: «**إنَّ لربِّك عليكَ حقًّا**». إنَّما أنْ يكون للبدن حقٌّ على الإنسان فأول مرَّة يسمعون هذا.

ومن حقِّ هذا البدن عليك أن تُطعمه إذا جاع، أن تُريحه إذا تعب، أن تُنظِّفه إذا اتَّسخ، أن تداويه إذا مرض فـ «**ما أنزل الله من داءٍ إلَّا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله**»[(٣)]، أن تحافظ عليه وتقيه من المراض فـ «الوقاية خير من العلاج»، فهذا حقُّ البدن.

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصوم، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه أحمد (٣٥٧٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والحاكم في الطب (٣٩٩/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (٣٤٣/٩)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

الإســـلام جاء يدعو إلى أن يحافظ النَّاس علـــى صحَّتهم بالعلاج، وبالوقاية قبل العلاج، ومن هذه الوقاية: النَّظافة، الطهارة الَّتي هي شرط في صحَّة الصَّلاة، وأوَّل ما يدرس المسلم في كتب الفقه: كتاب الطهارة.

الإسلام يريد الإنســـان النظيف، النظيف ماديًّا، والنظيف معنويًّا، ويقول ﷺ: «**حقُّ الله على كلِّ مســـلم: أنْ يغتســـل في كلِّ سبعة أيام يومًا يغسل فيه رأسه وجسده**»[(١)]، على الأقل كلُّ أسبوع مرَّة، هذا هو الحدُّ الأدنى.

والمسلم تعتريه أشـــياء طبيعية توجب عليه الاغتسال وتوجب عليه الوضوء كلَّما أراد الصَّلاة أو أحدث.

جاء الإســـلام يحافظ على الأمَّـــة، وينهاهم عن التبـــوُّل والتبرُّز في الطرقات، وفي الظلِّ، وفي موارد المياه، وغير ذلك[(٢)]، واعتبر ذلك ممَّا يجلب اللعنة.

ونهى عن المسكرات والمخدِّرات، وتناول كلِّما يضرُّ ببدن الإنسان؛ فإن الإنسان لا يجوز له أنْ يقتل نفسه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النِّساء: ٢٩].

هذا ما جاء به الإسلام.

الإسلام والتقدُّم العسكري:

إن كانوا يريدون التقدُّم العســـكري والقوَّة العسكرية، فالإسلام قال:

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٨٩٦، ٨٩٧)، ومسلم (٨٤٩)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

(٢) ذكرت عددًا من الأحاديث الدالة على هذه المسائل في هامش «خطبة: الرياضة في الإسلام» في الجزء الرابع من هذه السلسلة.

QaradawiBooks.com

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥].

﴿بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ إشارة إلى الصناعات الحربية.

﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ إشارة إلى الصناعات المدنية.

واعتبر من يصنع السهم مثل الَّذي يرمي به، هو شريك في الأجر، ويُعتبر من المجاهدين.

الصناعة الحربية نوع من الجهاد؛ لأنَّه لا جهاد إلَّا بأسلحة، وإذا كنت لا تصنع السِّلاح، فسوف تضطر إلى أنْ تستورده من عدوك كما هو حالنا اليوم؛ لا نملك الأسلحة وإنَّما نشتريها، يعطينا غيرنا ما لا يحتاج إليه من الأسلحة بعد أن ينفد وقتها، يتخلَّص منها ببيعها لنا.

الإسلام يعطينا كلَّ ما يحتاج إليه التقدُّم، الإسلام يعطينا الحوافز للوصول إليه، ويعطينا المناهج الصحيحة للوصول إليه بطريق صحيح، فلا يمكن أن يكون الدين عائقًا في طريقنا إلى التقدُّم.

بالعكس، الَّذين يريدون أنْ يفرغوا أمَّتنا من الجانب الديني يريدون أن تدخل معركتها مع أعدائها خاوية ضعيفة رخوة العود.

اليهود يجنِّدون الدين في المعركة معنا.

ما الَّذي جمع اليهود من الشرق والغرب، ومن الشمال والجنوب؟

لقد عاشوا في أوطان مختلفة، وبيئات مختلفة، جمعوهم على أساس التوراة والتلمود، جمعوهم على أساس العقيدة الدينيَّة، ودفعوهم للمعركة من أجل هدف ديني هو: أرض الميعاد.

QaradawiBooks.com

فكيف نرضى أن يستغِلَّ العدو الدين في المعركة ضدَّنا ونحن نطرد الدين من حياتنا ونريدها عِلْمانيَّة صريحة؟ لحساب من هذا؟

ليس لحساب أحد إلَّا لليهود ومَن وراء اليهود.

اليهود يدخلون المعركة ومعهم التـــوراة، ونحن ندخلها وليس معنا القرآن، يقولون: موسى، ولا نقول: محمَّد، مع أنَّنا أولى بموسى منهم، يعظِّمون يوم الســـبت، ونحن لا نعظِّم يوم الجمعـــة، يقولون: الهيكل، ولا نقول: المسجد الأقصى!

من هو عدو الأمَّة؟

عدو الأمَّة هو الَّذي يريـــد أن يفرِّغ هذه المعاني مـــن ضمير الأمَّة؛ لتدخل الأمَّة المعركة مجرَّدة من أسلحتها الحقيقيَّة، سلاحِ الإيمان.

تجربتان معاصرتان مع الدين:

نحن جرَّبنا معركتين:

١ ـ معركة (٥ يونيو ١٩٦٧م)، وبالأمـــس كانت ذكراها، مرَّت ثلاثون ســـنة على هذه الذكرى الأليمة الحزينة، يســـمُّونها: معركة الأيام الستة، والحقيقة أنَّها معركة الساعات الست؛ لأنَّ الساعات الست الأولى بيَّنت نتيجة المعركة، انكشف كلُّ شيء.

كان شـــعار هذه المعركة: «بر... بحـــر... جو»، ولـــم ننتصر في برٍّ ولا بحر ولا جو؛ لأنَّنا لم نجنِّد جنودنا تحت اسم: «الله»، لم نقذف في قلوبهم شرارة الإيمان.

كنَّا نقـــول لهم: حاربـــوا ووراءكم فلانة المطربـــة، وفلان المطرب،

QaradawiBooks.com

وفلانة الممثِّلة، ويوزِّعون عليهم صور المطربين والمطربات والممثِّلين والممثِّلات.

لم يوزِّعوا عليهم المصاحف، لم يقولوا: «لا إلٰه إلَّا الله»؛ كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

هكذا ينبغي أن نعلِّم أبناءنا إذا خاضوا المعركة، أن يذكروا الله، أن يقولوا: «**اللهمَّ منزِل الكتاب، ومُجري السَّحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم**»[(١)].

كان الواجب أن يتطلَّعوا إلى السماء، ولكنَّهم علَّموهم أن يتطلَّعوا إلى كلِّ جهة إلَّا إلى جهة السماء، إلَّا إلى الله تعالى. فكانت النتيجة أن حدث ما حدث: هزيمة سمّوها: «نكسة»، وضياع سيناء والضفة الغربية والجولان.

هكذا كانت النتيجة.

وأصبحت السياسة العربيَّة وقد تغيَّرت تمامًا، بعد أن كانت قبل ذلك تقول: إزالة اسرائيل هي الهدف، بعد عدوان (٥ حزيران ١٩٦٧) لم يعد الهدف إزالة إسرائيل، وإنَّما «إزالة آثار العدوان»!

كأنَّ العدوان الجديد أضفى الشرعيَّة على العدوانات القديمة فأصبحت مقبولة، وأصبح ما أخذت إسرائيل من قبل حلالًا زلالًا لها؛ «حيفا» و«يافا» و«عكا» و«اللد» و«الرملة» وغيرها أصبحت ملكًا خالصًا وحقًّا لها بهذا الاعتراف: إزالة آثار العدوان!

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٢٩٦٥، ٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢)، كلاهما في الجهاد والسِّيَر، عن عبد الله بن أبي أوفى.

QaradawiBooks.com

٢ ـ معركة (٦ أكتوبر ١٩٧٣م) أو (العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هـ)، أنا أفضِّل أنْ أسمِّي هذه المعركة: معركة العاشر من رمضان؛ لأنَّ رمضان كانت له نفحاته وإيحاءاته.

في هذه المعركة حدث شيء آخر، الجنود دخلوا المعركة تحت شعار: «الله أكبر».

الله أكبر فعلت فعلها: عبروا القناة، اقتحموا خطَّ بارليف، وصلوا إلى القنطرة، وكان يمكن أن يصلوا أكثر وأكثر.

إنَّ أمَّتنا لا يمكن أن تُجنَّد إلَّا تحت لواء الإيمان، تحت راية: «لا إلٰه إلَّا الله محمَّد رسول الله».

أمسِك بالمصحف وقُدْ هذه الأمَّة تنقاد وراءك، وتفعل الأعاجيب، وتتخطَّى المستحيلات.

كلُّ أمَّة لها مفتاح لشخصيتها كمفتاح السيارة، لا تستطيع أنْ تقود سيارة بمفتاح سيارة أخرى، إنَّما كلُّ سيارة لها مفتاح خاص، ومفتاح أمَّتنا: الدين، الإيمان، أن نجنِّدها ونفجِّر طاقاتها المكنونة باسم الله.

حينما تقول لها: يا رياح الجنَّة هبي، ويا خيل الله اركبي، ويا كتائب الله سيري، ستجد هذه الأمَّة وقد تحوَّلت إلى فرسان، إلى أبطال، الإنسان العادي يصبح بطلًا؛ لأنَّ الإيمان سار في أعماقه، وخالط بشاشة قلبه، فتحوَّل إلى إنسان آخر، كما رأينا الصَّحابة رضوان الله عليهم.

كيف أنشأ الإسلام الحضارة العربيَّة؟

ما الَّذي غيَّر الصَّحابة؟ ما الَّذي أنشأهم خلقًا آخر؟

QaradawiBooks.com

كانــوا يعبدون الأصنــام، ويشــربون الخمور، ويعيشــون في اللهو واللعب، فجاء الإســلام فغيَّرهم، صبَّ في عروقهــم الإيمان الصحيح، التوحيد، أن لا إلٰه إلَّا الله، لا يستحقُّ العبادة إلَّا الله، لا يُرجى ولا يُخشى إلَّا الله، لا يُخضع له ولا يُذلُّ له إلَّا الله، فأنشأ من هؤلاء أمَّة جديدة.

العرب لم تكن لهم فلســفة اليونان، ولا قانــون الرومان، ولا تمدُّن الفُرس، ولا حِكمة الهند، ولا صنعــة الصين، كانوا أمَّة بيان وبلاغة، لم يكن عندهم ما عند تلك الأمم، كانت تغلب عليهم الأمِّية والبداوة.

ما الَّذي نفخ في هذه الأمَّة الرُّوح وجعلها في أقلِّ من قرن تمتد شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا؟

وصلت إلى الصيــن شــرقًا، ووصلت إلى إســبانيا (الأندلــس) غربًا، وأصبحت أمَّة ضخمة أقامت دولة العدل والإحسان، وحضارة العلم والإيمان.

ما الَّذي فعل ذلك؟

إنَّه الإسلام.

يقولون: هل للإسلام علاقة بتخلُّف الأمَّة؟

لا والله، ولو كان للإســلام علاقة بالتخلُّف الَّذي نعانيه ما تحضرَّت أمَّتنا من قبل، كانت هي أمَّة الحضارة الأولى.

نحن الآن يقولون عنَّا: «العالم الثالث»، وربَّما كان بعضنا في العالم الرابع لو كان هناك عالم رابع!

كنَّا نحن العالم الأول، وكانت حضارتنا هي الحضارة الســائدة في العالم كلِّه، منها يتعلَّم النَّاس، جامعاتنا هــي موئل الطلاب في العالم، كُتُبنا وكُتب علمائنا هي المراجع، لغتنا العربي هي لغة العالم.

QaradawiBooks.com

هكذا كنَّا قرونًا، ليس قرنًا ولا قرنين ولا ثلاثة، قرونًا عدَّة، ونحن في الصف الأول، ونحن أساتذة الحضارة، منَّا تعلَّم الأوربيون، أخذوا المنهج العلمي التجريبي منَّا وطبَّقوه وتخلَّفنا بعد ذلك، تقدَّموا وتخلَّفنا، واستيقظوا ونمنا، ونشطوا وقعدنا.

نحن عندنا من الحوافز، وعندنا من القيَم، وعندنا من المناهج، ما يمكن أن يعيدنا إلى ماكنَّا فيه مرَّة أخرى، ولسنا في حاجة إلى العِلْمانيَّة قط.

التناقض بين العِلْمانيَّة والإسلام:

العِلْمانيَّة حلَّت مشكلة عند الغربيين، ولكنها هي نفسها مشكلة عندنا؛ لأنَّها تجعل المسلم في صراع بين عقيدته ومجتمعه، بين ما يؤمن به وما يعيشه.

المسلم يعتقد أنَّ الله أنزل القرآن حكَمًا في كلِّ شيء ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، لا يجوز أن نترك بعض ما أنزل الله؛ حتَّى لا نكون كبني إسرائيل الَّذين قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

فالمسلم الَّذي يعيش في دولة عِلْمانيَّة تأخذ ببعض الكتاب وتدع بعضًا، تؤمن ببعض وتكفر ببعض، يعيش في صراع دائم وفي قلق مستمرٍّ بين ما يؤمن به وبين ما يعايشه ويشاهده.

فالعِلْمانيَّة مشكلة، وليست حلًّا لمشكلة في ديارنا.

QaradawiBooks.com

يمكن للمسيحي أن يقبل العِلْمانيَّة؛ لأنَّ المسيح قال له: دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله[١].

قَبِل قِسمة الحياة وقِسمة الإنسان، أمَّا الدين عندنا فلا يقبل هذه القسمة، الإنسان وحدة، والحياة وحدة.

قد نقسِّم الإنسان نظريًّا إلى جسم وروح، وعقل وعاطفة، ولكنَّه شيء واحد، والحياة نهر واحد ونسيج واحد، ما يؤثِّر في جانب منها يؤثِّر في الجانب الآخر، ولذلك عندنا: قيصر وما لقيصر لله الواحد الأحد.

لا يقبل الإسلام شريكًا مع الله، لا قيصر ولا كسرى ولا أحد، الله هو مالك هذا الكون كلِّه، ومدبِّر هذا الكون كلِّه، وحاكم هذا الكون كلِّه، وهو الَّذي يأمر وينهى، ويشرِّع ويحلِّل ويحرِّم ﴿لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يُونس: ٦٦]، ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٨٩].

---

(١) وهذا الكلام المنسوب إلى المسيح عليه السلام على فرض صحته، فإن أقصى ما يمكن أن يدلَّ عليه ـ كما يرى الأستاذ محمد قطب ـ هو أنَّه يقول لهم: إنَّنا لم نؤمر الآن بقتال قيصر، فإذا فرض عليكم الجزية، ولا قِبَل لكم اليوم بردِّ سطوته عنكم، فادفعوا له الجزية حتى يأتي اليوم الذي يؤذن لكم فيه بالقتال؛ لإخضاع قيصر لشريعة الله.
ولكن الكنيسة حمَّلت هذا الكلام ـ على فرض صحَّته ـ فوق ما يحتمل، وزعمت أنَّ معناه: أنَّ من حقِّ قيصر أنْ يحكم عالم الأرض، على أن يحكم الله عالم السماء، أو أنَّ الأبدان لقيصر يفعل ما يشاء في الحياة الدنيا، ولله الأرواح في الآخرة.
وهكذا سمحت للعالم المسيحي أن يحكمه القانون الروماني في كل شؤونه، وأن ينحصر سلطان الله على عباده في الشعائر التعبدية والأحوال الشخصية، وتمَّ بذلك فصل العقيدة عن الشريعة، وتمَّ المسخ الكامل لدين الله. انظر: مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب صـ٢٠، ٢١، نشر دار الشروق، ط١٠، ٢٠٠٨م.

QaradawiBooks.com

تركيا نموذج:

فالعِلْمانيَّة في بلادنا تكون مشكلة، ولا تحلُّ مشكلة.

وقد رأينا البلاد الَّتي تبنَّت العِلْمانيَّة ماذا فعلت؟

أول بلد تبنَّى العِلْمانيَّة «تركيا»، ولم يرضَ بذلك الشَّعب التركي، الشَّعب التركي قاوم وقدَّم الآلاف وعشرات الآلاف من الضحايا والشهداء، ولكن انتصرت العِلْمانيَّة الَّتي كانت مؤيَّدة من القوى الغربية والقوى الصليبيَّة، انتصرت بالحديد والنَّار، بالعنف والدم، وفرضت نفسها على الشَّعب التركي، وألغت تراث هذا الشَّعب، حالت بينه وبين تراثه الَّذي كان مكتوبًا بالحروف العربيَّة.

كانت التركيَّة مثل الفارسية ومثل الأردية ومثل كثير من اللغات الإسلاميَّة في آسيا وإفريقيا، كانت مكتوبة بالحرف العربي، ألغوا الحرف العربي، فأصبح هناك حاجز متين بين الأجيال الجديدة وبين هذا التراث، لا يستطيعون أن يقرؤوا ولا يعرفوا.

حرَّموا على المسلمة أن ترتدي الحجاب، ولا زال هذا إلى اليوم، حرَّم ذلك أتاتورك وأصدر قانونًا يمنع المسلمة أن تلبس الحجاب، لم يجعلوا هذا من الحرية الشخصيَّة.

حرَّموا على المشايخ أن يلبسوا العمامة والجبة، خطباء المساجد كان لكلٍّ منهم عمامة وجبة، يلبسها في المسجد، فصاروا لا يستطيعون أن يخرجوا بها إلى الشارع.

القانون يمنع هذا.

حرَّموا الأذان باللغة العربيَّة، حتَّى كلمة «الله أكبر» هذه منعوها باللغة

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

العربيَّة، ولم يُبح ذلك إلَّا في الستينيات، حينما جاءت حكومة «عدنان مندريس» رَحِمَهُ اللَّهُ وغفر له، فأعاد الأذان باللغة العربيَّة، وسمع النَّاس بعد سنين طويلة لأول مرَّة من المآذن: «الله أكبر الله أكبر»، فخرُّوا سجودًا في الشوارع شكرًا لله تعالى.

وجاء عدنان مندريس وسمح ببعض الأنشطة الدينيَّة منها: إنشاء المدارس القرآنيَّة، مدارس تحفيظ القرآن، وإنشاء مدرسة أو اثنتين لتخريج الأئمة والخُطباء.

عمل بعض الانفتاح، فكانت النتيجة أن قام الجيش وانقلب عليه، وأخذه وأعدمه، وأخفى قبره عن النَّاس.

وهذا الجيش هو الَّذي يقاوم التوجُّه الإسلامي اليوم، الجيش التركي هو حامي حمى العِلْمانيَّة ـ أتاتورك الَّذي مات من عشرات السنين يحكم تركيا من قبره ـ ويرفض توجُّه الشَّعب إلى الإسلام، والمعركة قائمة اليوم بين التوجُّه الإسلامي والتوجُّه العلماني.

التوجُّه العلماني يؤيِّد الجيش، وتؤيِّده من ورائه القوى الغربية وتؤيِّده إسرائيل والصهيونيَّة.

فشل الأنظمة المستوردة في بلادنا:

هل نحن نرحِّب بهذه العِلْمانيَّة؟

العِلْمانيَّة الَّتي تتعاون مع إسرائيل عدو الإسلام والمسلمين، ومع الصهيونيَّة المغتصِبة المعتدية ضد الفلسطينيين، وضد العرب، وضد المسلمين، وضد المسجد الأقصى، من يرحِّب بالعِلْمانيَّة هذه؟ وماذا كسبت تركيا من وراء العِلْمانيَّة؟

QaradawiBooks.com

لم تكسب شيئًا.

قالت كاتبة تركية حصيفة هذه الكلمة: كنَّا أوَّل دولة في الشرق فأصبحنا آخر دولة في الغرب!

أي: أصبحنا ذيلًا للغرب، حتَّى الغرب في بعض الأحيان لا يعترف بها ويقول: إنَّ تركيا لها حضارة غير حضارتنا ـ رغم ارتمائها في أحضان الغرب وسيرها في ركابه ـ وثقافة غير ثقافتنا.

هذه الأمَّة مفتاح شخصيتها الإسلام:

إنَّ الأمَّة الإسلاميَّة لا ينفعها أنْ تتبنَّى العِلْمانيَّة، بالعكس، العِلْمانيَّة شرٌّ عليها وخطر على مادياتها ومعنوياتها.

هذه الأمَّة أمَّة مسلمة، مِفتاح شخصيتها الَّذي يحرِّكها ويفجِّر طاقاتها ويستخرج مكنونات إبداعاتها هو الإسلام.

حرِّكْها بالإسلام تتحرَّك، قُدها بالإسلام تنقَد، الإسلام وحده هو الجدير بتحريك هذه الأمَّة وتجنيدها، والخروج بها من مآزق التخلُّف الَّذي تعانيه.

للأسف كلُّ الأمَّة الإسلاميَّة تقريبًا في دائرة البلاد النامية.

هناك بلاد بدأت تنهض مثل: ماليزيا وإندونيسيا، ولكن لا زلنا ـ في الجملة ـ في دائرة البلاد النامية.

والبلاد النامية ـ كما قلت لكم من قبل ـ تعبير مؤدَّب مهذَّب للبلاد المتخلِّفة، ولا يخرجنا من هذه الدائرة إلى دائرة أعلى إلَّا إذا عدنا إلى هويتنا الحقيقيَّة، وعرفنا من نحن؟

QaradawiBooks.com

نحن مسلمون، لا يمكن أن نعيش بغير الإسلام، الإسلام هو هُويتنا، هو انتماؤنا، هو محور حياتنا، هو أساس وجودنا، لا مبرر لوجودنا إلَّا بالإسلام.

إذا تبنينا الرأسمالية وانتصرنا فلم ننتصر نحن، الرأسمالية الغربية هي الَّتي انتصرت.

إذا تبنينا الاشتراكيَّة وانتصرنا فليس هذا انتصارًا لنا، هو انتصار للاشتراكيَّة العالميَّة.

إنَّما ننتصر إذا انتصرنا بالإسلام وللإسلام.

لا بدَّ لأمَّتنا أن تتبنَّى هذا الدين ولا شيء غيره، وقد قالها إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه: لا يصلح آخر هذه الأمَّة إلَّا بما صلُح به أولها[1].

وبماذا صلُح أوَّل هذه الأمَّة؟

بالتمسُّك بكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، بالإسلام الأول، الإسلام الَّذي لا يضاف إلى عصر من العصور، ولا إلى دولة من الدول، ولا إلى شخص من الأشخاص، لا يُضاف إلَّا إلى القرآن والسُّنَّة.

الإسلام الأول هو أساس حياتنا، ومبرِّر وجودنا، وأساس نهضتنا وتقدُّمنا، فإذا اعتصمنا به فقد اعتصمنا بالحبل المتين، وهُدينا إلى الصراط المستقيم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٣١/١)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة النبويَّة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد:

فقد ورد أنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيرًا إلَّا استجاب له[١]، ولعلَّها تكون هذه الساعة.

اللهمَّ أصلِح لنا ديننا الَّذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا الَّتي فيها معاشنا، وأصلِح لنا آخرتنا الَّتي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلِّ شرٍّ.

اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسِن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجِرنا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ افتح لنا فتحًا مبينًا، واهدنا صراطًا مستقيمًا، وانصرنا نصرًا عزيزًا، وأتمَّ علينا نعمتك، وأنزل في قلوبنا سكينتك، وانشر علينا فضلك ورحمتك.

اللهمَّ انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهمَّ انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين، اللهمَّ انصرنا على الوثنيين المتعصِّبين، اللهمَّ انصرنا على الصليبيين الحاقدين، اللهمَّ انصرنا على الملاحدة الجاحدين، اللهمَّ انصرنا على الطغاة الجبَّارين، اللهمَّ إنَّا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهمَّ ردَّ عنَّا كيدهم، وفُلَّ حدَّهم، وأذهِب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين، وخذهم ومَن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر يا ربَّ العالمين.

---

(١) سبق تخريجه صـ ١٥٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

اللهمَّ انصر إخوتنا المجاهدين في سبيلك، اللهمَّ انصر إخوتنا في فلسطين وفي لبنان، وانصر إخوتنا في كشمير وفي السودان، وانصر إخوتنا في الفلبين وفي كلِّ مكان.

اللهمَّ اجمع كلمة المختلفين من هذه الأمَّة على الهُدى، وقلوبهم على التُّقى، ونفوسهم على المحبَّة، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل.

اللهمَّ إنَّا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهمَّ استر عوراتنا، وآمِن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا.

اللهمَّ اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًّا، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

اللهمَّ لا تهلكنَا بما فعل السُّفهاء منَّا، ولا تسلِّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٤

معركة الإسلام والعِلْمانيَّة[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

أمَّتنا اليوم ـ ومنذ سنين وعقود ـ تخوض أخطر معاركها الفكريَّة.

أخطر المعارك الفكريَّة الَّتي تخوضها أمَّتنا في مشـــرق ومغرب هي معركة الإسلام والعِلْمانيَّة.

العِلْمانيَّة تعنـــي: فصل الدين عن الحياة، عـــزل الدين عن المجتمع والدولة، حصر الدين في ضمير الفرد، فإن خرج فإلى المســـجد، ولكنَّه ليس حرًّا طليقًا في المسجد يقول ما يشاء على المنبر.

كيف تسلَّلت العِلْمانيَّة إلى ديارنا:

الإســـلام والعِلْمانيَّة ضدان لا يلتقيان، ولهذا كانـــت المعركة بينهما أطول المعارك زمنًا، وأعمقها تأثيرًا، وأوســـعها مَيْدَانًا، وأكثرها ضحايا، منذ أن دخل الاستعمار إلى بلاد المسلمين وهذه المعركة قائمة.

(١) أُلقيت في جامع عمر بن الخطَّاب بالدوحة في ٨ صفر ١٤١٧هـ الموافق ١٣ يونيو ١٩٩٧م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ظلَّ المسلمون يحكِّمون شريعتهم ويرجعون إليها في شؤونهم، القاضي يحكم بالشَّريعة، والمفتي يفتي بالشَّريعة، والمسلم يعمل في خاصَّة نفسه وأهله بالشَّريعة، والتعليم في الكتاتيب والجوامع والمدارس يمضي على الشَّريعة، والتقاليد في الحياة الاجتماعيَّة تحكمها الشَّريعة، حتَّى دخل الاستعمار بلاد المسلمين فعزل الإسلام عن الحياة، وجاء بقوانين من بلاده الأجنبيَّة الغربية وحكَّمها في أعناق المسلمين، وأخضع التعليم لتأثيرات ومفاهيم غير إسلاميَّة.

في مصر كان الَّذي يقود التعليم ويضع فلسفته ومناهجه: قسيس معروف اسمه «دنلوب»، كان وراء العملية التعليمية كلِّها.

التقاليد أصبحت تتغيَّر، بعد أن كانت المرأة المسلمة تلبس الملابس المحتشمة بدأت الطبقات العالية أو الأرستقراطية ـ كما يسمُّونها ـ يُقَلِّدون الخواجات، والآخرون يُقَلِّدون هذه الطبقات، وهكذا بدأت الحياة تتغيَّر بهذا المنهج التعليمي الجديد.

وهناك آخرون لم تكن بلادهم مستعمرة، ولكنَّهم فرضوا على قومهم العِلْمانيَّة، كما في تركيا.

كانت تركيا دولة الخلافة، وكانت الخلافة العثمانية تمثِّل آخر تجمُّع للمسلمين تحت راية العقيدة، على ما كان بهذه الخلافة من مآخذ ونقاط ضعف وعيوب لا ننكرها، ولكنها كانت تقف سدًّا منيعًا أمام الاستعمار وأمام الصهيونيَّة.

رفض السلطان عبد الحميد أن يفرِّط في شبر من أرض فلسطين لليهود، وقد جاؤوا بملايين الجنيهات الذهبية، بعضها لشخصه وبعضها للدولة، ولكن الرَّجل أبى أن يُفَرِّط في شبرِ أرضٍ من فلسطين لليهود.

QaradawiBooks.com

تطرُّف العِلْمانيَّة التركيَّة:

ثمَّ جاء كمال أتاتورك الَّذي انتصر بقوة المسلمين من ناحية، وبتآمر الحلفاء من ناحيــة أخرى؛ فقد كانــوا يتنازلون لــه ويتراجعون؛ لأنَّهم يعلمون أنَّه مكسب للغرب.

وانتهت الحرب معهم، وكانت النتيجة إلغاء الخلافة الإسلاميَّة، وإلغاء الشَّريعة الإسلاميَّة، وإلغاء التعليم الإسلامي، وإلغاء التقاليد الإســلاميَّة، وإلغاء الحروف العربيَّــة الَّتي كانت تُكتــب بها اللغة التركيَّة.

حتى التقاليد ألغوها، لا يُســمح لإنســان أن يلبس الطربوش وهذه حرية شخصيَّة، لا يُسمح لامرأة أن تلبس الحجاب وهذه حرية شخصيَّة وفريضة دينيَّة، لا يُسمح لشــيخ أن يمشي في الشارع يلبس جُبَّة وعمامة وهذه حرية شخصيَّة.

وهكذا فَرضت العِلْمانيَّة التركيَّة التقاليد الأجنبيَّة والقوانين الأجنبيَّة، حتَّى الأحوال الشــخصيَّة ـ الَّتي بقيت في كثير من بلاد المسلمين تمثِّل الجانب الإســلامي الشَّــرعي في الناحيــة القانونية: الــزواج والطلاق والميراث والأسرة وهذه الأشياء ـ لم تبق في تركيا للمسلمين.

حُرِّم تعدُّد الزوجات، حُرِّم الطلاق، سُــوِّي بيــن الذكر والأنثى في الميراث، أجيز للمسلمة أن تتزوَّج بغير المسلم!

الأمور القطعيــة الَّتــي لا تجوز في الإســلام بحال مــن الأحوال والمعلومة من الدين بالضرورة أنكرتها العِلْمانيَّــة التركيَّة؛ فهي عِلْمانيَّة مرتدَّة من غير شك.

QaradawiBooks.com

مبرِّرات فرض العِلْمانيَّة في بلادنا:

بماذا برَّرت العِلْمانيَّة التركيَّة موقفها؟

أصدروا تقريرًا قالوا فيه ما خلاصته: إنَّ الحياة متغيِّرة والدنيا متطوِّرة والإنسان يتغيَّر من وقت إلى آخر، ولكن الدين والشَّريعة ثابتة، ولا يمكن أن نعالج الحياة المتغيِّرة المتطوِّرة بشريعة ثابتة جامدة، ولهذا ينبغي أن يظلَّ الدين بين الإنسان وربِّه، وأن تحكم الحياة بقوانين يضعها النَّاس لأنفسهم، أو يستوردونها ويقتبسونها من غيرهم، وبهذا تمضي الحياة!

هل هذه قضيَّة صحيحة؟

لا، ليست الحياة كلُّها متغيِّرة، وليست الشَّريعة كلُّها ثابتة، القضيتان خاطئتان.

الحياة فيها جزء ثابت وجزء متغيِّر، والإنسان فيه جزء ثابت وجزء متغيِّر، والكون فيه جزء ثابت وجزء متغيِّر؛ فالدعوة بأنَّ الحياة والدنيا والكون كلَّه متغيِّر دعوة غير مسلَّمة وغير صحيحة.

نحن في هذا الكون هناك أشياء ثابتة لا تتغيَّر: الشمس والقمر والنجوم والأرض وسُنن الله في الكون، هذه أشياء نعيش عليها، وعاش عليها أجدادنا، وعاش عليها النَّاس منذ آلاف السنين.

ولكن هناك أشياء تتغيَّر: هناك أراض خضراء تتصحَّر، وهناك أراض صحراوية تخضر، هناك جُزر تنشأ وجُزر تذهب، هناك أشياء متغيِّرة، إنَّما جوهر الكون ثابت، الحياة فيها أشياء ثابتة، وأشياء متغيِّرة، والإنسان فيه أشياء ثابتة وأشياء متغيِّرة.

QaradawiBooks.com

الإنسان تغيَّر، تغيَّر ما يأكله، تغيَّر ما يلبسه، تغيَّر سكنه، تغيَّرت معارفه، تغيَّرت أدوات سلاحه وأدوات طبخه، بعد أنْ كان يضع الشيء على النَّار مباشرة صنع «وابور كاز»، وبعد ذلك صنع هذا الموقد «البوتكاز»، وبعد ذلك صنع الموقد الكهربائي.

ولكن الإنسان هو الإنسان، لا زال يأكل، ولا زال يشرب، ولا زال يحتاج إلى الطعام وإلى الشراب، ولا زال كما قال الله تعالى لآدم: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨، ١١٩]، أي: لا تشعر بوقدة الشمس والحرِّ، الجوع والعري والظمأ والضحى هذه أشياء ثابتة، حاجات الإنسان الأساسية هي هي.

منذ كانت البشريَّة أسرة واحدة من رجل وامرأة وأولادهما، آدم وحواء وأولادهما، قَتل ابن آدم الشرير أخاه الطيِّب الخيِّر: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢٧ ـ ٣٠].

وبعد أن قتله لم يكن يعرف ماذا يصنع بهذه الجثَّة، حتَّى بعث الله له غُرابًا يعلِّمه.

وهذا دليل على أنَّ هذا هو أوَّل ميت في التاريخ، لم يُعرف ميت قبل ذلك ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١]، الآن النَّاس يعرفون كيف يخفون آثار الجثث، وكيف يضعون محلولات كيماوية فتزيل آثار الجثَّة تمامًا.

QaradawiBooks.com

تطوَّرت أساليب الإنسان، ولكن الإنسان هو الإنسان، لا زال قابيل وهابيل، لا زال الخير والشرُّ يتصارعان، لا زالت الفضيلة والرذيلة، لا زال الإنسان الظالم المعتدي والإنسان الطيب المستسلِم، جوهر الإنسان لم يتغيَّر.

اطبخ بما شئت، اركب ما شئت، اركب رجليك، أو اركب حمارًا، أو دابَّة، أو اركب سفينة شراعية، أو اركب سفينة بخارية، أو اركب السيارة أو الطائرة أو الصاروخ، أنت أنت، جوهر الإنسان هو هو.

فالذين يزعمون أنَّ الحياة متغيِّرة، كأنهم يوهموننا أنَّ جوهر الحياة وجوهر الإنسان وجوهر الكون متغيِّر.

لا، الجوهر ثابت، التغيُّر في الأغراض، في الصور، في التفاصيل، أمَّا الجوهر أمَّا الحقيقة فهي هي.

الشَّريعة بين الثابت والتغيُّر:

فقضية أنَّ الحياة متغيِّرة ومتطوِّرة وأنَّ الشَّريعة ثابتة وجامدة ولا تقبل التغيُّر والتطوُّر، قضيَّة خاطئة تمامًا، وليس الأمر كما يقولون.

العقيدة ثابتة؛ لأنَّ الله واحد، ولا يمكن أن يكون اثنين بعد ذلك أو ثلاثة، هناك ملائكة لله موجودون هذه حقيقة لا تتغيَّر، هناك يوم آخر هذه حقيقة ثابتة.

أمَّا الشَّريعة ففيها دائرتان:

دائرة لا تقبل التجديد ولا التطوُّر ولا التغيير، وهذه الَّتي ثبتت أحكامها بنصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة.

QaradawiBooks.com

وهي ـ كما قلت لكم من قبل ـ محدودة جـدًّا وقليلة جدًّا، ولكنها مهمَّة جدًّا جدًّا، لماذا؟

لأنَّها تمثِّل ثوابت الأمَّة، الثوابت الَّتي لا يجوز اختراقها، ولا يجوز الخروج عليها بحال من الأحوال، هذه دائرة.

وهناك دائرة واسعة تقبل التجديد، وتقبل الاجتهاد، وتقبل التطوُّر.

من عوامل السَّعة والمرونة في شريعة الإسلام:

ومن أجل هذا نقول: إنَّ الشَّـريعة فيها عوامل عدة للسَّـعة والمرونة ألَّفت فيها كتابًا من قديم[١]، من هذه العوامل:

العامل الأول:

أنَّ الله لم يقيِّد النَّاس بنصوص في كلِّ شـيء، بل هناك أمور ليس فيها نص قط، تركها الله تعالى منطقة فراغ تشريعي ليس فيها أمر ولا نهي سمَّيتها: منطقة «العفو» أخذًا من الحديث الشريف: «**ما أحلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام، وما سـكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئًا**»، ثمَّ تلا قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤][٢].

الله لا ينسى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]، ترك هذه الأشياء قصدًا لتكون عفوًا، نملؤها باجتهادنا في ضـوء النصوص المحكَمة، بالقياس

(١) راجع كتابنا: عوامل السَّعة والمرونة في الشريعة الإسلامية، نشر دار الصحوة للنشر، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م، ثم نشرته بعد ذلك مكتبة وهبة، القاهرة.

(٢) رواه البزار (٤٠٨٧)، وقال: إسـناده صالح. والحاكم في التفسير (٣٧٥/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩٤): رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن، ورجاله موثقون. عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

على المنصوص، بالعمل بالمصلحة المرسلة، بالعمل بالاستحسان، بمراعاة العُرف، بالاستصحاب، بكذا بكذا، هكذا أوسع الله علينا.

في الحديث الآخر من الأحاديث «الأربعين النَّووية» يقول: «**إنَّ الله حدَّ حدودًا فلا تعتدوها، وفرض أشياء فلا تضيِّعوها، وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها**»[(١)].

سكت عن هذه الأشياء رحمة من الله تعالى، فهذه منطقة متروكة ليس فيها أمر ولا نهي.

أشياء تركها الله تعالى لنا، وخصوصًا الأشياء الَّتي تتغيَّر بتغيُّر الزَّمان والمكان والإنسان، لا تكاد تجد فيها نصوصًا.

الإجراءات الإدارية والأشياء السِّياسيَّة تجد فيها نصوصًا محدودة، والباقي متروك لاجتهاد النَّاس.

هذا أوَّل عامل من عوامل السَّعة والمرونة في الشَّريعة الإسلاميَّة.

والعامل الثاني:

أنَّ الأشياء الَّتي نصَّ عليها القرآن والسُّنة كثيرًا ما يكون النصُّ عليها بطريق كلِّي، بطريق إجمالي، يضع فيها قاعدة، يقرِّر فيها مبدأ، ثمَّ يترك التفاصيل لاجتهاد المسلمين حسب الزَّمان والمكان والحال، كما في قضيَّة الشُّورى، الله قرَّر الشُّورى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشُّورى: ٣٨]،

(١) رواه الطبراني (٢٢١/٢٢)، والدارقطني في الرضاع (٤٣٩٦)، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩٦): رجاله رجال الصحيح. وحسنه النووي في رياض الصالحين (١٨٣٢)، وقال الألباني في تخريج الإيمان لابن تيمية صـ٤٤: حسن بشاهده. عن أبي ثعلبة الخشني.

QaradawiBooks.com

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ولكن كيف تكون الشورى؟ مَن المستشار؟ مَن هم أهل الشورى، أو أهل الحلِّ والعقد؟ وكيف نختارهم؟

لم يفصِّل الله في هذا؛ لأنَّه لو ألزمنا بصورة مفصَّلة من الشُّورى لأصبحت شرعًا ثابتًا إلى يوم القيامة، ولكن الله أجمل في هذا وترك التفصيل لاجتهادنا، رحمة منه بنا، وفضلًا منه علينا.

هذا ـ أيضًا ـ عامل من عوامل السَّعة والمرونة في الشَّريعة الإسلاميَّة.

العامل الثالث:

أنَّ ما نصَّ الله عليه بتفصيلٍ نصَّ عليه في أغلب الأحيان بنصوص فيها مرونة، تحتمل تعدُّد الاجتهادات واختلاف الأفهام والتفسيرات، ولو شاء تعالى لجعلها كلَّها نصوصًا قاطعة في ثبوتها ودلالتها، ولكنَّه جعل هذه النصوص فيها الحقيقة وفيها المجاز، وفيها المطلق والمقيَّد والخاص والعام، والمنطوق والمفهوم، وما يُفهم بالإشارة وما يُفهم بالعبارة إلى آخره؛ حتَّى تتسع الشَّريعة لاختلاف الأفهام والعقول، واختلاف الأزمان والعصور، واختلاف البيئات والأحوال، فهذه رحمة من الله تعالى.

ولهذا تعدَّدت المذاهب وتنوَّعت المشارب واختلفت المدارس الفقهية، ما بين أثري يقول بالأثر، وما بين ظاهري يأخذ بالظاهر، وما بين قياسي يأخذ بالرأي، وما بين مقاصدي يأخذ بالمقاصد، اتسعت الشَّريعة لذلك.

ودخلت الشَّريعة الإسلاميَّة بلاد الحضارات القديمة، دخلت بلاد فارس وبلاد الروم وبلاد الشام وبلاد مصر وشمال إفريقيا، ولم يضق ذرعها بأي حادثة من الحوادث، ولا بأي واقعة من الوقائع، بل كان

QaradawiBooks.com

فقهاؤها قادرين على أن يضعوا لكلِّ مشكلة حلًّا ولكلِّ داء دواء من صيدليَّة الشَّريعة نفسها، لا باستيراد من غيرها.

فهذه ـ أيضًا ـ من عوامل السَّعة والمرونة.

العامل الرابع:

أنَّ الشَّريعة فيها أشياء لأوقات السَّعة والاختيار، وأشياء لأوقات الضرورة والاضطرار.

الإسلام يراعي الضرورات فيبيح فيها المحظورات، الله تعالى في أربع آيات من كتابه أباح أكْل المحرَّمات عند الضرورة: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]، ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النَّحل: ١١٥].

وهناك ضرورات تعتري الفرد، وضرورات تعتري المجتمع، وأحكام هذه مُفَصَّلة في أحكام فقهنا الإسلامي الثري العريض.

العامل الخامس:

وهو ما قرَّره المحقِّقون من علماء الأمَّة: أنَّ الفتوى تتغيَّر بتغيُّر الزَّمان والمكان والعُرف والحال.

وهذا ما ذكره ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما ذكره قبله العلَّامة شهاب الدين القرافي المالكي، وذكره بعده علَّامة الحنفية المتأخرين ابن عابدين، وذكره الكثيرون.

QaradawiBooks.com

وقد ذكرت لكم ما قاله ابــن تيمية حينما مرَّ على جماعة من التتار يشربون الخمر، فقال لهم بعض أصحابه: يا أعداء الله، تشربون الخمر أم الخبائث؟

فقال: دعهم؛ فإنَّ الله إنَّما حرَّم الخمــر؛ لأنَّها تصدُّ عن ذكر الله وعن الصَّلاة، وهؤلاء تصدهم الخمر عن سفك الدماء ونهب الأموال[١]!

خَلِّهم في سكرهم ولهوهم، إذا صحوا قتلوا النَّاس ونهبوا أموالهم.

انظر كيف نظر إلى مقصد الشَّريعة، وكيف وجد أن هؤلاء ينبغي أن يُفتوا بأمر آخر غير الأمر العادي.

يمكن أنْ تترك صاحب المنكر على منكره إذا خِفت أن يأتي بمنكر أشدّ من هذا المنكر وأعظم منه نُكرًا.

هذا ما ينبغي لنا أن نعلمه.

العلامة الإمام ابن أبي زيد القيرواني من أئمة المالكية صاحب كتاب «الرســالة» المشــهورة، اتخذ بيتًا في طــرف المدينة، واتخــذ له كلبًا للحراسة، فزاره بعض العلماء فقالوا: يا أبا محمَّد، كيف تتخذ كلبًا وأنت تعلم أنَّ مالكًا رضي الله عنه يكره اقتناء الكلاب؟

فقال: لو كان مالك في زماننا لاتَّخذ أسدًا ضاريًا[٢]! نحن في زمن قلَّ فيه الأمن ويخاف فيه النَّاس.

فهذه كلُّها تدلُّنا على أنَّ الشَّريعة ليست ـ كما يقول هؤلاء ـ جامدة ثابتة.

(١) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم (٥/٣)، نشر دار الجيل، بيروت.

(٢) انظر: شــرح العلامة زرُّوق على الرســالة (١٠٩٨/٢)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

لا، الشَّريعة فيها قابلية للمرونة والتطوُّر والتغيُّر.

إذا فتح باب الاجتهاد لأهله في محلِّه؛ فالعلماء المجتهدون قادرون على أن يصنعوا طبًّا لكلِّ أدواء النَّاس وأمراضهم من صيدلية الشَّريعة.

فهذا ما قاله هؤلاء الَّذين أرادوا أنْ يبرِّروا العِلْمانيَّة.

هل الإسلام دين مثالي لا يصلح للتطبيق؟!

وآخرون أرادوا أنْ يبرِّروا العِلْمانيَّة فقالوا عن الإسلام: دين مثالي وشريعته شريعة مثاليَّة، لا تصلح للتطبيق في الواقع، ولذلك لم نجد الشَّريعة طُبِّقت إلَّا في عهد الخلفاء الراشدين، بل في عهد أبي بكر وعمر فقط، وأبو بكر عاش في الخلافة سنتين ونصف، وعمر هذا كان فلتة لا تتكرَّر!

هكذا يقول هؤلاء، وهذا كذب على التاريخ وعلى الإسلام.

الإسلام ليس شريعة مثاليَّة محلِّقة في الخيال.

لا، الإسلام دين واقعي يشرِّع للإنسان من حيث هو إنسان، يقول النَّبي ﷺ: «**ساعة وساعة**»[1]، يعني: ساعة لقلبك وساعة لربِّك، والقرآن يقول: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]، وكلُّ هؤلاء من الأمَّة المصطفاة، حتَّى الظالم لنفسه لم يخرج من الأمَّة.

الإسلام يشرع للنَّاس جميعًا، يشرع للإنسان العالي الَّذي هو أعلى

(١) جزء من حديث حنظلة، وفيه يقول ﷺ: «والذي نفسي بيده! لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فُرُشكم، وفي طُرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات. رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٠).

QaradawiBooks.com

من القاعدة، وللإنسان الوسط، وللإنسان الَّذي هو دون القاعدة، يراعي الجميع، يراعي أنَّ النَّاس مستويات مختلفة.

ومن أجل هذا شرع العقوبات؛ لأنَّه يعلَم أنَّه سيكون هناك أُناس مخطئون، ومن أجل هذا أباح الضرورات، ومن أجل هذا جعل أحكامًا للإنسان إذا أُكره، وأحكامًا للإنسان إذا غضب، كطلاق الغضبان وغير ذلك.

الشَّريعة الإسلاميَّة شريعة واقعية بكلِّ معنى الكلمة، تجمع بين النظرة إلى المثاليَّة والنظرة إلى الواقع، توازِن بين هذا موازنة لا يقدر عليها إلَّا خالق الإنسان وواهب الحياة، الله هو الَّذي وضع هذا النظام المتوازن للنَّاس.

دعوى أنَّ الشَّريعة مثاليَّة لا تصلح للتطبيق هذا ليس صحيحًا؛ الشَّريعة وسعت المُخْطِئين والمصيبين، والأغنياء والفقراء، والحكَّام والمحكومين، والرِّجال والنِّساء، والمجتمعات الحضاريَّة والمجتمعات البدويَّة، وسعت هؤلاء جميعًا بأحكامها وقواعدها.

وهي القواعد الواسعة المرنة الَّتي وضعها فقهاء هذه الأمَّة: الأمور بمقاصدها، المشقَّة تجلب التيسير، لا ضرر ولا ضرار، يتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى، يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام، لا يُزال الضرر بالضرر أو لا يُزال الضرر بضرر مثله أو أكبر منه.

قواعد تسع الحياة كلَّها.

الذين يقولون: إنَّ الشَّريعة الإسلاميَّة شريعة مثاليَّة هذا ليس صحيحًا؛ الشَّريعة واقعية مائة في المائة (١٠٠٪)، ولهذا حكمت الأمَّة خلال اثني عشر قرنًا على الأقلِّ قبل أنْ يدخل الاستعمار بلاد المسلمين.

QaradawiBooks.com

هل كان للمسلمين خلال تلك القرون شريعة غير هذه الشَّريعة؟

يقولون: لم تطبَّق إلَّا في عهد أبي بكر وعمرَ! وسائر حكَّام المسلمين الَّذين أتوا من بعدهما هل وجد أحد منهم رفض الشَّريعة؟

لا يمكن، لو فعل ذلك لكان مرتدًّا ولخرج النَّاس عليه.

القانون الَّذي كان يحتكم إليه الجميع ويحكم به القضاة في العالم الإسلامي كلِّه هو الشَّريعة الإسلاميَّة، وهو الَّذي كان يفتي على أساسه المفتون.

حينما يقع للإنسان قضيَّة: زواج أو طلاق أو ميراث أو معاملة ماليَّة إلى مَن كان يذهب النَّاس؟

كانوا يذهبون إلى المفتي ويسألونه؛ فالشَّريعة تحكم الأفراد وتحكم المجتمع.

الشَّريعة الإسلاميَّة كانت هي الحاكمة خلال هذه الفترة، ثمَّ هم يذكرون الحكَّام المسلمين كأنهم كلَّهم ظلمة وطغاة، ليس هذا صحيحًا.

شُبهات حول تاريخنا الإسلامي:

نحن نقول عن معاوية مثلًا: إنَّه رجل انحرف عن سنن الراشدين؛ لأنَّنا نحاكمه إلى عمر بن الخطَّاب، وإلى علي بن أبي طالب، ونحن حينما نحاكمه إلى هؤلاء نجد: أنَّه قزم أمام هؤلاء العمالقة.

ولكن لو نظرنا إليه بالنسبة لملوك عصره لوجدناه من أعدل الحكَّام، ولو لم يكن كذلك ما تنازل له إمام جليل مثل الحسن بن علي الَّذي ذهب، وقال له: أتنازل لك عن الخلافة، وقد قال النَّبي ﷺ

QaradawiBooks.com

فيما رواه البخاري: «**ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[١].

لو كان معاوية بالسوء الَّذي تصوِّره كتب التاريخ المحرَّفة ـ وللأسف تاريخنا فيه تحريف كثير ومسخ كثير، ويحتاج إلى كتابته من جديد بأقلام مؤمنة ـ ما تنازل له الحسن بن علي رضي الله عنهب.

هناك أُناس صوَّروا هارون الرشيد، وكأنه رجل خلاعة وفجور، مع أنَّه كان يغزو عامًا ويحجُّ عامًا، وفي العام الَّذي لا يحجُّ فيه يبعث بثلاثمائة عالم يحجُّون على نفقته، وكان رجلًا إذا وعظ بكى، وامتدت الدولة الإسلاميَّة في عصره وبلغت الأوج في العالم والحضارة.

هل يمكن أن تبلغ الدولة هذا المبلغ من رجل يصفونه كأنَّه رجل لهو ولعب وخلاعة؟

هذا كلُّه من تزييف التاريخ.

ثمَّ لماذا لا يذكر هؤلاء العمالقة أمثال: عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود الشهيد وتلميذه صلاح الدين الأيوبي؟ لماذا لا يذكرون المظفَّر سيف الدين قطز والظاهر بيبرس؟ ولماذا لا يذكرون «أورانك زيب»[٢] الَّذي حكم خمسين عامًا في الهند، وكان مثالاً للحاكم الراشد، ومع أنَّه كان ملكًا من أعظم الملوك كان لا يأكل إلَّا من كتابة يده، وكان خطُّه جميلًا فكان يكتب المصاحف بخط يده؟

لماذا يصوِّرون لنا تاريخنا على أنَّه ظلمات بعضها فوق بعض؟

---

(١) رواه البخاري في المناقب (٣٦٢٩)، عن أبي بكرة.

(٢) انظر: رجال من التاريخ لأديب الفقهاء الشَّيخ علي الطنطاوي صـ٢١٠ ـ ٢٢٠، تحت عنوان: «بقية الخلفاء الراشدين»، نشر دار الفكر، دمشق.

QaradawiBooks.com

هذا التاريخ ظلَّ محكومًا بالشَّريعة الإسلاميَّة، حتَّى الحجَّاج الثقفي على ظلمه وجبروته وطغيانه حينما أخذ جنوده رجلًا في مقابل ابن عمٍّ له لم يجدوه فاعتقلوه، ووقف الرَّجل أمام الحجَّاج يسأله: فيم اعتقلت؟

قال له: إنَّه جنى جان من عُرض عشيرتي فأخذت بسببه.

قال له الحجَّاج: أمَّا سمعت قول الشاعر:

جَانِيكَ مَــنْ يَجْنِي عَلَيْــكَ وقَدْ تَعْدِي الصِّحَــاحَ مَبَارِكُ الجُرْبِ[1]

ولــرُبَّ مأخــوذٍ بذنبِ عَشِــيرَةٍ ونجــا المُقَارِفُ صاحــبُ الذَّنْبِ

قال الرَّجل: ولكنِّي أيَّها الأمير سمعت الله تعالى قال غير ذلك.

قال: ويحك، وماذا قال الله؟

قال: قال على لسان يوسف حينما قالوا له عن أخيه: ﴿إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٧٨، ٧٩].

فقال الحجَّاج: صدق الله، وكذب الشاعر، خلُّوا سبيل الرَّجل[2].

الحجَّاج ينحني أمام النصِّ الإلٰهي! ما كان في هذه الأمَّة أحد يجرؤ على أن يعطِّل أحــكام الله علانية، إنَّما كان هناك مــن ينحرف من أجل الدنيا، من أجل الهوى، من أجل قرابة، أمَّا الشَّــريعة فكانت هي الحكَم والمرجع الَّذي يرجع إليه الجميع.

ويقــول بعض العلمانييــن: كيف تريــدون لنا أن نحكم بالشَّــريعة الإسلاميَّة في عصر ترك النَّاس فيه الدين؟ نحن في عصر العلم ولسنا في

(١) يعني: الأجرب قد يعدي السليم.

(٢) العقد الفريد (٢٧٧/٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عصر الدين، الغرب تحرَّر من الدين فنهض وارتقى وأصبح يحكم نفسه بقوانين وضعية، فلماذا لا نقلِّد الغرب حتَّى نرتقي مثله؟

ونقول لهـــؤلاء: إنَّ الغرب له دينه ولنا ديننا، لســـنا عبيدًا للغرب حتَّى نقلِّده، نحن لنا ديننا وميراثنا وشريعتنا، الغرب ليس عنده شريعة مثل شريعتنا.

الغرب حكمه رجال الدين حكمًا مســـتبدًّا ظالمًا، وقفوا مع الجهل ضد العلم، ومع الظلم ضد العدل، ومع الإقطاع ضد العمال.

ولكن المسجد غير الكنيسة، والإسلام غير المسيحية، وعلماء الإسلام غير رجال الكهنوت النصارى، فلماذا تطبِّقون علينا ما طبَّقه أولئك؟

نحن شيء غير هؤلاء.

لسنا أسرى للغرب ولســـنا عبيدًا للغرب حتَّى يحكم علينا تاريخه، تاريخنا تاريخ مشرق، العصور الَّتي يسمُّونها عندهم: «العصور الوسطى المظلمة» هي العصور الذهبية عندنـــا، أقمنا فيها حضارة العلم والإيمان ودولة العدل والإحسان، وكنَّا سادة العالم لعدَّة قرون.

ماذا عند هؤلاء الَّذين يريدون أن يفرضوا علينا العِلْمانيَّة؟ وماذا وراء العِلْمانيَّة؟ وماذا كسبت الدول الَّتي حكمتها العِلْمانيَّة؟

والله ما كسبت شيئًا؛ لأنَّها قهرت شعوبها، ولا زالت تقهرها.

العِلْمانيَّة والحُرِّيَّة الدينيَّة:

ماذا بين حزب الرفاه الإسلامي في تركيا وبين العِلمانيِّين هناك؟

إنَّهم يريدون أن يلغـــوا المدارس القرآنيَّة! آلاف المـــدارس القرآنيَّة أنشأها الشَّـــعب هناك ليعلِّموا أولادهم وبناتهم القرآن، وهؤلاء يريدون

QaradawiBooks.com

إلغاء هذه المدارس! ما الَّذي يؤلمكم أيَّها العلمانيون؟ ما الَّذي يضيركم من هذا الأمر؟

أيها الجيش العلماني في تركيا، ما الَّذي يضايقك في أن يحفظ الولد أو البنت: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص]؟!

يريدون إلغاء المدارس القرآنيَّة وهي بالآلاف، يريدون إلغاء معاهد الأئمة والخُطباء أو تقليصها، يريدون أن لا تطالب الحكومة بإعطاء حقِّ المرأة المسلمة في لبس الحجاب! المرأة المتبرِّجة لها حقُّ أن تلبس «المني جب» و«الميكروجب» وأنْ تعري الصدر والظهر والساقين والذراعين؛ لأنَّ هذا من الحرية الشخصيَّة، وليس من الحرية الشخصيَّة أن تغطِّي المرأة شعرها!

هذا عجيب.

ماذا تريد العِلْمانيَّة في بلاد المسلمين؟

تريد أن تقهر المسلم على ما لا يريد.

بعض البلاد العِلْمانيَّة في شمال إفريقيا تجعل الحجاب جريمة، المرأة المحجَّبة ترتكب جريمة إذا لبست الحجاب، لا يجوز لها أن تدخل المدرسة، لا يجوز لها أن تدخل الجامعة، لا يجوز لها أن تُوظَّف في الحكومة، لا يجوز لها أن تدخل مستشفى للعلاج أو للولادة إلَّا إذا خلعت حجابها!

هذه هي العِلْمانيَّة.

إنَّها تقهر النَّاس، وتقتل حرية الأفراد، وهم يدَّعون أنَّهم دعاة الحُرِّيَّة! أين الحُرِّيَّة؟

QaradawiBooks.com

إنَّهم يريدون حُرِّيَّة الكفـــر لا حُرِّيَّة الفكر، حرية الفســـوق لا حُرِّيَّة الحقوق، حُرِّيَّة الإلحاد والطغيان لا حُرِّيَّة الإنسان.

هذا ما يريده هؤلاء.

بعض هؤلاء يعتبرون الصَّلاة جريمة، وخصوصًا الصَّلاة في المساجد.

حدثني بعض الشَّـــباب في تلك البلاد أنَّهم كانـــوا يذهبون ليصلُّوا الفجر في المسجد فكان رجال الأمن يمسكون بهم!

قالوا: فتركنَا الصَّلاة في المسجد وصلينا في بيوتنا، فكانوا يتطلَّعون إلى البيوت عند الفجر، فإذا أضيء النُّور عند أذان الفجر عرفوا أن هناك من يصلِّي، فوضعوا علامة على هذا البيت، ووضع في القائمة السوداء!

عندما يتقدَّم أحدهم للعمل في وظيفة يكون من الأســـئلة الَّتي يُسأل عنها: هل تحافظ على الصلوات الخمس؟! فماذا يقول الإنسان المحافظ؟

إن أجاب بنعم، فستكون نقطة سوداء له.

هؤلاء هم الَّذين حرَّموا تعدُّد الزوجات وأباحوا الزنا كما قال شيخنا الشَّـــيخ عبد الحليم محمود في محاضرة له هنا فـــي المعهد الديني منذ حوالي ثلاثين سنة، قال: حدَّثني أحد الإخوة في بلد من شمال إفريقيا أنَّ امرأته كبيرة في السنِّ فتزوَّج امرأة أرملة بعقد شرعي غير موثَّق، فقدمت شكوى إلى الشرطة أن فلانًا هذا خالف القانون، تزوَّج امرأة على امرأته.

وفعلًا عُمل لـــه كمين وضُبط وهـــو يدخل عند هذه المـــرأة، وأُخذ للتحقيق معـــه، وقالوا له: أمَـــا علمـــت أنَّ القانون يُحـــرِّم ويمنع تعدُّد الزوجات؟

QaradawiBooks.com

قال لهم: نعم أعلم هذا.

قالوا له: فلماذا تخالف القانون وتتزوَّج هذه المرأة؟

قال لهم: ومَن قال لكم: إنَّها امرأتي؟ هذه عشيقتي.

قالوا له: نحن آسفون كنَّا نظنها امرأة لك، أطلقوا سراح الرَّجل!

حرَّموا ما أحلَّ الله، وأحلُّوا ما حرَّم الله، أحلُّوا الزنى وهو من كبائر الإثمَّ والفواحش: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]. حرَّموا تعدُّد الزوجات الَّذي يحتاج إليه الرَّجل وتحتاج إليه المرأة، وأباحوا تعدُّد الخليلات والعشيقات! لماذا لا يتزوَّج الرَّجل من ثانية بدل أن يفكِّر في الحرام؟ ولماذا لا تتزوَّج المرأة من رجل متزوِّج بدل أن تعيش حياتها بغير رجل؟

جريمة فصل الدين عن السياسة:

ماذا فعل هؤلاء بالأمَّة إلَّا أنَّهم قهروها؟

قهروا الأمَّة وحرموها من هذا الدافع الديني، حرموها من صلتها بالدين، بالله تعالى.

كان أحد رؤساء الوزراء[1] يفاوض جماعة من الإسرائيليين، وقال لهم: إنَّنا نفصل بين الدين والقوميَّة والحياة والسياسة، فلا تقوم سياستنا على أي مرتكزات دينيَّة.

فقام أحدهم وقال له: يا سيادة رئيس الوزراء، لكم أنْ تفعلوا في دينكم ما شئتم، أمَّا نحن فعندنا «الدين والشَّعب والوطن» أو «التوراة والشَّعب والوطن».

(١) هو رئيس وزراء مصر في عهد السادات د. مصطفى خليل، راجع كتابنا: الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

QaradawiBooks.com

عندهم هذه الأقانيم الثلاثة، هذا ما يفعله الإسرائيليون.

هم يريدون أنْ تكون معركتهم قائمة على أســاس ديني، ونحن نريد أن نفرغ معركتنا من كلِّ معنى ديني.

فليتحاكموا إلى الشُّعوب:

إننا ندعو هؤلاء العلمانيين إذا كانــوا يتغنون بالدِّيمقراطيَّة ويقولون: نحــن ديمقراطيون ونؤمن بحقِّ الشَّــعب أن يحتكموا إلى الشَّــعب في استفتاء حرٍّ نزيه ويروا: ماذا تريد شــعوب أمَّتنا العربيَّة والإسلاميَّة؟ هل تريد الشَّريعة الإسلاميَّة أو العِلْمانيَّة؟ هل تريد شرع الله أو قانون نابليون؟ نريد استفتاء صريحًا لنرى مع من تكون الأمَّة؟

وســتكون الأمَّة مع شــرع الله، مع محمَّد ﷺ، مع القرآن الكريم، ولن تكون أبدًا مع القوانين الأجنبيَّة، ولا الأنظمة الأجنبيَّة، ولا المفاهيم الأجنبيَّة.

ستظلُّ الأمَّة مستمسكة بهويتها لا تتنازل عنها، معلنة أنَّها مع الإسلام وبالإسلام وللإسلام، وهذا ما ينبغي أن يغالي به كلُّ مسلم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلت: ٣٣].

خسائر أمَّتنا من وراء العِلْمانيَّة:

نحن ندعو أمَّتنا إلى أن تتمسَّك بدينها، بشريعتها، وأن تطالِب بذلك، وأن تصرَّ عليه، فلا نجاة لهــذه الأمَّة إلَّا بهذا الديــن، ورحم الله الإمام مالك الَّذي قال: «لا يصلــح آخر هذه الأمَّة إلَّا بما صلُــح به أولها»[1]، وما صلُح أولها إلَّا بكتاب الله وبسُنة رسول الله ﷺ.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٣١/١).

QaradawiBooks.com

وقد جرَّبنا الاستيراد من الشرق والاستيراد من الغرب، جرَّبنا الاقتباس من اليمين والاقتباس من اليسار، جرَّبنا الرأسمالية الليبرالية المأخوذة من الغرب، وجرَّبنا الاشتراكيَّة الثوريَّة المأخوذة من الشرق، فما أغنت عنَّا الليبرالية ولا الاشتراكيَّة.

ما حقَّقنا رخاء اقتصاديًّا، ولا حقَّقنا ازدهارًا علميًّا ولا حقَّقنا وحدة سياسيَّة، ولا حقَّقنا تماسكًا أخلاقيًّا، ولا حقَّقنا نصرًا عسكريًّا، ولا زلنا ننزل من نكسة إلى نكسة إلى اليوم، كلُّ مدة نخسر أمام إسرائيل، «نتنياهو» مُصِرٌّ على موقفه ونحن نلهث وراءه، نشحذ، نتسوَّل.

أي أمَّة هذه؟!

أيها العلمانيون، ماذا صنعتم بهذه الأمَّة؟

خرَّبتم جوانية هذه الأمَّة، خرَّبتم نفوسها وضمائرها.

نريد أن نرتفع بنفوس هذه الأمَّة لتكون أمَّة عزة وكرامة، أمَّة جهاد ونضال، لا تبع نفسها ولا شرفها، ولا وطنها ولا قطعة أرض من ديارها بملك المشرق والمغرب.

أيُّها العلمانيون الضعفاء المستهينون بكلِّ قيمة وبكلِّ فضيلة، دعوا مكانكم لغيركم، لا تصلحون لهذه الأمَّة، أفسدتم عليها كلَّ شيء، دعوا لها الفرصة لتجرِّب الإسلام.

لماذا تقفون في وجه الإسلام؟

لا تريدون للإسلام أنْ يحكم لا بطريقة ديمقراطية كما في الجزائر، ولا بانقلاب أبيض كما في السودان.

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

تريدون أنْ تقفوا ضد كلِّ دولة تعلن الشَّريعة كما وقفتم أمام السودان، وكما تقفون اليوم أمام حزب الرفاه الإسلامي.

نحن نريد لأمَّتنا أن تسود، وأن تقود، وأن تتبوَّأ مكانتها تحت الشمس، ولن تفعل ذلك إلَّا تحت ظلال الدين، وتحت لواء الإسلام، وتحت حكم الشَّريعة، وهذا قانون الله ولا بدَّ أن يأتي، لا بدَّ أنْ يأتي.

إنَّهم يحاولون أن يُوقفوا زحف التاريخ، إنَّهم يحاولون أن يُوقفوا طلوع النَّهار، إنَّهم يناطحون المريخ ويُوقفون سُنن الله، وهيهات أنْ يستطيع أحد أنْ يُوقف سُنن الله؛ لأنَّ سُنن الله ماضية ولا يمكن أن يُوقفها أحد ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فُصِّلت: ٥٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد:

فقد ورد أنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيرًا إلَّا استجيب له[1]، ولعلَّها تكون هذه الساعة.

اللهمَّ أصْلِح لنا ديننا الَّذي هو عصمة أمرنا، وأصْلِح لنا دنيانا الَّتي فيها معاشنا، وأصْلِح لنا آخرتنا الَّتي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلِّ شرٍّ.

اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحْسِن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجِرْنا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ إنَّا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهمَّ استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بك أن نُغتال من تحتنا.

اللهمَّ اجمع كلمة هذه الأمَّة على الهُدى، وقلوبها على التُّقى، ونفوسها على المحبَّة، ونيَّاتها على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهمَّ انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهمَّ انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين، اللهمَّ انصرنا على الوثنيين المتعصِّبين، وانصرنا على الصليبيين الحاقدين، وانصرنا على الملاحدة الجاحدين، وانصرنا على الطغاة الجبَّارين، وانصرنا على جميع أعدائك أعداء الدين.

---

(١) سبق تخريجه صـ ١٥٦.

QaradawiBooks.com

اللهمَّ ردَّ عنَّا كيدهم، وفلَّ حدَّهم، اللهـــمَّ إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم.

اللهمَّ مُنزل الكتاب ومُجري السَّـــحاب وســـريع الحســـاب وهازم الأحزاب، اهزم أعداءنا وأعداءك وانصرنا عليهم يا ربَّ العالمين.

اللهـــمَّ أيِّد إخوتنـــا المجاهدين في ســـبيلك، اللهمَّ أيِّـــد إخوتنا في فلســـطين ولبنان، وأيِّد إخوتنا في كشمير والسودان، وأيِّد إخوتنا في كلِّ مكان، وخذ بأيدي إخوتنا الممتحنيـــن والمضطهدين والمعتقلين، اللهمَّ افكك بقوتك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتولَّ بعنايتك أمرهم.

اللهمَّ اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًّا، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقـــول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورســـولك محمَّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٥

الشَّيخ محمَّد الغزالي
عالم مجاهد مجدِّد[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

كيف يختار مدير برنامج «الاتجاه المعاكس» شخصياته؟

في يوم الثلاثاء الماضي من هذا الأسبوع المنصرم أذاعت قناة الجزيرة في برنامجها الشهير «الاتجاه المعاكس» حلقة عن: الجماعات الإسلاميَّة، وكان طرفها أحد العلمانيين اللادينيين المتبجِّحين، وأحد الَّذين ينتمون إلى الجماعات الإسلاميَّة، ولا أدري كيف يختار مدير البرنامج شخصياته؟

فكثيرًا ما جاء بالذين يمثِّلون الإسلام من هذا الطراز الغريب، الَّذين لا يُعرفون إلَّا بطول اللِّحى، وطول اللسان، وقِصر العقل والتفكير، وعدم فقه الواقع، وفقه الإسلام الحقيقي.

كما اختار الطرف الآخر من هذا النوع الَّذي لا يرجو الله، ولا اليوم الآخر، ولا يعترف للإسلام بقيمة ولا بمرجعيَّة.

QaradawiBooks.com

هذا للأسف ما حدث في برنامج الاتجاه المعاكس في يوم الثلاثاء الماضي، ومما سمعناه في التعليقات على هذا البرنامج، مداخلة هي في الواقع أقوى المداخلات وأصوبها، كانت من الأخ عبد الله أنس من لندن الَّذي قال لصاحب البرنامج: لقد أسأت الاختيار في كلا الطرفين، في الطرف العلماني وفي الطرف الإسلامي؛ فالطرف العلماني لا يمثِّل الدِّيمقراطيَّة، بل هو رجل استئصالي يعادي الإسلام، ويعادي دعاته بكلِّ قوَّة، فلا ينبغي لمثله أنْ يمثِّل العقلانية أو الدِّيمقراطيَّة، أو الحرية، أو غير ذلك.

وكذلك الَّذي جئت به يمثِّل الحركات الإسلاميَّة ليس منها في شيء؛ فهو رجل أفتى بجواز قتل الرَّجل أمَّه وأباه، أحد الجزائريين قتل أمَّه وأباه، فبرَّر هذا الرَّجل ذو اللحية الطويلة ـ أبو قتادة، هؤلاء يتكنَّون بكنى الصَّحابة ـ وأصدر فتوى في ذلك «البيان في جواز قتل الوالدان والنسوان»، إلخ.

كما برَّر قتل بعض الدعاة الإسلاميين في الجزائر، الشَّيخ محمَّد سعيد وغيره، هذه الجماعات الَّتي ظهرت وتنتسب إلى الإسلام، وارتكبت من الموبقات والحماقات والاعتداءات ما لا يقبله دين، ولا يقبله عقل، ولا نقل ولا شرع، ولا خُلق ولا عُرف ولا قانون.

أبو قتادة هذا برَّر قتل الشَّيخ محمَّد سعيد، كما برَّر في فتواه قتل الرَّجل لأمِّه وأبيه، هذا للأسف ما حدث.

علماني متطرِّف يهاجم الشَّيخ الغزالي:

ومن أعجب ما ذكره هذا الشخص العلماني التونسي اسمه الشابِّي هذا: أنَّه هاجم شيخنا الشَّيخ محمَّد الغزالي وهاجمني معه، وقال: إنَّ الغزالي الَّذي كان يرأس جامعة الأمير عبد القادر أو يديرها من الناحية

QaradawiBooks.com

العلميَّة، هو الَّذي بذر بذور التطرُّف والعنف في الجزائر، وجاء القرضاوي بعده فكمَّل دوره.

وهذا افتراء على الحقِّ والتاريخ، وما كنت أريد أنْ أعيره التفاتًا، فمثل هؤلاء نقابلهم بما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

كان أولانا أن نسكت عن هذا الجاهل الأحمق، المعادي للإسلام بصراحة وتبجُّح، والَّذي يدافع عن العِلْمانيَّة اللادينيَّة بكلِّ وقاحة، والَّذي يهاجم الإسلام وشريعته بكلِّ صراحة، ويقول: لم يعد في عصرنا مكان لتطبيق الشَّريعة، هذا كان أولى بنا أن نسكت عنه، لولا أنَّ بعض الإخوة اتصلوا بي، وألحُّوا عليَّ أن أتحدَّث.

والَّذي حداني أن أتحدَّث: هو تطاوله على الشَّيخ الغزالي، خصوصًا أنَّنا في هذه الأيام في الذكرى الرابعة لوفاة الشَّيخ الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فالشَّيخ الغزالي توفي في التاسع من مارس، أي منذ أيام، فذكرى الشَّيخ الغزالي وحقُّه علينا يستوجب أن نردَّ عنه، وأن نذود عن حُرماته، لا يمكن أن يوصف الشَّيخ الغزالي بالتطرُّف ولا بالعنف، الشَّيخ الغزالي وقف عمره كلَّه ـ وخصوصًا في سنواته الأخيرة ـ يحارب التطرُّف والعنف، ويدعو إلى الاعتدال والتسامح، وإلى العقلانية.

صنفان يعاديان الشَّيخ الغزالي:

ولذلك نجد الَّذين يعادون الشَّيخ الغزالي صنفين من النَّاس: إما من المتشدِّدين والمتطرِّفين من الإسلاميين، حتَّى إنَّ بعضهم قابلني يومًا وقال لي: ما رأيك في الغزالي؟

QaradawiBooks.com

قلت: الغزالي حجَّة الإســلام، وهو الَّذي وقف ضد الفلاســفة وضد الباطنية.

قال: لا أسألك عن هذا الغزالي القديم، إنَّما أسألك عن الغزالي الجديد.

قلت: هذا عالم من كبار علماء الإسلام، ومن كبار الدعاة الَّذين وقفوا حياتهم ونذروا أنفسهم للدفاع عن الإســلام، والوقوف في وجه أعدائه، وفي وجه التيارات الهدَّامة والمضلِّلة.

قال: ولكنَّا نفتي بكفره.

قلت: بكفره؟!

قال: نعم بكفره وردَّته.

قلت: لماذا؟

قال: لأنَّه ردَّ بعض الأحاديث في البخاري.

قلت: وبردِّ حديث في البخاري أو حديثين يخرج الرَّجل من الملَّة، لو كان الأمر كذلك لحكمنا بالردَّة على عائشــة أم المؤمنين رضي الله عنها؛ لأنَّها ردَّت بعــض الأحاديث على الصَّحابة الَّذين ســمعوها مــن النَّبي ﷺ، ولكنها بحكم ثقافتهــا قالت: لا ليس هذا صحيحًا، هــذا مناقض للآية الكريمة كذا وللآية كذا.

فالإنسان يكفر لو ردَّ السُّنَّة كلَّها، وقال: لا نأخذ عن رسول الله ﷺ، السُّنَّة ليست مصدرًا للتشريع ولا للتوجيه.

أمَّا أنْ يملأ الرَّجل كتبه بالأحاديث عن رسول الله ﷺ، ويكتب الرَّجل فقه السِّيرة وعينه تترقرق دمعًا، وهو في جوار رسول الله ﷺ بالمدينة.

QaradawiBooks.com

أمَّا الرَّجل الَّذي عاش مدافعًا عن السُّـنَّة في كتبه وعن القرآن، كيف نحكم عليه بالكفر؟

فانظروا إلى هذا الحدِّ يُتَّهم الشَّيخ الغزالي من المتشدِّدين.

فالذين يهاجمون الشَّيخ الغزالي ويعادونه، إمَّا من هؤلاء المتشدِّدين الَّذين أُغلقت عقولهم، وسُـجنوا في ظواهر بعض الألفاظ، ولم يفقهوا الدين، ولم يفقهوا الحياة.

هذا صنف.

صنف المُتَطرِّفين من العلمانيِّين:

والصنف الآخر هم المتطرِّفون من العلمانيِّين، الَّذين يعادون الإسلام نفسه، هؤلاء من داخل المسلمين، والقوى الأخرى المعادية للإسلام من الصهيونيَّة والصليبيَّة والوثنية، والقوى المتربِّصة بهذا الدين وبأمَّته.

هؤلاء وقف الغزالي ضدهم في كتب عدَّة، وقـف ضد الصهيونيَّة، ووقف ضد الصليبيَّة، ووقف ضد الطواغيت الَّذين أذلُّوا الأمَّة، وقف ضد هؤلاء في كُتب شتَّى.

وفي السـنوات الأخيرة وقف جهوده على محاربة التطرُّف، التديُّن الزائـف، والتديُّن المنقوص المغلـوط، كُتب الشَّـيخ الغزالي الأخيرة: «دستور الوحدة الثَّقافيَّة»، «مشكلات في طريق الحياة الإسلاميَّة»، «هموم داعية»، «عِلل وأدوية»، «الطريق من هنا»، «الحقُّ المر»، «مستقبل الدعوة في القرن الخامس عشر الهجري»، إلى آخر هذه الكتب.

ظلَّ الشَّيخ الغزالي يُبدئ ويعيد، وهمُّه أن يحارب هذه النزعة؛ نزعة الغلو والتطرُّف والتشدُّد، وكان يؤمن: أنَّ الإسلام لا يُخدم إلَّا بهذا النوع

QaradawiBooks.com

من التديُّن الَّذي يجمع بين العقل والنقل، بين الحِكمة والشَّـريعة، بين الدين والدنيا، بين السماء والأرض.

هكذا كان الشَّيخ الغزالي.

العلمانيون وسياسة تجفيف الينابيع:

هؤلاء هم الَّذين يعادون الشَّـيخ الغزالي، ومِن هؤلاء: هذا المحاور الَّذي كان في «الاتجاه المعاكس»، فهو محاوِر من دعاة الاستئصال، مِن دعاة فلسفة تجفيف الينابيع، وهذه فلسفة تقوم عليها بعض الدول، وهو ممن كتبوا فيها.

هذه الفلسفة تقوم على تجفيف منابع التديُّن الحقيقي الإيجابي في: التعليـم والثقافة والإعـلام، يجب تنقية مناهـج التربيـة والتعليم في المدارس والمعاهد والكليات، من الحضانة إلى الجامعة، من كلِّ شيء ينشـئ الشـخصيَّة الإسـلاميَّة، المعتزَّة بدينها، الموالية لربِّها ولأمَّتها، الغيورة على دينها، الآمرة بالمعروف، والناهية عن المنكر.

فكلُّ ما يتعلَّق بهذه الألوان من الثقافـة تُحذف ولا تبقى في مناهج التعليم والتربية.

أي كلام عـن اليهود، والتحذير من اليهود، وعـداوة اليهود، وخطر اليهود ينبغي أن يُحذف.

أي كلام عـن موالاة غيـر المسـلمين ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] يُحذف.

QaradawiBooks.com

أي كلام عن البطولة الإسلاميَّة، والوقوف في وجه الباطل، والثورة على الظلم ينبغي أن يُحذف.

أي كلام ينشئ الشخصيَّة المسلمة الإيجابية لا مكان له في مناهج التربية والتعليم.

هذا ما يريده هؤلاء.

وكذلك في مناهج الثقافة والإعلام، في التلفاز أو في الإذاعة، أو في الصَّحافة، لا يوجد مكان للحديث عن هذه المعاني.

العلمانيون وتمييع الحقائق:

لقد قرأت مقالًا لأحدهم في صحيفة الأهرام في القاهرة قال فيه: إننا نريد أن نعلِّم أولادنا وناشئتنا: نسبية الحقائق، أنَّ الحقائق نسبية، ليس هناك حقيقة مطلقة، إذا كنَّا نقول نحن: الله واحد، فهناك من يقول: هناك آلهة ثلاثة «الله ثالث ثلاثة».

هناك من يقول بالوثنية، إذا كنَّا نقول نحن: إن هناك آخرة وجنَّة ونارًا، هناك من يقول بتناسخ الأرواح، وليس هناك جنَّة ولا نار.

إذا كنَّا نحن نقول بنبوة محمَّد، فهناك من لا يؤمن بنبوة محمَّد، كلُّ هذه الحقائق الَّتي نعتبرها نحن حقائق مطلقة، ولا يجوز الاختلاف عليها، ولا التشكيك فيها، هؤلاء يقولون: هي حقائق نسبية، حقائق عندنا نحن، وليست حقائق عند آخرين، فلا يجوز أن نتعصَّب، ولا يجوز أن نعتبر هذه أشياء لا كلام فيها ولا جدال فيها.

هذا ما يقوله هؤلاء، يريدون أنْ يجعلوا الدين عجينة لينة يشكِّلونها

QaradawiBooks.com

كيف يشاء، حتَّى العقائد الأساسية ينبغي أن تؤخذ هذا المأخذ عند الطفل المسلم، والتلميذ المسلم.

هذا ما يريده دعاة تجفيف الينابيع في ثقافة الأمَّة وتربيتها وتعليمها وإعلامها.

وسطيَّة الشَّيخ الغزالي واعتداله:

هذا الَّذي يهاجم الشَّيخ الغزالي ويقول: إنَّه هو الَّذي بذر بذور التطرُّف في الجزائر، وفي جامعة الأمير عبد القادر، وفي تليفزيون الجزائر، بالله عليكم هل يعقل أنْ يكِل رئيس جمهورية لرجل أنْ يتولَّى توجيه جامعة ناشئة يتولاها ليزرع فيها التطرُّف ويبذر فيها العنف؟

أيعقل أنَّ رئيس دولة ـ وهو الشاذلي بن جديد ـ يقول للشَّيخ الغزالي: نريد أن تعلِّم شبابنا الإسلام الصحيح؛ بعيدًا عن تسيُّب المتسيبين، وتطرُّف المتطرِّفين؟

هل يُعقل أنَّ رئيس دولة يكلف إنسانًا يبذر العنف والتطرُّف في بلده، أهذا مِن العقل، أيعقل هذا؟!

هذا لا يُعقل أبدًا.

الشَّيخ الغزالي كان معروفًا بوسطيته واعتداله وتسامحه وعقلانيته، ولو خرج عن الوسطيَّة يومًا، فإنَّما يخرج عنها في اتجاه العقلانية، واتجاه التسامح والتساهل والتيسير، فكيف يُتَّهم الشَّيخ الغزالي بأنه هو الَّذي بذر التطرُّف؟

QaradawiBooks.com

لا أريد أنْ أتحدَّث عن نفسي لأكمل مشوار الشَّيخ الغزالي في بذر بذور العنف والتطرُّف في الجزائر، بالعكس الشَّيخ الغزالي كانت مهمَّته في الجزائر مقاومة التطرُّف.

وهذا ما ذكره في كتبه أنَّه لاقى ما لاقى من المتطرِّفين في المملكة حينما كان في جامعة أم القرى، وهنا في قطر حينما عاش بيننا ثلاث سنوات في كلية الشَّريعة في جامعة قطر، وكنت عميدها في ذلك الوقت، وكذلك في الجزائر، وقد بقي فيها خمس سنوات قاسى ما قاسى من المتشدِّدين والمتطرِّفين، وكان مهمَّته: أن يبذر بذور الاعتدال والتسامح، والحوار بالعقل، الفكر مع الشرع والنقل، هكذا كان الشَّيخ الغزالي.

لو كان الشَّيخ الغزالي متطرِّفًا ما دعته البلاد العربيَّة والإسلاميَّة إليها، كان يُدعى في كلِّ سنة هنا في رمضان إلى قطر، وكان يُدعى إلى الكويت، وكان يُدعى إلى السعودية، وقد نال جائزة الملك فيصل العالميَّة لخدمة الإسلام، وقد وافاه الأجل حينما كان مدعوًّا في مهرجان «الجنادرية» وأصابه ما أصابه حينما سمع ما ينال الإسلام، وقد كان الرَّجل ينتفض انتفاضًا حينما يسمع أي كلمة تمسُّ الإسلام، يغضب ويزأر زأرة الليث، ولا يقف في وجهه أي أحد حينما يغضب للإسلام.

هذه الغضبة الأخيرة أجهزت عليه رَحِمَهُ اللَّهُ، فمات وكأنما السيف في يده، مات وهو شاهر سيفه في المعركة للدفاع عن الإسلام، عاش عمره للإسلام.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الغزالي نصير المستضعفين:

عاش الشَّيخ الغزالي منذ عرفناه شابًّا صغيرًا متخرِّجًا في الأزهر الشريف، يكتب بقلمه، ويخطب بلسانه، يدافع عن الطبقات الضعيفة الكادحة.

لا زلت أذكر كلماته في مقدمة كتابه «الإسلام والمناهج الاشتراكيَّة» وهو يدعو الفقراء والمستضعفين، ويقول: يا ضحايا الفقر والجوع والحرمان: هُبُّوا، إنَّ الشفاه الَّتي تأمر بإذلالكم يجب أنْ تُقص، وإنَّ الأوضاع الظالمة الَّتي تجتاحكم يجب أن تُقصى، وإنَّ الفراغ الَّذي خامر بطونكم وأفئدتكم يجب أن تنزاح غُمَّته إلى الأبد.

هذا هو الغزالي نصير المستضعفين في الأرض من أوَّل يوم، نصير المرأة الَّتي ظلمها النَّاس، من أوائل كتبه كتاب: «من هنا نعلم»، وقد ردَّ فيه على الشَّيخ خالد محمَّد خالد وكان صديقًا له، ولكنَّه حينما رآه انحرف عن الجادة وكتب كتابه «من هنا نبدأ»، وفيه هاجم الحكم الإسلامي، وهاجم فيه العدالة الإسلاميَّة، وسمَّاها: اشتراكيَّة الصدقات إلخ. وقف الشَّيخ الغزالي يردُّ عليه، ويبيِّن خطأه، ويذكر الصواب، فالحقُّ أحقُّ أنْ يتَّبع، ولا ينبغي للإنسان أن يخاف في الله لومة لائم.

جهاد الغزالي ضد الاستبداد السياسي:

وقف الشَّيخ الغزالي ضد الطغيان والاستبداد، كنَّا نحن في معتقل الطور سنة (١٩٤٩م)، وكان يحاضرنا يلقي علينا محاضرات في موقف الإسلام من الاستبداد السياسي، ونحن في المعتقل، لم يخف أن يتجسَّس علينا متجسِّسون، وأن ينقل ذلك ناقلون، ويقول: إن هذا كلام ضد الحكومة، لم يبال بذلك، وظهرت بعد ذلك هذه المحاضرات في كتاب «الإسلام والاستبداد السياسي».

QaradawiBooks.com

من هم عداة الشَّيخ الغزالي؟

وقف الشَّيخ الغزالي طول عمره مناديًا بالإصلاح، مناديًا بالتجديد، منوهًا بالشُّورى الَّتي ينبغي أن تكون أساس الحياة الإسلاميَّة ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشُّورى: ٣٨] مقاومًا للطغيان والاستبداد أيًّا كان مصدره، مناديًا بوحدة المسلمين في العالم.

هكذا كان الشَّيخ الغزالي، ولذلك رحَّب به المسلمون في أقطار الأرض مشارقها ومغاربها، أينما ذهب الشَّيخ الغزالي رحَّب به دعاة الإسلام، وعلماء الإسلام في كلِّ مكان، فكيف يقول هؤلاء عن الغزالي ما قالوه.

كان الغزالي يتمثَّل رَحِمَهُ اللَّهُ ببعض أبيات من أبيات ديوان «الحماسة» يقول:

لقد زادني حبًّا لنفسي أَنَّني بغيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غير طائلِ
وإنِّي شَقِيٌّ باللئامِ ولا ترى شقيًّا بهم إلَّا كريمَ الشَّمَائِلِ[1]

إنِّي بغيض إلى كلِّ امرئ غير طائل، ليس له طول ولا فضل.

وكان يحكي ما يقوله بعض السَّلف: حسبك نصرًا أن خصمك يحارب الله ورسوله، الَّذين يخاصمون الشَّيخ الغزالي مِن هؤلاء العلمانيين واللادينيين إنَّما يحاربون الله ورسوله، ويقفون ضد الشَّيخ الغزالي؛ لأنَّه وقف مدافعًا عن الإسلام، عن دين الله، وعن سُنة رسول الله، وعن كتاب الله، لم يَهن يومًا، ولم يُلقِ السَّلام يومًا، بل ظلَّ مصابرًا مرابطًا مثابرًا إلى آخر رمق في حياته.

(١) من شعر الطرماح بن حَكِيم. انظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه صـ٢٤٧، نشر مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

QaradawiBooks.com

إنَّنا ـ يا أيَّها الإخوة الأحبَّة ـ نعجب لهؤلاء النَّاس المتطاولين، الَّذين يملكون ألسنة طويلة، ويملكون عقولًا قصيرة، ويملكون هممًا واهنة.

هؤلاء النَّاس الَّذين يرضخون للغرب، وللثقافة الغربية، ولتيارات التغريب، ويهاجمون الدعاة الأصلاء الَّذين يريدون لهذه الأمَّة أن تستمسك بالعروة الوثقى، أن تبقى على الصراط المستقيم، صراط الَّذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين.

نعجب لهؤلاء المتطاولين بالباطل الَّذي يقفون في وجه الجبال الشُّم، ونقول لهم ما قاله الشاعر قديمًا:

يا ناطِحَ الجبلِ العالي ليُوهِنَهُ أشفِقْ على الرَّأْسِ لا تُشْفِقْ عَلَى الجَبَلِ[1]

لن تستطيع أنْ تنطح الجبل، أشفِق على رأسك إذا نطحت الجبل، هؤلاء يناطحون الجبال، ولا يمكن أن ينتصروا في المعركة.

المستقبل للإسلام:

نحن مؤمنون بأنَّ الغد لهذا الدين، والمستقبل لهذا الإسلام، وأنَّ هذه الأمَّة إلى خير في جملتها، الصَّحوة الإسلاميَّة ظهرت ولا يمكن أن تخمد جذوتها، الشَّيخ الغزالي قام في الجزائر وهيَّأ الله له صحوة عظيمة، لا شكَّ أنَّه كان أحد الأعمدة الَّتي اعتمدت عليها هذه الصَّحوة، والَّتِي أثمرت ثمراتها، امتدت جذورها في الأرض، وبسقت فروعها في السماء؛ لأنَّها كانت ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

(١) من شعر الحسين بن حميد. انظر: جامع بيان العلم وفضله (١١١٣/٢)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

كنت أخطب في الجزائر في مثل صلاة الجمعة هذه، فيحضر في المسجد عشرات الآلاف، بعض المساجد من ثلاثة أدوار، تمتلئ الأدوار الثلاثة، والساحات حول المسجد، والطرقات والميادين المؤدِّية إلى المسجد، حتَّى تتعطَّل المواصلات.

صحوة لم أر لها نظيرًا، وكان المفروض أن تؤتي هذه الصَّحوة أُكلها، وتحقِّق أهدافها، وأن يؤدِّي اختيار الشَّعب إلى مَن يختارهم الشَّعب، ولكن ـ للأسف ـ وقفت القوى المعادية للإسلام ضد هذه الصَّحوة، وضد نتائجها المفترضة.

صناديق الانتخاب أدَّت إلى اختيار مجموعة من النَّاس هذا هو حقُّهم، الشَّعب اختار فعليه أن يتحمَّل المسؤولية، ولكن هؤلاء وقفوا في وجه الشَّعب، وقطعوا عليه اختياره، قطعوا عليه الطريق وقالوا له: أنت لست أهلًا للاختيار، أنت لست راشدًا، أنت في حاجة إلى وصاية، حينما اختار غير الإسلاميين كان الشَّعب راشدًا، فلما اختار الإسلاميين كان الشَّعب طفلًا، وكان الشَّعب في حاجة إلى وصاية، هؤلاء يكيلون بكيلين، معاييرهم مزدوجة، لا يعرفون الحقَّ الصحيح، ولا العدل الصريح.

ماذا نريد من الصَّحوة؟

إنَّنا نعتقد: أنَّ الإسلام قادم إن شاء الله، كلُّما ننصح به أهل الإسلام، ودعاة الإسلام: أنْ يحتكموا إلى الفهم الصحيح للإسلام، ألا تشغلهم الجزئيَّات عن الكلِّيات، ولا يشغلهم الشكل عن الجوهر، ولا تشغلهم النوافل عن الفرائض، ولا تشغلهم المكروهات عن المحرَّمات، لا تشغلهم الصغائر عن الكبائر، لا يشغلهم المختلَف فيه عن المتَّفق عليه.

QaradawiBooks.com

نحن في حاجة إلى فهم صحيح لهذا الدين في ظلِّ التسامح، نحن أولى النَّاس بالتسامح، نحن لا نعادي إلَّا من يعادينا، ولا نحارِب إلَّا من يحاربنا، وإلا فأيدينا مبسوطة لكلِّ النَّاس، وقلوبنا مفتوحة لكلِّ النَّاس، نسالم من سالمنا، ونسامح من سامحنا، ولا نفرِّط في ذرة من ديننا، لا نبيع ديننا بملك المشرق والمغرب.

هذا الدين أمانة في أعناقنا، وقد كلَّفنا الله تعالى أن نقوم على حراسة هذا الدين، وعلى حياطة هذا الدين إيمانًا به، واتِّباعًا له، ودعوة إليه، وغِيرة على حُرماته، وجهادًا في سبيله، وسنظلُّ كذلك حتَّى نلقى الله تعالى.

الشَّيخ الغزالي أحد مجدِّدي الإسلام:

يا أيُّها الإخوة:

كان الشَّيخ الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ إمامًا من أئمة هذه الأمَّة، كان من المجدِّدين لهذا الدين، سمَّاه أبوه محمَّد الغزالي، محمَّد الغزالي هو اسمه، ليس لقبه الغزالي، بل سمَّاه أبوه محمَّد الغزالي أحمد السقا، أبوه اسمه: الشَّيخ أحمد السقا، لكن أباه أراد أن يكون لهذا الصبي ـ أو لهذا المولود ـ نفحة من الإمام محمَّد بن محمَّد بن محمَّد أبو حامد الغزالي حجَّة الإسلام السابق، فسمَّاه محمَّد الغزالي تيمنًا بهذا.

وفعلًا كان غزالي عصره، وكان أحد المجدِّدين لهذا الإسلام في القرن الرابع عشر الهجري، كما قال النَّبي ﷺ: «**إنَّ الله يبعث لهذه الأمَّة على رأس كلِّ مائة سنة من يجدِّد لها دينها**»[1].

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٢٢/٤)، وسكت عنه ولكن نقل تصحيحه المناوي في فيض القدير (٢٨١/٢)، فلعلَّه سقط من المطبوع، وسكت عنه الذهبي. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

أنا من أنصار أنَّ «مَـــن» في هذا الحديث للجمـــع وليس للمفرد، «مَن» تصلح للفرد وتصلح للجمع ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النَّحل: ٩٧] فأعاد عليها الضمير بالجمع، ولذلك الَّذين يجدِّدون الدين هم جماعة، جماعات من النَّاس، وليس فردًا واحدًا.

ولا شكَّ أنَّ الشَّـــيخ الغزالي أحد هؤلاء الأفذاذ الَّذين أسهموا بجهدٍ مشكورٍ في خدمة الإسلام، وتجديد الإسلام.

نســـأل الله تعالى أن يغفر للشَّـــيخ الغزالـــي ويرحمـــه، ويتقبَّله في الصالحين، ويجزيه عمَّـــا قدَّم لدينه ولأوطانه ولأمَّتـــه خير ما يجزي به العلمـــاء العاملين والدعـــاة الصادقيـــن، وأن يبوء أولئـــك المتطاولون المتبجِّحون بإثمهم، ويجزيهم الله بما يستحقُّون، اللهمَّ آمين.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

تحذير لأهل فلسطين من التفرُّق والفتنة:

أتابع ـ ويدي على قلبي ـ ما يجري من أحداث على أرض فلسطين الحبيبة، فأنا من أحرص النَّاس على ألا يواجه الفلسطيني الفلسطيني، وألا تمتد يد الفلسطيني إلى أخيه، وألا يوجَّه السِّلاح إلى صدر فلسطيني آخر.

ما أحوج هذا البلد الكريم إلى أن تتحد قواه في مواجهة ذلك الاحتلال الصهيوني الغاشم، الَّذي يراوغ ويلاوع ويكايد، ويأخذ ولا يعطي شيئًا، ويريد هؤلاء: أن يشغلونا بعضنا ببعض، أن يشغلونا بأنفسنا؛ ليستفيدوا من وراء الخلاف والصراع.

هم الوحيدون الكاسبون والمستفيدون من صراع القوى الفلسطينية بعضها مع بعض، ويجب على إخوتنا الفلسطينيين أن يدركوا هذه الحقيقة، وما أظنها تغيب عنهم؛ فهي لا تغيب عن عاقل أبدًا.

نريد للإخوة الفلسطينيين ما قاله الشَّيخ أحمد ياسين، فقال: لن تمتد يدنا بالعدوان إلى أحد من أهل فلسطين، مهما أُصبنا، ومهما نزل بنا، سنظلُّ كخير ابني آدم الَّذي قال له أخوه: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾، فقال: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨].

لا ينبغي أن نستسلم لهذه التيارات الَّتي تريد أن تصبَّ الزيت على النَّار، فقد قيل: إنَّ إسرائيل، وإنَّ رصاصات إسرائيل هي الَّتي قتلت اثنين من الفلسطينيين أوَّل أمس.

QaradawiBooks.com

قال بعضهم: إنَّ ذلك من السلطة الفلسطينية، وقال بعضهم: إنَّ هذا من إسرائيل، ولا يُستبعد ذلك.

لا نستبعد على إسرائيل أن تعكِّر المياه لتصطاد، وأن تصطاد في الماء العكر، وأن تنتهز الفرصة لتزيد الفُرقة، وتعمِّق الفجوة، وتوسِّع الفجوة.

هذا ما ينبغي أن نحذر منه.

إنَّنا حراص على أي دم فلسطيني أن يراق، ولذلك حزنت كلَّ الحزن حينما قتل اثنان من الفلسطينيين، وحزنت كلَّ الحزن حينما قرأت اليوم: أن (٨٥) جُرحوا في رفح، ولا زلت أخاف أن ينفَّذ حكم الإعدام في الأخ العطار الَّذي حكمت المحكمة بإعدامه، وأملنا في الرئيس الفلسطيني أن يلقي الأمر بشجاعة وحِكمة ويعرف قدر هذا الموضوع، ويطفئ النَّار في مهدها قبل أن يتطاير شررها ويتفاقم خطرها، وتأتي بأسوأ العواقب والنتائج.

أسأل الله أن يسدِّده، وأن ينير طريقه، فلا يوافق ولا يصدِّق على هذا الحكم بالإعدام، ويتفادى الخطر قبل وقوعه.

اللهمَّ آمين.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٦

استنكار رواية «وليمة لأعشاب البحر»[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

همٌّ ثقافي يضاف إلى همومنا:

خلال الأسابيع الماضية كانت أمَّتنا مشغولة بقضيَّة ضُمَّت إلى قضاياها، وهمٍّ أُضيف إلى همومها، هَمّ ثقافي يتعلَّق بالثقافة والأدب، إضافة إلى الهموم الَّتي تتعلَّق بالاقتصاد والسياسة والمصير.

هذا الهمُّ الثقافي هو تلك الرواية الَّتي نشرتها وزارة الثقافة المصرية، وهي الرواية الَّتي تسمَّى: «وليمة لأعشاب البحر» ـ ولا أعرف معنى هذا العنوان ـ لكاتب سوري لم نسمع عنه من قبل، ولكن هذه الرواية وما جرى حولها شهرته، وجعلته على كلِّ لسان، وعلى كلِّ قلم، وفي كلِّ صحيفة، وفي كلِّ قناة فضائيَّة.

هذه الرواية الَّتي تحدَّث عنها المتحدِّثون، ونقدها الناقدون لم أشأ أن أتحدَّث عنها حتَّى أراها؛ فعلماؤنا قالوا: الحُكم على الشيء فرع عن

(١) أُلقيت في جامع عمر بن الخطَّاب بالدوحة، بتاريخ ١٥ صفر ١٤٢١هـ الموافق ١٩ مايو ٢٠٠٠م.

نسخة ثانية
QaradawiBooks.com

تصوُّره، لا يجوز أن نتكلَّم عن شيء كهذا ممَّا ذكره النَّاس عنه، وإن كان هؤلاء النَّاس ثقات.

وطلبت من أحد الإخوة أن يحضر لي نسخة من هذه الرواية، وقرأت ما يقارب نصفها، أُغالب نفسي وأنا أقرؤها؛ فهي من أوَّل صفحة تُقزِّز نفس الإنسان المؤمن؛ رواية لا تعرف شيئًا اسمه «الحرام»، ولا تعرف شيئًا اسمه «العيب»، ولا تعرف «الله» ولا تقدره حقَّ قدره.

ولا عجب فقد كتبها إنسان نصيري العقيدة، شيوعي الفكرة، وعقيدة الإنسان الدينيَّة والأيديولوجيَّة تنضح على فكره، وتنضح على كتابته، وتنضح على أسلوبه، وكلُّ إناء بالَّذي فيه ينضح، هذه حقيقة.

ولكنِّي سأتجاوز عن عقيدة الرَّجل الدينيَّة والأيديولوجيَّة ونُحاكِم النصَّ الَّذي كتبه.

لم أستطع أنْ أستمرَّ في أكثر من النصف، وقد بلغ الاشمئزاز مني مبلغه، واكتفيت بتصفُّح الباقي، وكلَّما تصفَّحت هذه الرواية وجدت فيها أشياء وأشياء ينكرها الدين، وينكرها الخَلق، وينكرها العقل، وتنكرها الأعراف، كلُّ ما فيها ـ والعياذ بالله ـ منكر.

وجدت فيها أكثر ممَّا انتقد عليها الناقدون، هناك أشياء كثيرة في السطور وما بين السطور.

هل يعبِّر أشخاص الرواية عن فكر الكاتب؟

قالوا: إنَّ ما ذكره الكاتب إنَّما ذكره على ألسنة شخصيات الرواية!

ونحن نعرف أنَّ الرواية قصة يتخيَّلها الكاتب، وقد يكون لها أصل في الواقع، وقد لا يكون.

QaradawiBooks.com

هو الَّذي يرسم صورتها: مبدأها ونهايتها وعُقدتها وحلّها، وهو الَّذي ينشئ شخصياتها ويُنطِق هذه الشخصيات بما يريد أن تنطق به، تعبِّر عمَّا في نفسه، أو تعبِّر عن هذه الأشخاص، وإذا كان له فكرة معينة فهو يجريها على لسان أحد الأشخاص، ويقوِّي هذه الفكرة، ثمَّ يأتي الردُّ عليها من الطرف الآخر ضعيفًا، أو لا يأتي ردٌّ عليها قطّ.

هذه حيلة نعرفها عند القصَّاصين والروائيِّين.

بعضهم يقول: يا أخي، ألم يذكر الله تعالى أقوال المشركين والدهريين واليهود والنَّصارى وغيرهم؟

قلت له: نعم، يذكرها ولكنَّه يردُّ عليها، انظر إلى مناظرة إبراهيم لنمرود: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

الرَّجل ينكر الألوهية ويدَّعي أنَّه هو الإلٰه وهو الربُّ الَّذي يحيي ويميت، ولكن إبراهيم أفحمه، قال له: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾.

لا مانع أن تذكر آراء الآخرين، ولكن أعط للخصم من القوَّة ما يردُّ به على صاحب الفكرة المناوئة للدين، والمناوئة للألوهية، والمناوئة للأخلاق.

هذا الكتاب لم يفعل ذلك.

QaradawiBooks.com

حرية الإبداع وحدودها:

قالوا: إنَّ الكاتب حرٌّ في إبداعــه، ومن حقِّ الأديب المبدع أن يقول ما يشاء!

ولكن هل هذه حقيقة؟

هذا يجرُّنا إلى قضيَّة حدث فيها خلاف منذ نحو ثلث قرن في مصر: هل الأدب للأدب أم الأدب للمجتمع؟ هل الفن للفن أو الفن للحياة؟

ولا شكَّ أنَّ الفن للحياة، والأدب للمجتمع.

الأديب لا يكتب لنفسه، وإنَّما يكتب لقومه، لأهله، لأمَّته، وإلا معنى هذا كان الأدب مفصولًا عمَّا حوله، كان الأديب يعيش في صومعة لنفسه ويكتب ضد ما يؤمن به قومه.

أهذا هو الأدب؟

ثمَّ إنَّ حرِّية الإبداع هــل تعني حرِّية مطلقة؟ هل فــي الوجود حرٌّ حرِّية مطلقة؟

لا، إنَّ الســيارات في الطريق محكومة بقوانين المرور، والبواخر في المحيطات الهائلة محكومة بخطوط الســباحة، والطائرات في الجو، في السماء، في الفضاء محكومة بخطوط جوية ينبغي أن تسير فيها، والكواكب والنُّجوم في أفلاكها محكومة بمداراتها ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

لو أنَّ باخرة خرجت عــن الخطِّ ربما اصطدمت بجبل من الثلج، لو أنَّ طائرة خرجت عن خطها ربما اصطدمت بطائرة أخرى.

كلُّ شيء في الوجود له أصول تحكمه، والإنسان له أصوله.

QaradawiBooks.com

الحيوان حرٌّ يفعل ما يشاء، يستطيع الحمار أنْ يبول في الطريق وأمام النَّاس، ولكنك ـ أيَّها الإنسان ـ العاقل لا تستطيع أن تبول في الطريق.

الإنسان تحكمه أعراف وأخلاق وقيَم وعقائد، ليس الإنسان حرًّا في أن يفعل ما يشاء.

هل من حقِّ الإنسان أن يقف عاريًا في مَيْدَان من الميادين ويقول: أنا حرٌّ؟

لو فعل ذلك لرجمه النَّاس بالحجارة حتَّى الأطفال وحتى الشُّيوخ وحتى النِّساء.

فإذا كان من حقِّ الإنسان ألا يعرِّي جسده أمام الجمهور، فهل من حقِّه أنْ يعرِّي أدبه ويعرِّي فنَّه أمام النَّاس؟

إنَّ العُري الفضائحي الَّذي في هذه الرواية، في أهدافها وأسلوبها وكتابتها، أشدُّ من العُري الجسدي.

هل من حقِّ الإنسان المبدع أنْ يتجرَّأ على الله، وعلى رُسله، وعلى كُتبه، وعلى اليوم الآخر، وعلى القيَم والدين والأخلاق، كما يفعل هذا الكاتب؟

أيستطيع أنْ يقول ذلك لرئيس دولته ويتجرَّأ عليه؟ أم أنَّ الدين و«الله» والكُتب والرُّسل أصبحت «الحائط الواطي» الَّتي يتجرَّأ عليها كلُّ النَّاس؟!

وصدق الشاعر وليد الأعظمي حينما قال في إحدى قصائده:

يُسَاقُ للسِّجْنِ إنْ سَبَّ الزَّعِيمَ وَإِنْ سَبَّ الْإِلَهَ فَإِنَّ النَّاسَ أَحْرَارُ[1]!

(١) ديوان الزوابع لوليد الأعظمي الأعمال الشعرية الكاملة صـ١٢٠، قصيدة ربيع تمُّوز، نشر دار القلم، دمشق، ط ٤، ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

إذا سبَّ أحد الزعيم سيق إلى السجن، أمَّا إذا سبَّ الله فالنَّاس أحرار، يا أخي تريد أن تقيِّد النَّاس في حرياتهم فلا يسبُّوا الله؟!

أهذه هي حرية الإبداع أن يُسف الإنسان وينقل أحطَّ ألفاظ الشوارع، وأحطَّ عبارات السفلة من النَّاس، ينقلها بحذافيرها بألفاظها الفاضحة في كتابه الَّذي يُنشر على النَّاس؟

نحن في خطاب بعضنا لبعض وإن كنَّا أصدقـاء أو أهلًا نتعفَّف أن نذكر هذه الألفاظ القبيحة العارية فيما بيننـا، فكيف يأخذ الكاتب هذه الألفاظ وينقلها في كتابه؟

أنا أستحيي أن أذكر هذه الألفاظ وهذه العبارات، أستحيي أن أذكرها وهي كثيرة، ألفاظ عارية فاضحة قبيحة.

الكاتب المبدع بين الإسفاف والرُّقي:

الكاتـب المبدع الحقُّ هو الَّـذي تكون له مصفـاة، يصفِّي هذه الألفاظ وينقل مضمونها إلى قارئه بما لا يجرح مشاعره، ولا يخدش الحياء العام.

إنَّ مثل هذه الروايات يقرؤهـا المراهق، وتقرؤها المراهقة، وتقرؤها الفتاة العذراء، ويقرؤها النَّاس في بيوتهم، فلا بدَّ أن نراعي الحياء العام.

هل من مهمَّة الأديب أنْ يرتقي بالسـفلة من النَّـاس إلى العلية؟ أم ينزل بالعلية إلى حضيض السـفلة، يهبط بالمجتمع إلى الدرك الأسفل حتَّى يتداول هذه الألفاظ القبيحة الَّتي يذكرها الكاتب؟

أي إبداع هذا الَّذي يذكرونه؟

QaradawiBooks.com

لقد رأينا كثيرًا من القصَّاصين الكبار يذكرون النواحي الجنسية ويتحدَّثون عن الزناة والشذاذ واللواطين وتجار المخدرات ومدمني المخدرات، ولكنَّهم لا يذكرونها بهذه الألفاظ المُسِفَّة العارية.

رأينا ذلك في قصص محمود تيمور وتوفيق الحكيم ومحمَّد عبد الحليم عبد الله والطيب صالح ونجيب الكيلاني ويوسف السِّباعي وإحسان عبد القدوس، رغم أنَّهم ذكروا أشياء كثيرة تحدث في الفراش، ولكن لم يجرؤ أحدهم ولم يَلِق بأحدهم أن ينزل إلى مثل هذا الدرك.

قالوا: إنَّ في أدبنا أشياء مكشوفة مثل ما قاله امرؤ القيس ونحوه، ومثل ما ورد في خمريات أبي نواس أو في التغزُّل في الذكور.

لكن هذه الأشياء في أدبنا لا تُمَثِّل الاتجاه العام، وليس لها أثر في مجرى الحياة؛ لأنَّها كانت أشياء خاصَّة تتداول بين النَّاس في مجالسهم، أو يقرؤها بعض النَّاس في كتبهم، وكانت الكتب محدودة الانتشار؛ لأنَّها كانت تنسخ نسخًا وغالية الثمن، فكان الَّذين يقرؤونها محدودين جدًّا، ومع هذا لم يخلَّد امرؤ القيس بقوله في معلَّقته:

تقُولُ وقَدْ مَالَ الغَبِيطُ[١] بِنَا معًا عقرتَ بعيري يا امرأَ القَيْسِ فانْزِلِ[٢]

لم يخلد امرؤ القيس بمثل هذا الإسفاف المكشوف، إنَّما خلَّد امرؤ القيس بقصائد أخرى وأبيات أخرى كقوله:

(١) الغبيط: الرَّحل، وهو للنِّساء يُشدُّ عليه الهودج، والجمع: غُبُطٌ.

(٢) انظر: شرح ديوان امرئ القيس ويليه أخبار المراقسة صـ١٦٨، تحقيق حسن السندوبي وأسامة صلاح الدين ميمنة، نشر دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

فلو أنَّما أســعى لأدنى مَعِيشَــةٍ كَفَانِي ـ وَلَمْ أَطْلُبْ ـ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمــا أَسْــعَى لِمَجْــدٍ مُؤَثَّــلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ المَجْدَ المُؤَثَّلَ أَمْثَالِي[1]

كان امرؤ القيس في شــبابه رجلًا ماجنًا، حتَّى إنَّه حينما أُبلغ بقتل أبيه وكان في مجلس سُــكر قال كلمته الشــهيرة: اليوم خمر وغدًا أمر! نكمل مجلس الأنس إلى النهاية، لم يدع كأســه وشــرابه حتَّى بعد أن عرف بمقتل أبيه.

لماذا نذكر مثل هذا، ولا نذكر ما قاله امرؤ القيس حينما قال:

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيْقَــنَ أَنَّــا لَاحِقَــانِ بِقَيْصَــرَا
فَقُلْــتُ لَــه: لَا تَبْكِ عَيْنُــكَ إِنَّمَا نُحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا[2]؟

لماذا لا يذكر هؤلاء قول عنترة العبسي:

أَغْشَــى فَتَاةَ الْحَيِّ عِنْــدَ حَلِيلِهَا وَإِذَا غَزَا فِي الْجَيْشِ لَا أَغْشَــاهَا
وأَغُضُّ طَرْفِي إِنْ بَدَتْ لِي جَارَتِي حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِــي مَأْوَاهَا[3]؟

هذا من شــعر الجاهليَّة، شعر عنترة، شــعر زُهَيْر بن أبي سُلْمى، شعر هؤلاء.

الاتِّكاء على الثقافة الشاذَّة:

لماذا يريــدون أنْ يتكئوا على الجانب الســلبي فــي التراث، على الأشياء الشاذَّة ليحاكوها، ويجعلوا منها أسوتهم؟

(١) شرح ديوان امرئ القيس ويليه أخبار المراقسة صـ١٨٨.
(٢) شرح ديوان امرئ القيس ويليه أخبار المراقسة صـ١٠٦، ١٠٧.
(٣) شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي صـ٢٠٨، تحقيق مجيد طراد، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

كلُّ ثقافة في الدُّنْيا فيها أشياء شاذَّة، ولكن هذه الأشياء الشاذَّة ينبغي ألَّا تكون هي الإمامــة للنَّاس، هي نقطة ضعــف، فينبغي أن توضع في موضعها، وتُحجم في محلِّها، ولا تُعطى أكثر من مساحتها.

هؤلاء الَّذين يدَّعون الإبداع، أي إبــداع في التطاول على الله تعالى، والتطاول على كُتبه، وعلى القرآن الكريم؟

هم لا يتطاولون على كلِّ الكتب ولا على كلِّ الرســل! ولو حصل تطاول على التــوراة أو الإنجيل أو على المســيح ﷺ ما جرؤت وزارة الثقافة في مصر أن تنشر هذا!

إنَّها تراعي خواطر المَسيحيِّين! أمَّا المســلمون، أمَّا الأكثرية هؤلاء فليس لهم وزن، وليس لهم قيمة ولا اعتبار!

أي هوان بهذه الأمَّة: أنْ تُهان مقدَّساتها ولا تغضب لربِّها؟!

هل طلاب الأزهر ظلاميون؟!

لقد عابوا على شــباب الأزهر، على طلابه وطالباته أن غضبوا لهذا الدين! وهل يُلام الإنسان إذا غضب لدينه؟

إذا سرت في الشارع ومعك زوجتك أو ابنتك أو أختك، ثمَّ اجترأ عليها واحد من أولئك الفاســقين فنبذها بكلمة نابية جارحة، ألا تغار لأختك أو لابنتك أو لامرأتك؟ ألا يثــور الدم في عروقك؟ ألا تقف لهذا بالمرصاد؟

هذا ما يفعله الإنســان الحرُّ، الشــريف لا يقبل أن يُهان في عِرضه، وربَّما دخل معركة ليس معه أسلحتها، ولكنَّه مضطر أن يدافع عن عِرضه.

QaradawiBooks.com

أكان الدين أهون على الإنسان من العِرض؟

أكان الله تعالى وقرآنه ونبيه محمَّد ﷺ أهون لدى الإنسان المسلم من الغيرة على امرأته وابنته وأخته؟

لقد كان طلبة الأزهر وطالباته معذورين حينما سمعوا ما سمعوا، وقرؤوا ما قرؤوا.

قالوا: إنَّهم لم يقرؤوا هذا!

وهل يجب أن يقرأ جميع طلاب الأزهر وطالباته هذه القصة حتَّى يغضبوا من أجلها؟

لقد رأينا في «الأهرام» كاتبًا يدَّعون أنَّه تقدمي يدافع عن هذه الرواية ويقول: أنا لم أقرأها!

هو لم يقرأها، إنَّما يدافع عن هذا الخطِّ الَّذي يسمُّونه: «الخط التنويري»!

قال وزير الثقافة: إننا صار لنا بضع عشرة سنة ونحن ننشر هذه الثقافة المستنيرة لنُقاوم بها ثقافة الظلاميِّين الرجعيِّين السلفيِّين!

أنا وأنت وأنتم أيُّها الإخوة ظلاميُّون! كلُّ من يتمسَّك بكتاب الله وسُنَّة رسوله وبفهم القرون الأولى من هذه الأمَّة وهم خير القرون، كلُّ هؤلاء ظلاميون! أنا ظلامي، وأنت ظلامي، الأزهر ظلامي، شيخ الأزهر ظلامي، مجمع البحوث في الأزهر ظلامي، رئيس جامعة الأزهر ظلامي، اللجنة الدِّينيَّة في مجلس الشَّعب ظلامية، جريدة الشَّعب ظلامية، حزب العمل ظلامي، الجمعيات الإسلاميَّة في مصر كلُّها ظلامية، خطباء المساجد على المنابر ظلاميُّون!

QaradawiBooks.com

من هم إذن أهل النُّور إذا كان هؤلاء جميعًا ظلاميِّين؟

وزير الثقافة وحده هو الَّذي يحمل النُّور، الثقافة المستنيرة!

والثقافة المستنيرة هنا ـ أيُّها الإخوة، هي الثقافة الَّتي تسخر بالدِّين، وتستهين بالقيَم الدينيَّة، تسخر من الله، ومن رُسل الله، ومن كُتب الله.

وظهرت في ذلك كتب وقصص وروايات سكت النَّاس عليها دهرًا من الزمن، ثمَّ كان لا بدَّ أن يحدث الانفجار، إذا اشتدَّ الضغط وتوالى الضغط لا بد أن يولد الانفجار، ومن استُغضب فلم يغضب فهو حمار.

استُغضب النَّاس فغضبوا لدينهم، وأنا لا أرى في تظاهر الطلاب شيئًا منكرًا إذا كان تظاهرًا سلميًّا، يجب أن نعوِّد أمَّتنا ما تعودته أمم الحضارة من التظاهر السلمي.

كنَّا طلابًا في المعاهد الدينيَّة الابتدائية والثانوية وفي كليات الأزهر، وكنَّا نخرج نحتجُّ على كلِّ أمر يخالف الدين، أو كلِّ أمر يهتمُّ به المسلمون، وكلُّ قضايا المسلمين، خرجنا من أجل كشمير، من أجل تونس والجزائر ومراكش وسوريا ولبنان وفلسطين.

الطلاب هم نبض الأمَّة، لا يستطيعون أنْ يعيشوا بعيدًا عنها.

كلُّ ما نمنعه هو: التخريب أن يتحوَّل التظاهر إلى تخريب.

أمَّا التظاهر السلمي فلا مانع منه.

لقد رأينا النَّاس في «سياتل» بالولايات المتَّحدة أهل الشارع يخرجون ليحتجُّوا على تلك المنظَّمة الدولية الَّتي تبيح كلَّ شيء، وتذيب الفوارق والجمارك بين النَّاس، وتضغط على الدول الضعيفة لمصلحة الدول القوية إلخ.

QaradawiBooks.com

خرج النَّاس في «سياتل» واستطاعوا أن يعطِّلوا اجتماع ذلك المؤتمر العالمي، ولم يقل أحد: إن هؤلاء غوغاء، دهماء، مأجورون، يحرِّكهم غيرهم.

كذلك فعلوا في «واشنطن» وفي «باريس» وفي غيرها.

إنَّ من حقِّ النَّاس أن تغضب لدينها، خصوصًا الطلبة في الجامعات، هم أوعى النَّاس بهذه القضايا، وهم الَّذين يحملون الروح الثوريَّة، هم الَّذين يتأجَّجون من داخلهم، فمن حقِّهم أن يقولوا: لا، دون أن يدخلوا في تخريب أو يُستغلوا من الآخرين.

إنفاق مال الدولة على السَّفه:

ماذا أستطيع أن أقول ـ أيَّها الإخوة ـ أمام هذا الحدث؟

قد كان يمكننا أن نتغاضى عنه لو أن هذه الرواية نُشرت باسم صاحبها، أو على نفقته، أو حتَّى على نفقة دار نشر خاصَّة، أمَّا أن تَنشر هذه الرواية مؤسسة من مؤسسات الدولة، وزارة من وزارات الدولة تطبعها طبعة شعبية وتدعمها بأموالها، ستمائة وتسعون صفحة تُباع بأربعة جنيهات! لتعمِّمها على النَّاس جميعًا ليقرؤوها بثمن رخيص من أموال دافعي الضرائب، الشَّعب يدفع الضرائب، وهؤلاء يأخذون أموال الضرائب لينفقوها فيما يدمِّر عقائد الشَّعب، وقيَم الشَّعب، وأخلاق الشَّعب، وتقاليد الشَّعب.

كان يمكننا أن نسكت لو أن هؤلاء نشروا هذه الرواية على نفقتهم، ويحكم في ذلك القارئ.

وأنا من سياستي ألا أتحدَّث عن هذه الأشياء؛ لئلا أشهرها؛ كنت أتمنى أن لم يقف المسلمون من رواية سلمان رشدي هذا الموقف الَّذي

QaradawiBooks.com

نشرها في الآفاق وشـــهرها في العالمين، وطُبعت منها الملايين، ولكن هكذا يُقدَّر علينا.

لا يجوز لوزارة تحترم نفســـها، وتعمل من أجل الشـــعب: أن تنشر أشياء ضد قيَم الشَّعب وعقائد الشَّعب ومقدَّسات الشَّعب، هذا لا يجوز بحال من الأحوال.

ومن هنا كانت غضبة كلِّ المثقفين المسلمين، إلَّا طائفة ـ للأسف ـ إما إنَّها جهلت دينها وتراثها، وإما إنَّها باعت نفسها لما تنتفع به من وراء هذه الوزارة.

وأنا أعجب كلَّ العجب لبعض اللجان الَّتي تشكِّلها الوزارة تدافع عن مثل هذه الرواية الساقطة في مضمونها الساقطة في أساليبها.

من أوَّل هذه الرواية: الشُّرب والنِّساء والخمرة، وآخرها كذلك، حتَّى حينما تزوج الرَّجل العراقي بفتاته الجزائرية احتفلوا بشرب «الكونياك».

هذه هي الســـمة العامَّة في هذه الرواية، ليس فيها خشية لله، ولا توقير له، ولا اعتبار لحســـابه، ولا ليوم الجزاء، ولا للجنَّة والنَّار، بل هي تسخر من هذا كلِّه، سخرت من هذا في أماكن شتَّى وفي مواضع كثيرة، من ذلك:

ما جاء أنَّ الرَّجـــل كان يقول لتلك المرأة العاهـــرة الَّتي كان يصف جسدها وصفًا مكشوفًا: إنَّ الَّذي يقف بيني وبينك هو أنفك هذا.

قالت له: وماذا أفعل في أنفي؟ هذا خلقة ربي.

قال لها: ربك إذن فنان فاشل!

يعني: لا يحسن التصوير.

QaradawiBooks.com

الله تعالى يقول: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤، التغابن: ٣]، ﴿خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٧، ٨]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

وهذا يقول عن الله: فنان فاشل!

قالت اللجنة: إنَّه قال ذلك في مقام الدُعابة والمزاح!

يا عجبًا، هل هنا مقام دعابة ومزاح؟

الحديث عن الله ﷻ يدخل فيه المزاح؟!

الحديث عندنا يقول: «**ثلاث جدُّهنَّ جِدٌّ وهزلهن جِدٌّ: النكاح، والطلاق، والعِتَاق**»(١)، فكيف بالله تعالى؟

الله تعالى يقول في قوم من أمثال هؤلاء: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التَّوبة: ٦٥، ٦٦] قد كفرتم بهذا الاستهزاء بعد إيمانكم.

ليس هناك دُعابة ومزاح في شأن الله تعالى.

بل يقول هذا الإنسان في بعض مقاطع روايته: هؤلاء النَّاس يعيدوننا إلى الوراء مليون عام، هؤلاء النَّاس الَّذين يحكموننا بآلهة البدو وتعاليم القرآن في عصر الذرَّة والفضاء والعقل المتفجِّر هؤلاء «خراء»! مضطر أن أقول هذه الكلمة السخيفة.

وكلمة «آلهة» تتردَّد كثيرًا في كلام هذا الكاتب، إنَّه لا يؤمن بإله واحد، هناك آلهة، ويقول هنا: آلهة البدو، أي أنَّ الله خالق السماوات

(١) رواه أبو داود (٢١٩٤)، والترمذي (١١٨٤)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٢٠٣٩)، ثلاثتهم في الطلاق، وحسَّنه الألباني في إرواء الغليل (١٨٢٦)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والأرض هو إلٰه من آلهــة البدو ورثناه نحن عن بــدو العرب، وجاء به محمَّد من بدو العرب!

وأحب أن أذكِّر ـ أيُّها الإخوة ـ أنَّ الأمر قد فصل فيه مجمع البحوث الإسلاميَّة، مجمع البحوث الإسلاميَّة بالأزهر فصل في هذا الأمر وأصدر قراره، وهو الجهة العليا المتخصِّصة في هذا الأمر بحكم قانون تأسيســه، وبحكم فتوى مجلس الدولة الَّتي صدرت ســنة ١٩٩٤م، وجعلت من شأن الأزهر النظر في المؤلفات والمصنَّفــات وإعطاء حقِّ الترخيص أو رفض الترخيص لها؛ لأنَّ كلَّما يتعلَّق بالشأن الإسلامي هو من اختصاص الأزهر.

بيان الأزهر حول الرواية:

هذا الأزهر أصدر أوَّل أمس بيانه الَّذي أعلنه شــيخ الأزهر الشَّــيخ محمَّد سيد طنطاوي بوصفه رئيسًا لمجمع البحوث، وقال بعد الديباجة: إنَّه كلَّف اثنين من أعضائه المتخصِّصين بكتابــة تقريرين منفصلين عن هذه الرواية، وعُرض هذان التقريران على المجمع في جلســة استثنائية، ثمَّ قرَّر إصدار هذا البيان:

أولًا: إنَّ وزارة الثقافة الَّتي نشرت هذه الرواية لم تستطلع رأي الأزهر الشريف أو مجمع البحوث الإســلاميَّة، مع ما ورد فيها من أمور كثيرة تتَّصل بالإسلام والعقيدة والشَّريعة.

يعني: الأزهر لا يطلب أن تعرض عليه كلُّ رواية ولا كلُّ قصة، إنَّما قصة فيها الحديث عن الدين والألوهية والكتب واليوم الآخر والأخلاق في مواضع شتَّى أظن أنَّ وزارة مسؤولة لا يخفى عليها أن مثل هذا ينبغي أن يُستشار فيه الأزهر ويؤخذ رأيه.

QaradawiBooks.com

ثانيًا: إنَّ الرواية مليئة بالألفاظ والعبارات الَّتي تحقر وتهين جميع المقدَّسات الدينيَّة، بما في ذلك ذات الله تعالى والرسول ﷺ والقرآن الكريم واليوم الآخر والقيَم الدينيَّة، ومن ذلك أنَّها تستهزئ بذات الله مثل وصفه بأنه فنان فاشل[١].

وأنَّه نسي بعض مخلوقاته في الأهوار وغيرها من تراكم مشاغله، الَّتي لا تُعد في بلاد العرب وغيرها[٢].

وأنَّه أقام مملكته الوهمية في فراغ السماوات ليدخل في خلود ذاته بذاته[٣].

كما يفتري على الرسول ﷺ بأنه تزوَّج أكثر من عشرين امرأة ما بين شرعية وخليلة ومتعة، وأنَّه كان يتزوَّج من عذارى القبائل بُغية توحيدها[٤].

وأنَّه حرَّف في آيات القرآن الكريم ونسب إليه ما ليس منه كقوله: والله تعالى قال في كتابه: إذا بُليتم بالمعاصي فاستتروا.

كما أنَّ الرواية تحرِّض صراحة على الخروج عن الشَّريعة الإسلاميَّة، وعدم التمسُّك بأحكامها، وذلك بالدعوة إلى ضرورة الانفصال عن الدين والله والأخلاق والتقاليد والأزمنة الموحلة والجنَّة والجحيم الخرافيين وطاعة أولي الأمر والوالدين والزواج المبارك بالشرع ـ يجب الخروج على هذا كلِّه ـ وسائر الأكاذيب والطقوس الَّتي رسمتها ظهور الكذب «هذه عبارة الكاتب»[٥].

---

(١) صـ٢١٩، الطبعة المصرية.

(٢) صـ٢٥٧.

(٣) صـ٤٢٦.

(٤) صـ٤٣٦، ٤٣٧.

(٥) صـ٣٤٨.

QaradawiBooks.com

ثالثًا: إنَّ الرواية خرجت عن الآداب العامَّة خروجًا فاضحًا، وذلك بالدعوة إلى الجنس غير المشروع، واستعمال الألفاظ في الوقاع وأعضائه الجنسية للذكر والأنثى بلا حياء، ممَّا يعفُّ اللسان عن ذكرها وكتابة نصِّها حفظًا على الحياء العام الَّذي انتهكته الرواية.

رابعًا: إنَّ الرواية لم تكتف بذلك، بل حرَّضت صراحة على إهانة جميع الحكَّام العرب موصوفين بأقبح وأقذع الأوصاف، ممَّا يعفُّ المقام عن ذكره.

خامسًا: اتَّضح لمجمع البحوث الإسلاميَّة من كلِّ ما سبق أن ما ورد برواية «وليمة لأعشاب البحر» لمؤلفها «حيدر حيدر» خروج عمَّا هو معلوم من الدين بالضرورة، وانتهاك للمقدَّسات الدينيَّة والشرائع السماويَّة والآداب العامَّة والقيَم القوميَّة، ونشر الفتن، وزعزعة تماسك وحدة الأمَّة الَّتي هي الركيزة الأساسية لبناء الدولة.

ويقع على عاتق من نشروا هذه الرواية دون استطلاع رأي أهل الاختصاص المسؤولية الكاملة عن هذا التجاوز والآثار المترتبة عليه دينيًّا واجتماعيًّا وذلك على النحو الموضَّح تفصيلًا بالتقريرين المقدَّمين من عضوي مجمع البحوث الإسلاميَّة المشار إليهما.

والله ولي التوفيق.

شيخ الأزهر:

إنِّي من هنا أُحيِّي الأزهر، وأُحيِّي شيخ الأزهر رغم اختلافي معه في قضيَّة الربا وغيرها، وأُحيِّي جامعة الأزهر ورئيس جامعة الأزهر، وأُحيِّي طُلَّاب الأزهر وطالبات الأزهر، وأُحَيِّي جريدة الشعب، وأحيي الكاتب

QaradawiBooks.com

الإسلامي محمَّد عباس الَّذي صرخ في الأمَّة يقول: لا إلٰه إلَّا الله، لا إلٰه إلَّا الله، من يبايعني على الموت؟

غضب الرَّجل لدينه، ما غضب لدنيا، وما غضب لمصلحة شخصيَّة، إنَّما غضب لربِّه، وربَّما في غمرة هذا الغضب خرجت منه بعض ألفاظ عن بعض النَّاس، ولكن الإنسان في حالة غضبه يقول ما قد لا يُحمد في بعض الحالات.

أحيي هؤلاء الَّذين وقفوا ضد هذا الكذب، أحيي الشاعر الكبير فاروق جويدة لما كتبه في جريدة الأهرام، أحيي المثقَّفين الشرفاء الَّذين وقفوا ضد هذا الباطل وضد هذا الفجور الأدبي، أحيي كلَّ الَّذين يحترمون عقائد الأمَّة ومقدَّساتها.

أُحَيِّي كلَّ هؤلاء النَّاس، وأقف معهم بكلِّ قوتي، أشدُّ أزرهم، وأسند ظهورهم، وأقول الحقَّ لا أخاف في الله لومة لائم.

نداء لرئيس مصر «مبارك»:

وننادي من هنا الرَّجل المسؤول الأول في مصر، وهو الَّذي يستطيع أن يضع حدًّا لهذا الأمر: الرئيس حسني مبارك، أناديه أن يوقف هذه الموجة الثَّقافيَّة الفاجرة عند حدِّها، وأن يعيد الثقافة إلى حقيقتها.

لا يجوز أن تنقسم الأمَّة قسمين: قسم مع الثقافة الغربية أو المستغربة، الصادة عن سبيل الله، والسائرة في ركاب الشيطان. وقسم مع القيَم الدينيَّة، مع الله، ومع رُسله، ومع كتابه، ومع الربَّانيين.

لا يجوز أن نقسِّم الأمَّة هذه القسمة، وإنَّما ينبغي أن تسير الأمَّة وخصوصًا في هذا الوقت الَّذي نعيش فيه في هذا الزَّمان التعيس، الزَّمان

QaradawiBooks.com

الَّذي استعلت فيه إسـرائيل وبغت فيه وطغت، ينبغي في هذا الوقت أن نضمَّ صفوف الأمَّة بعضها إلى بعض؛ لتقف كالبنيان المرصوص يشـدُّ بعضها بعضًا.

الكلمة لقائد المسـيرة في مصر: الرئيس حسني مبارك، أسأل الله أن يهديه سواء السبيل، وأن يوفِّقه لموقف الحقِّ الَّذي لا يخاف في الله لومة لائم.

أقول قولي هذا، وأسـتغفر الله تعالى لي ولكم، فاسـتغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

حول الخلاف بين الترابي والبشير في السودان:

لا أستطيع، وإن كنت مهمومًا بهذا الهمِّ الثقافي الَّذي شغلنا طوال هذه المدة، وبهذا الأمر الَّذي لا يُعتبر في الحقيقة من الثقافة، وإنَّما هو من السخافة، ولا يعتبر من الأدب، بل هو من قلَّة الأدب، لا أستطيع وأنا مشغول بهذا الأمر أن أنسى همومًا أخرى من هموم هذه الأمَّة.

وأول هذه الهموم الَّتي أرَّقتني في ليلي، ونغَّصت عليَّ نهاري، هو: هم إخوتنا في السودان.

هؤلاء الإخوة الَّذين احتضنوا المشروع الإسلامي في السودان، وأقاموا تجربة فذة، يعلِّمون فيها النَّاس أنْ يأكلوا ممَّا يزرعون، وأن يلبسوا ممَّا يصنعون، وأن يستهلكوا ممَّا ينتجون، ووسعوا آفاق التعاليم الإسلاميَّة لتربي الشخصيَّة المسلمة على أساس من الإسلام، وأنشؤوا جيش الدفاع الشعبي من الشَّباب المتطوِّع ليقف أمام الدبَّابات بروحه، بنفسه، قالوا: إذا كان هؤلاء الَّذين تؤيِّدهم أمريكا والدول الغربية معهم دبَّابات فإن عندنا «دبَّابين».

وقف الشَّباب الَّذين سمُّوا أنفسهم: «الدبَّابين» بأرواحهم، بأكفِّهم، برؤوسهم أمام الدبَّابات، وقف «الدبَّابون» أمام الدبَّابات.

هذه الثورة الإسلاميَّة تتعرَّض الآن لمحنة أي محنة، ولفتنة أي فتنة، فتنة الاختلاف والتفرُّق وفساد ذات البين، وهذه مصيبة أيُّها الإخوة: أنَّ

QaradawiBooks.com

الَّذين وقفـوا صفًّا واحدًا بالأمس يختلفون اليوم ويتفرَّقون شـذر مذر، هذه مصيبتنا.

فعلنا ذلك في أفغانستان، الَّذين حاربوا السوفيت، حاربوا الطيارات من الجو والدبَّابات في البر، حاربوا أكثر من مائة ألف جندي بأسلحتهم الحديثة المتطـوِّرة وانتصروا عليهم، هؤلاء لم ينتصروا على أنفسـهم، وظلُّوا يقاتل بعضُهم بعضًا، وإلى اليوم لم تنته المشـكلة، وإن كنَّا نرى بشائر نسأل الله أن تتمَّ إلى خير.

لماذا نحسن أن نموت في سبيل الله ولا نحسن أن نعيش معًا في سبيل الله؟

في حالة الجهاد والموت نقدِّم أرواحنا، فـإذا ما أردنا أن نعيش معًا اختلفنا وتفرَّقنا!

ألا يوجد عندنا معايير نحتكم إليها ونرجع إليها عندما نختلف؟

ألا نسـتطيع أن نقيم من الآليات ما يجعلنا يـردُّ بعضنا على بعض ويحاور بعضنا بعضًا ثمَّ نحكِّم الأغلبية؟

لماذا لم نستطع أن نفعل ما يفعله الغربيون؟

الغربيـون يختلف بعضهم مـع بعض، ويعـارض بعضهم البعض، ولكنَّهم لم يفعلوا ما نفعل نحن المسلمين.

إنَّ ما يجري في السودان الآن يتقطَّع له قلبي زفرات، وتذهب نفسي عليه حسرات، وتترقرق عيني له عبرات.

إنَّ ما يجري في السودان يفتِّت الأكباد، ويقطِّع نياط الفؤاد.

إنَّ الخلاف شرٌّ، والفرقة فتنة، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦].

QaradawiBooks.com

لقد قالوا: إنَّ الثورات كثيرًا ما تأكل أبناءها، ولكن كيف يكون الحال إذا أكلت الثورات آباءها؟ إذا أكلت الثورة آباءها ماذا بقي؟

إنَّنا نهيب بأبناء الثورة الإسلاميَّة في السودان أن يتقوا الله في أنفسهم، ويتقوا الله في مشروعهم، ويتقوا الله في المسلمين في العالم الَّذين طالما نُكبوا بما يرون من خسار المشروعات الإسلاميَّة واحدًا بعد الآخر.

إنَّني أهيب بالإخوة في السودان أن يتقوا الله في ذلك.

وأنا ذاهب إلى السودان إن شاء الله، وبعض الإخوة قالوا لي: لا داعي لأن تذهب، لقد أعلن البشير أنَّه لا يقبل الوساطة، وأعلن الترابي أنَّ أحدًا لا يقبل الوساطة، فلماذا تذهب؟

ولكنِّي أذهب استجابة لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحُجرات: ١٠]، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

والنَّبي ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصِّيام والصَّلاة والصدقة؟**»

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «**إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة**»[(١)] وفي رواية: «**لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٢٧٥٠٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الأدب (٤٩١٩)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥٠٩)، وقال: صحيح. وابن حبان في الصلح (٥٠٩٢)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤١٤)، عن أبي الدرداء.

(٢) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في صفة القيامة =

QaradawiBooks.com

إنَّنا نريـــد ألا تحدث هذه الحالقة، وأن يصلـــح الله ذات بين الإخوة هناك، وأن يهزم الشيطان الَّذي يريد أن يفرِّق جماعتهم ويشتِّت شملهم، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، والنَّبـــيُّ ﷺ يقول: «**لا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»[(١)].

عباد الله، يقـــول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وســـلِّم وبارِك على عبدك ورســـولك محمَّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

= (٢٥١٠)، وابن عبد البـــر في جامع بيان العلـــم وفضله (٢١٢٢)، وقـــال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

(١) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠)، عن عبد الله بن مسعود.

QaradawiBooks.com

١٧

الأمَّة الإسلاميَّة حقيقةٌ لا وهْم[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

يسعى الإسلام في أحكامه وشرائعه وتوجيهاته إلى تكوين الإنسان الصالح، وتكوين الأمَّة الصَّالحة، وحديثنا اليوم عن الأمَّة الَّتي يكوِّنها الإسلام.

الإسلام لا يكتفي بأن ينشئ فردًا صالحًا في نفسه، داعيًا لغيره، ولكنَّه يسعى إلى أن تكون هناك أمَّة تحمل رسالته إلى العالمين، تشيع رحمة الله العامَّة في النَّاس جميعًا، يعيش الفرد المسلم في ظلالها ملتزمًا بالإسلام عقيدة وعبادة ومنهاجًا للحياة.

الأمَّة الَّتي يريدها الإسلام أمَّة واحدة؛ فالإسلام يسعى إلى توحيد المعبود، وتوحيد العابدين، يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطَّاب بالدوحة، في ٧ شعبان ١٤٢٤هـ الموافق ٣ أكتوبر ٢٠٠٣م.

غير مرخص للطباعة
نسخة مؤقتة
QaradawiBooks.com

أمَّة واحدة ذات شعوب متعدِّدة، كذلك قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحُجرات: ١٣]، لهذا لا يحسن أن نقول: الأمم الإسلاميَّة، ولكن نقول: الأمَّة الإسلاميَّة، والشُّعوب الإسلاميَّة.

الأمَّة إسلاميَّة حقيقة لا وهم:

هناك أُناس يمارون في هذه الحقيقة ويقولون: لا توجد أمَّة إسلاميَّة، ولكن توجد أمَّة عربية، وأمَّة تركية، وأمَّة كردية، وأمَّة إيرانية، وأمَّة ماليزية، وأمَّة هندية، إلى آخر هذه الأمم.

ونحن نقول: إنَّ الأمَّة الإسلاميَّة حقيقة، وليست وهمًا.

أمَّة بمنطق الدين:

هي حقيقة دينيَّة؛ فإنَّ الله تعالى سمَّى المسلمين حيثما كانوا ـ عربًا كانوا أم عجمًا، بيضًا كانوا أو سودًا، في مشرق أو مغرب ـ سمَّاهم: أمَّة، أمَّة وسطًا، خير أمَّة أُخرجت للنَّاس، هذه الأمَّة صنعها الله، الله هو الَّذي جعلها، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ﴾ [البقرة: ١٤٣].

أمَّة أُخرجت للنَّاس، أخرجها مخرج، الله الَّذي أخرجها لتهدي النَّاس، وتنفع النَّاس، وتخرِج النَّاس من الظلمات إلى النُّور، الله سمَّاها: أمَّة، هذه الأمَّة أمَّة بمنطق الدين.

دعوة الدين المسلمين للوحدة:

فالدين هو الَّذي جعلها أمَّة، وأمرها بالوحدة، ونهاها عن التفرُّق والتنازع، ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]،

QaradawiBooks.com

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الرُّوم: ٣١، ٣٢]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

عوامل تقوية الوحدة بين المسلمين:

المسلمون ينبغي أن يكونوا أمَّة واحدة، هكذا أراد الله لهم، ولم لا تكون الأمَّة أمَّة واحدة وربها واحد؟!

﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

كأنَّما يشير إلى أنَّه لا تتمُّ العبادة، ولا تكمل التقوى إلَّا بالتوحد، فربُّها واحد ورسولها واحد، رسولها محمَّد ﷺ، كلُّها تعلن هاتين الشهادتين: أشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، تسمعها كلَّ يوم في أذانها خمس مرات، وفي إقامَتها للصلوات، وفي تشهُّدها: التحيات لله، والصلوات والطيبات، أشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

رسولها محمَّد يجسِّد الكمال الإنساني الَّذي جعله الله أسوة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

عامل المرجعيَّة الربَّانيَّة الواحدة:

كتابها واحد، القرآن الكريم، يجمعها جميعًا كتاب الله، لا يختلف في ذلك اثنان، السُّنة والشيعة، كلُّها تقول: ما بين الدفتين كلام الله، من سورة

QaradawiBooks.com

الفاتحة إلى سورة النَّاس، لا خلاف بين مسلم ومسلم أنَّ هذا كُلَّه كلام الله الَّذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فُصِّلت: ٤٢]، إذا كان هناك بعض الشيعة يقولون: هناك زيادات، فهذا يردُّه المحقِّقون منهم.

ويكفي أنَّ المصحف الَّذي يطبع في قطر، ويطبع في السعودية، ويطبع في مصر، ويطبع في باكستان، هو نفسه الَّذي يطبع في إيران، هذا المصحف مرجع المسلمين جميعًا، كتابهم واحد.

كلُّ الكتب حرِّفت وبدِّلت وغيِّرت تغييرًا لفظيًّا، وتغييرًا معنويًّا، إلَّا القرآن، ولا يمكن أن يضيع هذا القرآن، أو يحرَّف أو يبدَّل، وهناك الألوف، وعشرات الألوف، ومئات الألوف يحفظون القرآن، يحفظونه في صدورهم لا يخرمون منه حرفًا، ولا يُسقطون منه كلمة، حتَّى رأينا عجبًا؛ رأينا الأعاجم الَّذين لا يفهمون كلمة من العربيَّة يحفظون هذا القرآن، كأن أحدهم شريط مسجل لا يسقط منه كلمة واحدة، ولو سألته: ما اسمك؟

لا يستطيع أن يجيبك؛ لأنَّه لا يعرف معنى سؤالك باللغة العربيَّة.

الله حفظ هذا القرآن، فهذه الأمَّة ربُّها واحد، ونبيها واحد، وكتابها واحد، وقِبلتها واحدة، كلُّها تتجه كلَّ يوم خمس مرَّات إلى البيت الحرام ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٥٠].

بعض الغربيين تخيَّل أن يرسم للمسلمين صورة حول الكعبة المشرَّفة، فقال: لو اطلع واحد من فوق، ونظر إلى المسلمين في أنحاء العالم، وجدهم دوائر دوائر، حول الكعبة تتسع الدائرة ثمَّ تتسع كلَّما بعدت عن البيت العتيق حتَّى تشمل العالم كلَّه.

QaradawiBooks.com

نعم المسلمون في كلِّ مكان دوائر حول الكعبة، الكعبة تجمعهم، ولا غرو أن سمِّي المسلمون: أهل القِبلة، فقِبلتهم واحدة.

غير مرخصة للطباعة

عامل وحدة الشَّريعة:

المسلمون ـ أيضًا ـ شريعتهم واحدة، الشَّريعة الَّتي يحتكمون إليها كلُّهم شريعة واحدة، إذا سأل المسلم عن الحلال والحرام، عمَّا يجوز وما لا يجوز، يرجع إلى الشَّريعة، وإلى أحكام الشَّريعة، وإلى علماء الشَّريعة ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النَّحل: ٤٣].

عامل وحدة الشَّعائر العباديَّة:

الشَّعائر العباديَّة للمسلمين واحدة: الصَّلاة، الصِّيام، الزَّكاة، الحجّ، كلُّها واحدة، إذا أذَّن المؤذِّن في أي بلد من البلاد: حيَّ على الصَّلاة، حيَّ على الفلاح، سارع المسلم ـ كان في آسيا، في إفريقيا، في أوربا، في أمريكا، في أستراليا ـ بالاستجابة لنداء الله، ووقف النَّاس في المساجد صفوفًا صفوفًا، زالت بينهم الفوارق.

كان الشَّيخ عبد المعز عبد الستار رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسمِّي المساجد: مصانع التوحيد، تصنع التوحيد بين المسلمين، يدخلها النَّاس أجناسًا وألوانًا وطبقات، فتصهرهم المساجد، ويخرجون منها إخوة متحابِّين.

انظروا لهذا المسجد، يوجد فيه الكبير والصغير، والغني والفقير، وأستاذ الجامعة والفرَّاش في الجامعة، والوزير والموزور، والأمير والمأمور، هل يفرق بينهم في شيء؟

من سبق إلى مكان فهو أحقُّ به، لا يوجد في المساجد: أنَّ الصفَّ الأول للوزراء، والصفَّ الثاني لوكلاء الوزارات، والصفَّ الثالث لمديري العموم، والصفَّ الرابع لموظفي الدرجة الأولى.

QaradawiBooks.com

لا، لا توجد هذه التفرقة، هذه المساجد مصانع التوحيد، تصهر المسلمين في بوتقة واحدة، توحِّد مشاعرهم، وتوحِّد مسالكهم، وتقفهم جميعًا بين يدي الله خاشعين، لا فضل لأبيض على أسود، ولا لعربي على عجمي، ولا لغني على فقير، ولا لمتعلِّم على أمِّي، لا فضل لأحد على أحد إلَّا بالتقوى، والتقوى هي ما يتفاضلون بها عند الله، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، الصَّلاة توحِّد بين المسلمين.

كلُّ الشعائر تغرس في نفس المسلم هذا المعنى:

الصِّيام

حينما يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، يمسك المسلمون عن الطعام والشراب والنِّساء، يجوع أحدهم لله، ويظمأ لله، «**يدع طعامه من أجلي، ويدع شرابه من أجلي، ويدع زوجته وشهوته من أجلي**»[1].

كلُّ المسلمين في أنحاء الأرض عندما تأتي لحظة الفجر يُمسكون عن الطعام، فإذا غربت الشمس وأذَّن المؤذِّن أفطروا جميعًا، وحلَّ لهم ما كان محرَّمًا عليهم.

إنَّها شعائر واحدة.

الحجُّ من أكثر المظاهر وحدة للأمَّة:

الحجُّ، يظهر فيه هذا التوحيد أكثر فأكثر؛ فالنَّاس كثيرًا ما يتفرَّقون بالمظاهر والأزياء والملابس، وبعض البلاد لها أزياء خاصَّة، وبعض الفئات لها أزياء خاصَّة، المشايخ لهم زي، والصُّناع

(١) رواه ابن خزيمة في الصيام (١٨٩٧)، وقال الأعظمي: إسناده صحيح. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

لهم زي، حينما يذهبون إلى الحج يخلعون أزياءهم الَّتي تميِّز بينهم، ويلبسون ثيابًا في غاية السهولة والبساطة والتواضع، أشبه ما تكون بأكفان الموتى، يلبسها الملك، ويلبسها الخفير، يلبسها أغنى النَّاس، وأفقر النَّاس، كلُّهم في رداء واحد، وشعور واحد، ونداء واحد: لبَّيْكَ اللهمَّ لبيك، لبَّيْكَ لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمد والنِّعمة لك والملك، لا شريك لك.

عامل وحدة الآداب الإسلاميَّة:

المسلمون شريعتهم واحدة، وشعائرهم واحدة، وآدابهم واحدة، حيثما لقيت المسلم تقول له: السَّلام عليكم، فيرد: وعليكم السَّلام ورحمة الله وبركاته.

إذا أكل المسلم، فهو يأكل باليمين، يبدأ طعامه: باسم الله، ويختمه: بالحمد لله.

لا يأكل الميتة ولا الدم ولا لحم الخنزير.

آداب مشتركة، حتَّى إذا عطس قال: الحمد لله، وهنا تقول له: يرحمك الله، ويردُّ عليك: يهديكم الله ويُصلح بالكم[1].

وحدة المنهج والغاية:

آداب واحدة، منهج واحد، غاية واحدة، الغاية هي: الله، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

(١) رواه البخاري في الأدب (٦٢٢٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

والمنهج واحد هو ما شـرعه الإسـلام من أحكام وقيَم وآداب في العبادات والمعاملات والسـلوكيات، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

هذه هي الأمَّة الإسلاميَّة.

أمَّة واحدة بمنطق التاريخ والجغرافيا:

الأمَّة الإسـلاميَّة أمَّة بمنطق الدين، وهي أمَّة واحدة كذلك بمنطق التاريخ، ظلَّت أمَّة واحدة أكثر من ثلاثة عشـر قرنًا، مرجعيتها واحدة هي الشَّـريعة، وطنها واحد هو دار الإسـلام، قائدها واحد هو خليفة المسلمين وأمير المؤمنين، ظلَّ هذا مرعيًا إلى سنة ١٩٢٤م حينما ألغى الخلافة الإسلاميَّة ـ الَّتي تجمع المسلمين تحت راية العقيدة ـ الطاغية كمال أتاتورك.

منطق التاريخ يقول: المسلمون كانوا أمَّة واحدة.

ومنطق الجغرافيا يؤكِّد هـذه الحقيقة، انظر إلى الخريطة تجد العالم الإسلامي جغرافيًا متصلًا بعضه ببعض، رقعة متواصلة؛ لأنَّ الإسلام كان يمتد امتدادًا طبيعيًّا من بلد إلى بلد يزحف كما يزحف النُّور.

فهي أمَّة بمنطق الجغرافيا.

أمَّة واحدة بمنطق المصير المشترك:

بمنطق المصلحة المشـتركة، والمصير المشـترك، هي أمَّة واحدة، المصلحة المشـتركة تحتِّم عليها أن تكون أمَّة واحـدة، وخصوصًا: أن أعداءها ينظرون إليها باعتبارها أمَّة واحدة.

QaradawiBooks.com

الآن الحرب الَّتي تُشنُّ على المسلمين، تُشن على المسلمين جميعًا لا فرق بين سُـني وشـيعي، هم ينظرون إلـى إيران كمـا ينظرون إلى السـعودية، هم يريدون تغيير المنطقة كلِّها، تغييـر المنظومة القيَمية في المنطقة بحيث نفكِّر كما يفكِّر الأمريكان، ونشعر كما يشعر الأمريكان، ونسلك كما يسلك الأمريكان، ولا يوجد من يخالف الثقافة الأمريكية، والسياسة الأمريكية، والسـلوك الأمريكي، لا يريدون أن يؤمنوا بظاهرة التنوُّع، وظاهرة التنوُّع ظاهرة كونية، اختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ يعنـي: متنوعـة ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۞ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

اختلاف الأنـواع، فالتنوُّع ظاهرة كونية، هؤلاء يريـدون أن يقاوموا سُنن الله في الحياة، وفي الكون، وفي الإنسان، يريدون أن يصهروا النَّاس جميعًا ليكونوا أمريكيين، أمريكيين في الفكْـر، وأمريكيين في الثقافة، وأمريكيين في الاتجاه وفي السلوك، والله خَلق النَّاس مختلفين ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هُود: ١١٨، ١١٩].

قـال المفسِّـرون ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾: أي: للاختلاف خلقهـم؛ لأنَّه خلقهم متغايرين في الفكر، ومتغايرين في الإرادة، فلا بدَّ أن تختلف اتجاهاتهم، لو شاء الله لجعلهم نسـخة واحدة مثل الملائكة، إنَّما أعطاهم الله حرِّية الاختيار، وحرِّية العقل والتفكير، فلا بدَّ أن يختلفوا.

هؤلاء لا يؤمنون باختلاف النَّاس، يريـدون أن يطبعوا النَّاس بطابع واحد، المسـلمون حينما كانوا أقوى أمَّة فـي الأرض، حينما كان يقول

QaradawiBooks.com

الخليفة للسحابة: شرِّقي أو غرِّبي، وأمطري حيث شئت، فسيأتيني خراجك[١]. لم يفرضوا على النَّاس أن يكونوا نوعًا واحدًا، لم يفرضوا عليهم دينهم، ولم يفرضوا عليهم ثقافتهم وفلسفتهم، إلَّا إذا قبلها النَّاس من أنفسهم.

وشاركت في بناء الحضارة الإسلاميَّة ثقافات وأجناس شتَّى من الأمم، شاركت في هذه الحضارة وبقوا على دينهم، وعلى فلسفاتهم، وعلى مذاهبهم، وعلى ثقافاتهم المختلفة.

هؤلاء لا يقبلون ذلك، يريدون أن يسير النَّاس كلُّهم قطيعًا واحدًا وراء هذا الراعي الَّذي يمسك بعصاه، ولا يسمح لأحد أن يخرج عن هذا القطيع!

الأمَّة مصيرها واحد، هكذا تقول الأحداث، وهكذا يقول الأعداء أنفسهم، الدولة الصهيونيَّة تنظر إلى إيران، وإلى باكستان، وإلى أفغانستان، وإلى إندونيسيا، كما تنظر إلى بلاد العرب بجوارها، وترى أن قوَّة المسلمين في أي بلد خطر عليها.

وهكذا رأينا نظرة الأمريكان إلى الجميع.

أمَّة واحدة بمنطق الآلام والآمال والمصالح المشتركة:

المسلمون أمَّة واحدة بمنطق أعدائنا، بمنطق المصير المشترك للجميع، وهي أمَّة بمنطق الآلام المشتركة، والآمال المشتركة، والمصالح المشتركة، كلُّ هذا يحتِّم على المسلمين أن يتَّحد بعضهم مع بعض، وأن يتلاحم بعضهم مع بعض، وأن يتكتَّل بعضهم مع بعض.

(١) القائل: هارون الرشيد الخليفة العباسي. انظر: صبح الأعشى (٢٨٥/٣).

QaradawiBooks.com

العالم في عصرنا يتكلَّم بلغة التكتُّـل، لا مكان في عالمنا المعاصر للكيانـات الصغيرة، الكيانات الصغيرة لا تسـتطيع أن تعيـش، إلَّا إذا اعتمدت على غيرها، وإنَّما تعيش فيه الكتل الكبيرة، ولذلك نرى النَّاس يتناسون خلافاتهم ويتجمَّعون.

للأسـف نرى العالم كلَّه يتقارب والمسـلمين وحدهـم يتباعدون، الكاثوليك والبروتسـتانت الَّذين جرت بينهم حـروب رهيبة، ومجازر سـقط فيها مئات الألوف، وربَّما ملايين من النَّاس على توالي العصور، أرادوا أن يتقاربوا وينسوا هذا التاريخ[1].

حتى اليهود والنَّصارى، كان اليهود أعـداء النَّصارى طوال التاريخ، واليهود كانوا متَّهمين بأنَّهم شاركوا، بل قاموا بالدور الأول والأكبر في تقديم المسيح للقتل والصلب يقينًا، أو في قتل المسيح وصلب المسيح كما يعتقد النَّصارى، ولكنَّهم منذ عدَّة سنين أصدر الفاتيكان وثيقة لتبرئة اليهود من دم المسـيح، يتقرَّبون إلـى اليهود! النَّاس يتقاربـون دينيًّا، ويتقاربون أيديولوجيًّا.

رأينا في أيام الصراع بين السـوفيت والمعسـكر الغربي ما يسمُّونه: التعايش السلمي، تقارب بعضهم مع بعض، المصلحة اقتضت هذا.

الآن أوروبا كوَّنت من بين دولها اتحادًا، رغم ما كان بينها من صراعات.

من يقرأ تاريخ أوروبا في القرون الأخيرة يجد حروبًا دموية، قُتل فيها من قُتل، وسُـفكت فيها دماء، وأُزهقت أرواح، وخُربـت ديار، بدوافع

(١) راجع ما ذكره العلامة رحمـة الله الهندي في إظهار الحقِّ (٥٠٩/٢) وما بعدها، نشـر إحياء التراث الإسلامي، قطر.

QaradawiBooks.com

دينيَّة أحيانًا، ودوافع قومية أحيانًا، ودوافع مصلحية وسياسيَّة أحيانًا، وآخر هذا الصراع: الحربان العالميتان في النصف الأول من القرن العشرين، اللتان قتل فيهما ملايين بل عشرات الملايين.

ثمَّ رأت أوربا أنَّ من المصلحة لجميع دولها أن تتكتَّل ويتضام بعضها إلى بعض، وتتلاحم في صورة اتحاد قوي صار له وزنه وشأنه، وأن ينسوا المآسي الماضية، والخلافات السابقة.

هكذا رأى القوم، هذا هو شأن العقلاء.

مؤامرات الأعداء لغرس داء الفُرقة بين المسلمين:

أمَّا نحن المسلمين، فنحن وحدنا الَّذين نجترُّ الخلافات الماضية، ونحاول دائمًا أن نشعل النَّار، وأن نصبَّ الزيت على النَّار، وأعداؤنا يستغلُّون نقطة الضعف هذه، فيثيرون بيننا دائمًا ما يفرِّق الجمع، وما يبعث الفتن بين بعضنا وبعض.

في بعض البلاد يثيرون الخلافات الدينيَّة، مثل: مصر، يقولون: مسلمون وأقباط.

وأحيانًا يثيرون خلافات جغرافية، مثل: السودان، يقولون: الشمال والجنوب.

وأحيانًا خلافات عرقية كما في الجزائر والمغرب: عرب وبربر، أو عرب وأكراد في العراق.

وأحيانًا يثيرون خلافات مذهبية سُنية وشيعية، وأحيانًا خلافات أيديولوجيَّة، مثل: ثوريين ورجعيين، أو يمينيين ويساريين إلخ.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

لا بدَّ أن يثيروا ما يفرِّق بين الأمَّة بعضها وبعض، وكلُّ تفرقة هي لصالحهم، وليس في صالحنا، هم يفرِّقون ليسودوا، ويمزِّقون ليأكلوا، «فرِّق تسد»، شعار معروف عندهم من قديم، لا تستطيع أن تأكل الرغيف لقمة واحدة، إنَّما تقطع الرغيف لقمًا لقمًا لتزدرده وتبتلعه بسهولة.

هكذا يفعلون بنا، ونحن نستجيب.

الأمَّة الإسلاميَّة ينبغي أن تعرف هذا الأمر، وتعرف لغة العالم اليوم، لو لم يوجب عليها دينها أن تعتصم بحبل الله جميعًا ولا تتفرَّق، وألا تتنازع فتفشل، وتذهب ريحها، كما قال القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وكما قال النَّبي ﷺ: «**لا تختلفوا؛ فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»[1]، لو لم يوجِب الدين ذلك لأوجبته المصالح المشتركة، والمصير المشترك، ولأوجبه منطق العصر.

تلاحم الأمَّة فريضة وضرورة:

إنَّ تلاحُم الأمَّة فيما بينها فريضة وضرورة، فريضة يوجِبها الدين، وضرورة يحتِّمها الواقع، نقول هذا للعرب وللمسلمين في كلِّ مكان، دعوا الأمور الَّتي تفرِّق بينكم، واذكروا ما يجمعكم دائمًا، اذكروا الجوامع المشتركة، القواسم المشتركة بينكم وهي كثيرة، خصوصًا أنَّنا في محنة.

النَّاس إذا كانوا في عافية وفي رخاء وفي أيام انتصارات ربما جاز لهم أن يختلفوا، وإن كان هذا ليس مطلوبًا، ولا مقبولًا في أي عصر.

(١) سبق تخريجه صـ ٢٦٩.

QaradawiBooks.com

أمَّا الَّذين يعيشون في الشدائد والمِحن الكبرى، والمصائب المتلاحقة، وتصوَّب إليهم السهام من كلِّ جانب، هؤلاء لا يجوز لهم أبدًا أن يتفرَّقوا، لا بدَّ أن يقف بعضهم بجوار بعض.

عندما تقوم المعركة يجب أن نُسقط الخلافات الجانبية، وننسى المعارك الجزئيَّة، ولا يبقى إلَّا صوت المعركة عاليًا، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصَّف: ٤].

نداء لعقلاء السُّنَّة والشِّيعَة:

إنَّ هناك فتنًا تريد أن تمزِّق هذه الأمَّة، هناك في العراق الآن يريدون أن يثيروا فتنة بين السُّنَّة والشيعة، ونحن نحذِّر المسلمين جميعًا ـ سُنَّة كانوا أم شيعة ـ أن يستجيبوا لوساوس الشياطين، شياطين الإنس وشياطين الجنِّ، يجب أن يعلوا على هذه الوسوسات الَّتي تدمِّر الجميع؛ فالفرقة دمار على الجميع.

هم يريدونها حربًا دينيَّة، لم يكتفوا بالحرب الَّتي وقعت بين إيران والعراق وظلَّت سنين طويلة، ولكن كان طابع هذه الحرب قوميًّا، كأنَّها حرب بين العرب والفرس، ولكن الآن يريدونها حربًا دينيَّة صريحة، سُنة وشيعة، يجب أن يقاتل بعضهم بعضًا.

ويجب ـ أيَّها الإخوة ـ أن نحبط مكرهم، ونفوِّت عليهم الفرصة.

أنادي العقلاء: ألا يستجيبوا للمهاويس والمجانين مِن هؤلاء أو هؤلاء، ويشعلوا النَّار، ويتيحوا الفرصة لأعداء الأمَّة، يجب أن يقف العراق صفًّا واحدًا؛ ليحرِّر أرضه، ويعيش مستقلًّا، ويطرد الاحتلال.

هذا ما يجب على الأمَّة جميعًا، ويجب علينا أن نساندهم فيه.

QaradawiBooks.com

محاولة ضرب الفلسطينيين بعضهم ببعض:

هناك محاولة لضرب الفلسطينيين بعضهم ببعض، السلطة في ناحية، والمقاومة في ناحيــة أخرى، وقد نصبوا لهم فخًّا ـ شــركًا مكيدة ـ هي ما ســمّوه: خارطة الطريق، واشــترطوا فيها: تصفيــة المقاومة، وجمع السِّلاح، وهو شرط عجيب جدًّا.

معناه: أن يقاتل الفلسطينيون بعضهم بعضًا، بدل أن يقاتل الفلسطيني المحتل الَّذي يحتلُّ أرضه، ويدمِّر بيته، ويقتل أباه وأخاه وابنه وزوجته، بدل أن تتَّجه الرصاصات إلى صدر العدو المحتل تتَّجه إلى صدر أخيه!

وهذا ما نحذِّر منه الفلســطينيين، وهم إلى الآن أدركــوا المكيدة، ووقفوا لهــا، ويجب أن يظلُّــوا على هذه الحكمة، وعلــى هذه اليقظة، ولا يسمحوا لأنفســهم يومًا أن يضرب بعضهم بعضًا، النَّبي ﷺ قال في حجَّة الوداع: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضُكم رقابَ بعض**»[(١)].

هذا شأن الكفَّار، شــأن أهل الجاهليَّة، كانوا يضربون بعضهم رقاب بعض ووجوه بعض.

أمَّا المســلم فهو أخو المســلم، لا يظلمه، ولا يُســلمه، ولا يخذله، ولا يتخلَّى عنه، بل يفديه بنفسه، يعرِّض صدره للرصاص ليحمي أخاه، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحُجرات: ١٠].

لماذا يجب أن نتوحَّد؟

المســلمون أمَّة هكذا أراد الله لهم، أمَّة وســطًا، خيــر أمَّة أُخرجت للنَّاس، أمَّة واحدة، وحَّدت بينها الغايات، والمناهج، والعقائد والشرائع

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العِلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

والقيَـم، والعبـادات والمعامـلات والآداب، وحَّدت بينهـا المصالح والمصاير، والآلام والآمال، وحَّدها الأعداء، فهم ينظرون إليها باعتبارها أمَّة واحدة، من الدار البيضاء إلى جاكرتا.

إسرائيل تكيد كيدها لباكستان، لماذا؟

لأنَّها أصبحت تملك مفاعلًا نوويًّا كمـا تملك هي، ولكن لا يجوز للمسـلمين أن يملكوا مفاعلًا نوويًّـا، أو قنبلة نوويَّة، إسـرائيل تعامل باكستان كما تعامل البلاد العربيَّة.

هم ينظرون إلى هذه الأمَّة على أنَّها أمة واحدة، فينبغي ـ أيُّها الإخوة ـ أن يضع كلٌّ منَّا يده في يد أخيه، وألا نسمح لمن يفرِّق بيننا، قد نختلف في أشياء كثيرة، ولكن نتعاون فيما اتَّفقنا عليه ونتسامح فيما اختلفنا فيه، ونقف في المعركة صفًّا واحـدًا، وإلا كان هناك خطـر كبير: أن يجتمع أعداؤنـا، ونتفرَّق نحن، وفي هذا يقـول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال: ٧٣].

أقول قولي هذا، وأسـتغفر الله لي ولكم، فاسـتغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيَّها الإخوة المسلمون:

انتفاضة الأقصى في سَنتها الرابعة:

دخلت الانتفاضة ـ انتفاضة الأقصى المباركة ـ في سنتها الرابعة، كان السفَّاح شـــارون قد أخذ على نفسه وعلى حكومته عهدًا: أن يقضي على هذه الانتفاضة، ويقضي على المقاومة المؤمنة الباســـلة في حدود (١٠٠) يوم، ومضت مائة ومائة ومائة ومئات ومئات، ولكن الانتفاضة لم تنته، الانتفاضة بقيَت شامخة، بقيَت صامدة، بقيَت كالجبل الأشمِّ، بقيَت تزأر كما يزأر الأسد الهصور، بقيَت تقول لهؤلاء الطغاة الظالمين: نحن هنا، لن نستسلم، لن نركع لكم، لن نهن، ولن نســـتكين أبدًا، إنَّما نركع لله، ونسجد لله، علَّمنا الله تعالى أن نرفع جباهنا فلا نسجد إلَّا له في الصَّلاة، ولا تركع الظهور ولا تنحني إلَّا له.

بقيَت هذه الانتفاضة يقودها الأبطال، تبـــذل كلَّ يوم من الأرواح ومن الدماء، ما يجعلنا نقول لهذا الشَّعب البطل: مرحى مرحى، هذا الشَّعب الَّذي لا يملك الصواريخ ولا الدبَّابات ولا المروحيات كما تملكها إسرائيل، إنَّما يملك رجالًا مؤمنين، يملك شبابًا باعوا أنفسهم لله، وضعوا رؤوسهم على أكفِّهم، وأرواحهم بأيديهم وقدَّموها رخيصة في سبيل الله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

هؤلاء الشَّباب المؤمنون الَّذين لا يبالون أوَقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم، هم الَّذين دوَّخوا الصهاينة، دوَّخوا هذا الكيان المغتصِب الظالم المغرور بقوته وبسلطانه وبترسانته النَّووية والكيماوية وغيرها.

QaradawiBooks.com

هؤلاء الشَّباب يجب أن نحييهم، يجب أن نحيي هؤلاء الأبطال، يجب أن نحيي هذا الشَّيخ القعيد الأشلَّ المريض الشَّيخ أحمد ياسين، الَّذي زلزل أركان الظالمين، يجب أن نحييه ونحيي إخوانه، الَّذين قُتِلَ منهم من قُتِلَ: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

حاولوا أن يقتلوا الشَّيخ، وحاولوا أنْ يقتلوا الدكتور الرنتيسي، والدكتور الزهَّار، كما حاولوا من قبل أن يقتلوا خالد مشعل، وقتلوا إسماعيل (أبو شنب)، وقتلوا الكثيرين، كما قتلوا يحيى عياش، وفتحي الشقاقي والكثيرين من أبناء حماس، ومن أبناء الجهاد الإسلامي، ومن كتائب الأقصى.

نحيي هؤلاء، نحييهم ونقف من ورائهم، وإن كنَّا لا نستطيع ـ للأسف ـ أن نصل إليهم لنشدَّ أزرهم، ونشارك معهم؛ فالأبواب مغلقة، والطرق مسدودة، لا يستطيع مسلم يغلي صدره كما يغلي المِرجل فوق النَّار من الحماس والاشتياق إلى الجهاد والشهادة، ولا يستطيع أن يصل إلى إخوته هؤلاء، هكذا نعيش في هذا الوقت.

لكنَّنا نملك أن نبعث إليهم بما نستطيع من أموال، وإن كان الآن سدُّوا الطريق على الأعمال الخيريَّة، لا يسمحون بتحويل أي أموال إلى هؤلاء، كأنَّما يريدون أن يموت هذا الشَّعب جوعًا، الأموال الَّتي تذهب لتطعم الجائع، وتكسو العريان، وتداوي المريض، وتؤوي المشرَّد، وتكفل اليتيم، وترمِّم المهدوم، وتعالِج المحروق، هذه الأموال ممنوع أن تصل إلى هؤلاء، حتَّى إنَّ بعض البلاد العربيَّة جمدت أموال حماس في بنوكها وفي مصارفها، يا للعار ويا للشنار.

QaradawiBooks.com

صراع صهيوني فلسطيني!

علينا أن نعمل ما نستطيع لمعونة إخواننا هؤلاء، بخاصَّة أنَّ الأنظمة الحاكمة قلَّما تصنع شيئًا.

قلت لكم في الأسبوع الماضي: إنَّ الصراع الآن لم يعد صراعًا عربيًّا إسرائيليًّا كما يقال في الصحف وأجهزة الإعلام؛ فالعرب لم يعودوا يقدِّمون شيئًا، قدَّموا سنة (٤٨) ودخلت الجيوش العربيَّة إلى فلسطين، أمَّا الآن فهو صراع صهيوني فلسطيني، إسرائيل ومعها يهود العالم، ومعها أمريكا بقوتها العسكرية، وقوتها الاقتصاديَّة، وقوتها العلميَّة والتكنولوجية، وقوتها السِّياسيَّة، الفلسطينيون شِبه العزل من السِّلاح يقفون وحدهم أمام هذا كلِّه.

ونحن نعتقد: أنَّهم منصورون، وهم منصورون إن شاء الله، الله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافَّات: ١٧٢، ١٧٣]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم: ٤٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحجُّ: ٣٨].

نحن نعتقد: أنَّهم منصورون، وأنَّ هذا الكيان الدخيل الَّذي زُرع في جسم هذه الأمَّة هو كيان غريب، ودائمًا الأجسام الغريبة الَّتي تدخل الأجسام لا تستطيع أن تعيش فيها، تطردها قواها الحيوية الداخلية، سُنة الله أن أي جسم غريب لا بدَّ أن يطارَد.

وهذا الجسم لن يستمرَّ طويلًا ما دام إخوتنا الأبطال في «الجهاد الإسلامي»، وفي «حماس» المجاهدة المرابطة الصامدة، وفي كتائب الأقصى، وفي كلِّ فصائل المقاومة الَّتي ترفض الاستسلام، وترفض الذلَّ والهوان، وتصرُّ على البقاء عزيزة كريمة، فإما حياة الأعزَّاء السُّعداء، وإما

QaradawiBooks.com

موت الشُّـــهداء، ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التَّوبة: ٥٢].

سيروا إلى الأمام أيَّها الإخوة، يا أبناء الأقصى، يا أبناء الأرض الَّتي بارك الله فيها للعالمين، أرض النُّبوات والمقدَّسات، اصبروا، وصابروا، ورابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون.

نحن معكم بقلوبنا وألسنتنا، ندعو لكم آناء الليل وآناء النَّهار، ندعو لكم في صلواتنا، وفي خلواتنا، وفي ســاعات السَّــحر، ونستعين على الأعداء بسهام القدر، ودعاء السَّحر، وكلّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبرَّه.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٨

مطهرات الذنوب

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

فالإنسان لا ينفك عن بشريته، ولا يخلو من ضعف أو تقصير، وهو قابل لأن يخطئ أو يذنب، وقد تدفعه شهوته إلى المعصية، وتؤزه رغبته إلى الانحراف؛ فينسى آخرته، ويغفل عن دينه.

ولكن الله ﷻ لم يدع الإنسان لهذا الضعف، إنَّه أعطاه قوَّة أخرى يستطيع أن يتغلب بها على هذا الضعف؛ إذا زلت قدمه يومًا فهوى إلى المعصية، إذا غرَّته نفسه الأمَّارة بالسوء وغلبت على النفس اللوامة، إذا انهزم باعث الدين أمام باعث الهوى، إذا انتصر الشيطان على الإنسان: لم يدع الله تعالى الإنسان يسقط وينتهي؛ بل مكَّنه من أن يستطيع أن يداوي جراحه بنفسه، وأن ينتزع نفسه من الحفرة الَّتي وقع فيها، أعطاه هذه المُطهِّرات؛ ليغتسل بها من أدران الخطايا الَّتي يوقعه فيها ضعفه البشري.

هذه المغاسل، أو هذه المطهِّرات بعضها يومي، وبعضها أسبوعي، وبعضها شهري، وبعضها سنوي، وبعضها عُمري: يقع في العمر مرَّة، وبعضها يقع حسب المناسبات، وبعضها يمكن أن يستمر مع الإنسان

QaradawiBooks.com

في كل لحظة من اللحظات، هذه المغاسل يغتسل الإنسان فيها، مغسلة بعد مغسلة.

١ ـ ذكر الله تعالى:

هناك مغسلة دائمة مع الإنسان، هي ذكر الله تبارك وتعالى، أن تذكر الله ذكرًا كثيرًا، وأن تسبحه بكرة وأصيلًا، أن تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلَّا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله. أن تقول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، سبحان ربي الأعلى. هذه الكلمات الباقيات الصَّالحات مُكفِّرات لذنوب الإنسان ولخطاياه.

ولذلك أمرنا الله ﷻ أن نذكره ذكرًا كثيرًا، وعابَ الله على المنافقين بأنَّهم لا يذكرون الله إلَّا قليلًا، ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٢]، ولكن المؤمنين يذكرون الله كثيرًا، ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ذكر الله بلسانك وبقلبك مطلوب دائمًا، وهو يُكفِّر الذنوب؛ حتَّى وإن كانت مثل زبد البحر، كما ذكر النبي ﷺ. مرَّات تقولها: «**لا إلٰه إلَّا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير. فتحطَّ عنك خطاياك**» وإن كانت مثل زبد البحر[1].

٢ ـ التوبة إلى الله تعالى:

وهناك من المغاسل التوبة، هذه المحَّاءة، الَّتي تستطيع أن تمحو بها ما كُتب من خطاياك، كل إنسان يُذنب، وكل إنسان يستطيع أن يمحو ذنبَه

(١) رواه مسلم في المساجد (٥٩٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

بالتوبة، فـ «**التائب من الذنب كَمَنْ لا ذنب له**»[١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، يحبُّ الله التوابين، الَّذين يكثرون التوبة، كلَّما وقع من أحدهم ذنب تاب إلى الله.

سُئل عليُّ بن أبي طالب: أذنبت ذنبًا يا أمير المؤمنين؟ قال: تُب إلى الله واستغفر. قال: عُدتُ إلى الذنب؟ قال: عُد إلى الاستغفار. قال: ثمَّ عُدت إليه مرَّة أخرى؟ قال: عُد إلى الاستغفار. قال: إلى متى؟ قال: حتَّى يكون الشيطان هو المحسور[٢]. احسُر الشيطان، أحزِنه، غُمَّه بعودتك إلى الله، لا تيئس أبدًا، أيئس الشيطان ولا تيئس من مغفرة الله.

يريد الله من الإنسان أن يتوب إليه، ومن أسمائه تعالى: التوَّاب، الغفَّار، العفوُّ؛ فإذا لم يكن هناك مَنْ يُذنب؛ فعلى مَنْ يتوب، ولِمَنْ يغفر، وعلى مَنْ يعفو؟

ولذلك قال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا فتستغفروا لذهبَ الله بكم، وجاء بقوم يُذنبون فيستغفرون فيغفر لهم**»[٣]. لا بدَّ أن تتجلَّى آثار أسماء الله الحسنى، ومن أسمائه: التوَّاب، الغفَّار، العفوُّ، والرحيم؛ فلا ينبغي أن نيأس أبدًا، مهما نقع في الذنوب؛ فإنَّ عفو الله أعظم، وإنَّ مغفرة الله أكبر، وإنَّ رحمة الله أوسع.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، كل الذنوب

---

(١) رواه ابن ماجه في الزهد (٤٢٥٠)، والطبراني (١٥٠/١٠)، والبيهقي في الشهادات (١٥٤/١٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٠٨)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في التوبة (١٧٧)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، نشر مكتبة القرآن ـ مصر.

(٣) رواه مسلم في التوبة (٢٧٤٩)، وأحمد (٨٠٨٢)، عن أبي هُرَيْرة.

QaradawiBooks.com

قابلة للمغفرة بالتوبة، حتَّى الشرك والكفر، ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨]، التوبة تَجبُّ ما قبلها، كما أنَّ الإسلام يجبُّ ما قبله.

ولهذا عليك أن تُخسئ الشيطان وتهزمه بالتوبة إلى الله، كلَّما وقعت في الذنب قل كما قال أبوك آدم وأمُّك حواء؛ حينما أكلا من الشجرة: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧]، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه: ١٢١ ـ ١٢٢]، فلا يجوز أن تُقلِّد أباك في الأكل من الشجرة، في ارتكاب المنهي عنه، ولا تُقلِّده في التوبة، بل قلِّده في التوبة وتُب إلى الله ﷻ، وثِق أنَّ الله تعالى سيقبل منك.

قال رجل للمرأة الصالحة الزاهدة رابعة العدوية: هل إذا تبتُ تاب الله عليَّ؟ فقالت له: يا غافل، بل إذا تاب الله عليك تبت، أمَّا قرأت قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١١٨]؟ ما دام أنَّ الله تعالى وفَّقك للتوبة فهذا دليل على قَبول التوبة منك.

إذن أوَّل مغسلة من المغاسل، وأوَّل ما يتطهَّر الإنسان فيه بعد ذكر الله تعالى هو التوبة، فتُب إلى الله، اندم على ما حدث منك، واعزم على ألا تعود إليه أبدًا، وأقلع عن المعصية، واختر جماعة جديدة وبيئة صالحة تعيش فيها، ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴾ [الفرقان: ٧٠ ـ ٧١].

QaradawiBooks.com

٣ ـ استغفار الله تعالى:

هناك مغسلة أخرى مُلحقة بالتوبة هي مغسلة الاستغفار، التوبة الحقيقيَّة لا بدَّ أن يصحبها استغفار، وقد يكون الاستغفار الحقيقي هو التوبة؛ إذا كان استغفار باللسان، ومعه عقد من القلب على عدم الرجوع إلى المعصية، فهذا هو استغفار التائبين.

ولذلك أحيانًا يذكر القرآن الاستغفار وحده؛ فينوب عن التوبة، وأحيانًا يذكر التوبة وحدها لتنوب عن الاستغفار، وأحيانًا يجمع بينهما، كما قال هود لقومه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

تُبْ واستغفر، استغفر الله لذنوبك في كل وقت، وخصوصًا في الأسحار، ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، حين يتجلَّى الله على عباده ويناجيهم ويسألهم: «**هل من تائب فأتوبَ عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داعٍ فأجيبه؟ هل من سائل فأعطيَه؟**» حتَّى يطلع الفجر[1]، فالاستغفار في الأسحار من شأن المتقين والمحسنين، ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ ـ ١٨].

وقد ذكر الله تعالى من أوصاف المتَّقين: أنَّهم يسارعون إلى الاستغفار كلَّما وقعوا في المعصية، قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٣٥]. فالمتقون ليسوا أنبياء معصومين، ولا ملائكة مُطهَّرين، هم بشر من البشر، يمكن أن يقعوا في المعصية.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (١١٤٥)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ولكن مزيَّتهم على غيرهم: أنَّهم إذا وقعوا في المعصية سارعوا إلى الاستغفار، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾: ارتكبوا كبيرة، ﴿أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾: ارتكبوا صغيرة، ﴿ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؟ هل هناك أحد غير الله يغفر الذنوب؟ هل هناك أحد فتح بابه على مصراعيه للمذنبين ليتوبوا ويستغفروا غير الله؟ ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]. فالاستغفار هو ممَّا يمحو الذنوب، ويغسل الإنسان من الخطايا إذا كان استغفارًا باللسان صادرًا عن قلب، وليس مجرد كلام باللسان، فهذا هو الَّذي قال بعض السلف عنه: إن استغفارنا يحتاج إلى استغفار. تحتاج أن تستغفر الله من كلمة (أستغفر الله) الَّتي قلتها بلسانك؛ وأنت مُصرٌّ على المعصية؛ كأنَّما تستهزئ بربك، فالاستغفار من مغاسل الذنوب ومطهّراتها.

٤ ـ الطاعات المختلفة:

ومن مغاسل الذنوب: الطاعات المختلفة، الفرائض والنوافل، الصلاة والصدقة والصيام والحج والعمرة، وغيرها، وقبل الصلاة الوضوء، إذا توضَّأت تخرج الخطايا من أظفارك؛ كما جاء في حديث سيِّدنا عثمان رضي الله عنه [(١)]، وأنت تغسل هذا الغسل الظاهر هناك غسل باطن أنت لا تحس به، كلَّما غسلت عضوًا طهَّرته من المعصية، فإذا صلَّيت ركعتين لا تُحدِّث نفسك فيهما بشيء من أمور الدُّنيا غُفر لك، هكذا صحَّ عن رسول الله ﷺ [(٢)].

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٤٥)، وأحمد (٤٧٦)، عن عثمان بن عفان.
(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٣٣)، وأحمد (٤٥٩)، عن عثمان.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والصلوات الخمس مُكفِّر يومي، مغسلة يوميَّة، تطهير يومي، يقول النبي ﷺ: «**أرأيتم لو أنَّ نهرًا بباب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرَّات، هل يبقى من دَرَنِه شيءٌ؟**» قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «**فذلك مثل الصَّلوات الخَمْس، يمحو اللهُ بهنَّ الخطايا**»(١).

ويقول الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]. ويقول النبي ﷺ لأبي ذر: «**اتَّقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق النَّاس بخلق حسن**»(٢).

إذا اقترفت سيئة أتبعها بحسنة، تطاردها هذه الحسنة حتَّى تنمحي من كتابك ولا يبقى لها أثر، «**أتبع السيئة الحسنة تمحها**»، خصوصًا إذا كانت الحسنة من جنس السيئة، إذا اغتبت إنسانًا: تكلَّم عنه بخير في المجالس، وإذا أسأت إلى أقاربك: صلهم وأحسن إليهم، وإذا نشرت مقالة سوء: انشر مقالة خير بدلها، وهكذا، فالصَّلوات الخمس مغسلة يوميَّة، ومطهِّر يوميٌّ للذنوب.

وصلاة الجمعة مغسلة أسبوعيَّة، هذه الصلاة الَّتي نجتمع إليها، ونسعى فيها إلى ذكر الله ونذر البيع؛ هي من مُكفِّرات الأسبوع، ولذلك جاء في الصحيح عن النبي ﷺ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مُكفِّرات لما بينهنَّ إذا اجتنبت الكبائر**»(٣).

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٢٨)، ومسلم في المساجد (٦٦٧)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢١٩٨٨)، وقال مخرِّجوه: حسن. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٧) وقال: حسن صحيح. والحاكم في الإيمان (٥٤/١) وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧)، عن معاذ بن جبل.

(٣) رواه مسلم في الطهارة (٢٣٣)، وأحمد (٩١٩٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فالكبائر تحتاج إلى توبة خاصَّة، أمَّا الصغائر الَّتي يقع النَّاس فيها، ينظر إلى ما لا يجوز، ويسمع ما لا يحل، ويبطش بيده ورجله إلى ما لا يليق، هذه الصغائر اليوميَّة الَّتي تتكرر من الإنسان في حاجة إلى مُطَهِّرات، وهذه الأمور تطهِّرها.

وهناك مُطَهِّر شهري: صيام الثلاثة الأيام البيض: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من كل شهر قمري، فهذه مكفِّرات.

وهناك مُطَهِّر سنوي: صيام رمضان وقيامه، كما قال النبي ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه**»[١] «**مَنْ صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه، ومَنْ قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه**»[٢].

ولذلك جاء في الحديث أنَّ النبي ﷺ رقى المنبر، فلما رقى الدرجة الأولى قال: «**آمين**». ثمَّ رقى الثانية فقال: «**آمين**». ثمَّ رقى الثالثة فقال: «**آمين**». فقالوا: يا رسول الله، سمعناك تقول: آمين، ثلاث مرَّات؟ قال: «**لمَّا رقيت الدرجة الأولى، جاءني جبريل عليه السلام فقال: شقي عبد أدرك رمضان، فانسلخ منه ولم يغفر له، فقلت: آمين. ثمَّ قال: شقي عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنَّة، فقلت: آمين. ثمَّ قال: شقي عبد ذُكرتَ عنده ولم يصلِّ عليك. فقلت: آمين**»[٣]. جاءه رمضان ولم يستفد منه بحُسن

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣٧)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٩)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصوم (١٩٠١)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه الطبراني (١٤٤/١٩)، والحاكم في البر والصلة (١٥٣/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٣١٧): رواه الطبراني، ورجاله ثقات. وقال الألباني في صحيح الترغيب (٩٩٥): صحيح لغيره. عن كعب بن عجرة.

QaradawiBooks.com

صيام ولا بحُسن قيام؛ فلم يغفر له، هكذا دعا جبريل، وهكذا أمَّن عليه رسولُ الله ﷺ، ففي شهر رمضان فرصة سنويَّة للتطهر من الذنوب.

وهناك فرصة في العمر للتطهُّر من الذنوب، وهي فرصةُ الحج، فرض الله الحجَّ إلى بيته الحرام مرَّة في العمر تخفيفًا عن النَّاس، وتيسيرًا عليهم، لما فيه من مشقة بدنيَّة، ومشقة ماليَّة، وهجرة ورحلة، ففرضه الله مرَّة في العمر، وفي الحديث: «**مَنْ حجَّ فلم يرفثْ ولم يفسقْ رجع من ذنوبه كيوم ولدتْه أمُّه**»(١).

وهناك حج أصغر أعطاه الله للناس هو العمرة، فالعمرة هي الحج الأصغر، وقد قال ﷺ: «**العمرة إلى العمرة كفَّارة لما بينهما، والحجُّ المبرور ليس له جزاء إلَّا الجنَّة**»(٢).

كل هذه مُكفِّرات منحها الله للإنسان المسلم إذا سقط في أوحال الذنوب، فلم يتركه للذنوب تفترسه؛ بل أنقذه بهذه المطهِّرات يتقوَّى بها، ويغتسل بها، كما كان النبي ﷺ يدعو ربه ويقول: «**اللهمَّ باعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين ما بين المشرق والمغرب، اللهمَّ اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد، اللهمَّ نقني من الخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس**»(٣). يريد أن يلقى الله أبيض الصفحة، طاهرًا من كل شيء.

على المسلم أن يستحضر هذا في نفسه، أن يتقرَّب إلى الله بهذه المُطهِّرات والمقرِّبات من الله: الآنية، واليومية، والأسبوعية، والشهرية، والسنوية، والعمرية، فأمامه الفرص متاحة.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠)، كلاهما في الحج، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩)، كلاهما في الحج، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٤٤)، ومسلم في المساجد (٥٩٨)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

٥ ـ الجهاد في سبيل الله:

وهناك مُطَهِّرات ليس لها وقت معين، وإنَّما تأتي بظروفها، مثل الجهاد في سبيل الله، والهجرة في سبيل الله، إذا جاءت ظروفها أقبل الإنسان عليها، واستفاد منها، وتطهَّر بها.

وقد لا يستطيع الإنسان أن يجاهد بنفسه، أن يحمل البندقية، وأن يقاتل في سبيل الله، ولكنَّه يستطيع أن يجاهد بماله أعداء الله، ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١]، ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١١].

إذا لم تستطع أن تجاهد بنفسك فجاهد بمالك، جاهد بمقاطعة أعدائك وأعداء دينك، بمقاطعة بضائعهم، لا تَفْتُر عن هذا، لا تتكاسل كما رأينا بعض النَّاس الآن يتكاسلون، كان النَّاس في حماس ويقظة ووعي، وبدؤوا يقاطعون هذه البضائع حتَّى اشتكى أولئك وصرخوا، ولكن رأيت النَّاس بعد حين يسترخون كما هي عادة البشر، والمؤمن لا يسترخي، المؤمن واعٍ دائمًا، يعرف ما له وما عليه، يعرف صديقه وعدوَّه، والمعركة مستمرَّة، والانتفاضة مستمرَّة، المعركة مع الصهيونية ومع أعداء الله لم تنتهِ.

الجهاد فرصة للإنسان، يجاهد بما استطاع، وهناك جهاد بالدعوة إلى الله، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٢]. أي بالقرآن، والنبي ﷺ يقول: «**جاهدوا المشركين بأيديكم وأموالكم وألسنتكم**»[(١)]. فجهاد اللسان هو جهاد الدعوة والبيان، وإقامة الحُجَّة.

(١) رواه أحمد (١٢٢٤٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود (٢٥٠٤)، والنسائي (٣٠٩٦)، كلاهما في الجهاد، وابن حبان في السير (٤٧٠٨)، والحاكم في الجهاد (٨١/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن أنس.

QaradawiBooks.com

٦ ـ البرُّ والصلة والإحسان:

هناك فرص كثيرة أيُّها الإخوة للاغتسال من الخطايا، وهناك بعد ذلك البر والصلة والإحسان، هذه من أعظم المُكفِّرات، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يقول: يا رسول الله، أذنبت ذنبًا؛ فهل لي من توبة؟ قال: «**ألك أُمٌّ؟**» قال: لا. قال: «**ألك خالة؟**» قال: نعم. قال: «**اذهب فبرَّها**»[(١)]. لو كانت أمُّه حيَّةً لكان عليه أن يبرَّها؛ ليُكفِّر هذه الخطيئة الَّتي وقع فيها، أمَا وقد ماتت أُمُّه فالخالة أُمٌّ، صلة الأرحام تُكفِّر الخطايا، بر الوالدين أولًا، وصلة الأرحام ثانيًا.

وقد قال النبي ﷺ: «**رغِم أنفُه، ثمَّ رغِم أنفُه، ثمَّ رغِم أنفُه: مَنْ أدرك أبويه أو أحدهما عند الكِبر فلم يُغفر له**»[(٢)]. كانت أمامه فرصة لمغفرة خطاياه وتكفير سيئاته، وقد أدرك أبويه عند الكبر، في الحالة الَّتي يحتاجان إليه فيها، وهي الَّتي قال الله فيها: ﴿**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا**﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤].

وكل إحسان إلى النَّاس يُكفِّر الذنوب، ويطهِّر من الخطايا، «**الصدقة تُطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماءُ النار**»[(٣)]، خصوصًا صدقة

---

(١) رواه أحمد (٤٦٢٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في البر والصلة (١٩٠٤) موصولًا ومرسلًا، ورجح المرسل، وابن حبان في البر والإحسان (٤٣٥)، عن ابن عمر.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٥١)، وأحمد (٧٤٥١)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٢٢١٣٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الإيمان (٢٦١٦)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٦)، عن معاذ بن جبل.

QaradawiBooks.com

السر، فـ «**صدقة السِّر تُطفئ غضب الرب**»[١]، أن يتصدَّق الإنسان بحيث لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، هذا من أعظم الأعمال عند الله.

والإحسان مطلوب إلى كل النَّاس، حتَّى من أساء إليك، فمن أساء إليك أحسن أنت إليه، لا تقابل السيئةَ بالسيئة، ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، هذا هو شأن الإنسان المؤمن.

بل أحسن إلى كل مخلوقات الله، أحسن إلى المسلمين وغير المسلمين، ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، ما داموا مسالمين للمسلمين، غير معادين ولا كائدين لهم؛ فبرهم وأقسط إليهم.

بل أحسن إلى الحيوانات، هذه المخلوقات العجماء، «**اركبوها صالحة، وكلوها صالحة**»[٢]، «**دخلت امرأة النَّار في هِرَّة حبستها**»[٣]، و«**دخلت بَغِيٌّ الجنَّة في كلب سقته**»[٤]، امرأة بَغِيٌّ تتكسَّب بفرجها، تتكسب بالزنا، ولكن كان فيها بقية من خير.. رأت كلبًا يلهث من شدَّة العطش؛ فنزعت خفها، وأوثقته بخمارها، ونزلت إلى البئر وجلبت الماء، وسقت الكلب حتَّى ارتوى، فدلَّ هذا على أنَّ فيها بقايا خير، فغفر الله لها ما قدَّمته من خطيئة، فالإحسان إلى الخلق من مُطَهِّرات الذنوب.

---

(١) رواه الطبراني (٢٦١/٨)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (١٣١٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤٦٣٧)، عن أبي أمامة.

(٢) رواه أبو داود في الجهاد (٢٥٤٨)، وابن خزيمة في المناسك (٢٥٤٥)، وصحَّح إسناده النووي في رياض الصالحين (٩٦٦)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٣)، عن سهل ابن الحنظلية.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٣٢١)، ومسلم في السلام (٢٢٤٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

هناك مُطَهِّرات أمام الإنسان يستطيع أن يستفيد منها، ومن هذه المُطهِّرات ما يقع للإنسان من مصائب الدُّنيا، لا يخلو الإنسان من حوادث وبلاء ينزل به، أصبح أو أمسى، في ليل أو نهار، مَنْ ذا الَّذي يخلو من مصائب هذه الدُّنيا، وهي بالكدر معروفة، وبالغدر موصوفة؟ لا يخلو إنسان من كدر ينزل به، كل ما ينزل بك يخفِّف عنك.

لما نزل قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣]. بكى سيِّدنا أبو بكر، وقال: يا رسول الله، ما عملنا من سوء إلَّا جزينا به؟ فقال له النبي ﷺ: «**يا أبا بكر، لا تحزن ولا تبكِ، ألست تمرض؟ ألست تؤذَى؟ ألست تحزن؟ ألست كذا؟**». قال: بلى. قال: «**فهذا ممَّا يُكفر عنك**»[(١)].

وقال النبي ﷺ: «**ما من مسلم يُصيبه هَمٌّ ولا غَمٌّ، ولا نَصَب ولا وَصَب، ولا حزن ولا أذى، حتَّى الشوكة يُشاكها إلَّا كفَّر الله بها من خطاياه**»[(٢)]. خصوصًا إذا احتسب ما يصيبه، ولم يسخط على قدر الله ولم يجزع؛ فإن هذا يكون في ميزانه، ولذلك كان «**أشد النَّاس بلاء في الدُّنيا هم الأنبياء، ثمَّ الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على قدر دينه، فإذا كان دينه صُلبًا اشتدَّ بلاؤه، وإذا كان في دينة رقَّة ـ خفة وضعف ـ ابتلي على قدر دينه، وما يزال البلاء ينزل بالعبد، حتَّى يمشي على الأرض**

(١) رواه أحمد (٦٨)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده. وابن حبان (٢٩١٠)، والحاكم (٧٤/٣)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي. كلاهما في الجنائز، عن أبي بكر الصديق.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٤١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧٣)، عن أبي سعيد الخدري، وعن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وليس عليه خطيئة»[١]. نُفضِت عنه خطاياه، وغُسلت تمامًا بهذا البلاء الَّذي نزل به.

وإذا عُوقب الإنسان في الدُّنيا عقوبة شرعيَّة: أقيم عليه الحد أو نحو ذلك، طهَّرته العقوبة، كما قال النبي ﷺ: «**مَنْ أتى شيئًا من هذه القاذورات المنهي عنها؛ فعوقب به في الدُّنيا فهو كفارة له**»[٢].

كل هذه مغاسل أيُّها الإخوة المسلمون، مغسلة بعد مغسلة، يؤتاها الإنسان في هذه الدنيا؛ حتَّى يخرج منها متطهِّرًا، والكيِّس العاقل الحكيم مَنْ استفاد من هذه المُطهِّرات، مَنْ لم يدع نفسه فريسة للمعاصي والخطايا، مَنْ حاول أن يقهر الشيطان بهذه المطهرات؛ ليطهِّر نفسه بها كلَّما وقع في معصية، ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥]، الأوَّاب هو كثير العودة إلى الله، كلَّما وقع في ذنب آب إلى ربه وعاد إليه بالتوبة والاستغفار، فكونوا من هؤلاء عسى الله تعالى أن يغفر لنا ويرحمنا ويتوب علينا، ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) رواه أحمد (١٤٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٩٨)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى في الطب (٧٤٨١)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) رواه الحاكم في التوبة (٢٤٤/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وقال العراقي في تخريج الإحياء صـ١٠٣٠: إسناده حسن، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

١٩

تفجيرات مسرح قطر عمل مستنكَر(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

في يوم السبت الماضي التاسع عشر من شهر مارس حدث حادث غريب على هذا البلد الآمن المطمئن، غريب على أهل قطر وعلى سكَّان قطر، هذا الحادث قد عرفتموه وأبديتم استنكاركم له، واحتجاجكم عليه، هذا الحادث هو: التفجير الَّذي حدث في أحد المسارح، وبجوار إحدى المدارس، وأُصيب من أُصيب فيه، وكان يمكن أن تكون الواقعة أكبر من ذلك، وأن تكون ضحاياها أكثر لولا لطف الله تعالى، قُتل فيها مدرس أجنبي يُدرِّس اللغة الإنجليزية، وأُصيب فيها من أُصيب من التلاميذ والأطفال والنساء والرِّجال.

عدد قليل، والحمد لله.

ماذا وراء هذا الحادث؟

ولكن المشكل ماذا وراء هذا الحادث؟ ما الَّذي جعل إنسانًا مسلمًا

(١) أُلقيت في جامع عمر بن الخطَّاب بالدوحة في ٢٥ مارس ٢٠٠٥م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يعيش في قطر يرتكب مثل هذا الحادث الأحمق، الَّذي لا يدفع إليه عقل عاقل ولا دين متدين؟

لا نستطيع أن نُعمِّم كما يُعمِّم الكثير من النَّاس؛ ندين كلَّ المصريين لأن هذا مصري، ندين كلَّ المهندسين لأن هذا مهندس، ندين كلَّ المسلمين لأن هذا مسلم، أو ندين كلَّ المتدينين لأن هذا متدين.

هذا خطأ، لا بدَّ أن نبحث ونحلِّل، ماذا وراء هذا العمل مِن دوافع وأسباب؟

قالوا عن الرَّجل: إنَّه رجل مستقِيم متديِّن يعيش عيشة طيِّبة، يعمل في مؤسسة مرموقة، يتقاضى راتبًا جيدًا، ويعيش في أسرة مستقرَّة، له زوجة وله أولاد، ولم يشكُ أحد من رفقائه ولا من زملائه من سوء خُلقه ولا من سوء معاملته.

فهْم أعوج ومنطق أعوج:

ما الَّذي دفع هذا إذن إلى ارتكاب مثل هذا الحادث الأحمق؟

لا بدَّ ـ أيَّها الإخوة ـ أن يكون هناك خلل في الفكرة، آفة كثير من النَّاس الَّذين عرفناهم وجرَّبناهم في عدد من الأقطار العربيَّة والإسلاميَّة، عرفناهم في مصر، عرفناهم في الجزائر، عرفناهم في الرياض في السعودية، عرفناهم في المغرب، عرفناهم في باكستان، عرفناهم في بلاد الخليج، عرفناهم في بلاد شتَّى.

آفة هؤلاء في عقولهم في أفهامهم في فهمهم الأعوج، في فهمهم الأعرج، في فهمهم للدين وفهمهم للحياة.

غير مرخصة للطباعة

هذه هي آفة هؤلاء، تلقَّى أحدهم من أُناس لا نعلم ما هي معرفتهم بالدين، فتفقَّه تفقُّهًا أعوج فيه خلل من جهات عدَّة، استباح حُرمة الدماء، واستباح حُرمة الأموال، واستباح حُرمة الأمن فروَّع الآمنين، واستباح حُرمة الخَلق، وإيذاء الخَلق.

هذه الحرمات المصونة في الإسلام استباح هذا بهذا الفقه الأعوج الأعرج الَّذي ورثه عن أسلاف سابقين، عرفتهم الأمَّة الإسلاميَّة في تاريخها، هؤلاء الأسلاف كانوا صوَّامًا قوَّامًا عبَّادًا قرَّاء للقرآن، يصومون النَّهار ويقومون الليل، ومع هذا استباحوا دماء المسلمين.

الخوارج الَّذين جاءت الأحاديث في ذمِّهم من عشرة أوجه كما قال الإمام أحمد.

هؤلاء كما قال الرسول ﷺ: «**يَحْقِر أحدُكم صلاتَه إلى صلاتهم، وقيامه إلى قيامهم، وصيامه إلى صيامهم، وقراءته إلى قراءتهم**»[1].

هكذا كان وصفهم في العبادة، ولكن «**يمرقون من الدِّين كما يمرق السَّهم من الرَّمِيَّة**»، يدَعون أهل الأوثان ويقتلون أهل الإسلام، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم.

هذه آفتهم.

قرَّاء للقرآن، ولكن القراءة لا تجاوز الحناجر، لا تنتقل من الحناجر إلى الرأس، وإلى القلب حتَّى يفقهوه حقَّ فقهه، وحتى يؤثِّر في فهمهم وسلوكهم.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦١٠)، ومسلم في الزَّكاة (١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

آفة هؤلاء ليست في نيَّاتهم، ليست في ضمائرهم؛ آفتهم في رؤوسهم، في عقولهم.

هكذا كان الخوارج قديمًا، وهكذا كان هؤلاء حديثًا.

الخوارج استباحوا دماء المسلمين، استباحوا أموال المسلمين، حتَّى إنَّهم استباحوا دم ابن الإسلام البكر، فارس الإسلام، وحكيم الأمَّة: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، استباحوا قتله وقتلوه، افتخر بذلك شاعرهم[1]، يمدح قاتل علي رضي الله عنه، يقول:

يا ضربةً من تَقِيٍّ ما أراد بها ... إلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذي العَرْشِ رِضْوَانا

إنِّي لأذكُرُه يومًا فأَحسبُهُ ... أوفى البَرِيَّةِ عند الله مِيزَانا

قاتل علي بن أبي طالب، زوج البتول، وابن عمِّ الرسول، قال عن قاتله: «أحسبه أوفى البرية عند الله ميزانًا» هذا هو الخلل.

الإخلاص وحده لا يكفي:

رأينا هؤلاء الشَّباب المغرَّرين المضلَّلين، المخلِصين في نياتهم، المختلِّين في عقولهم، رأينا هؤلاء يستبيحون حُرمة الدماء، وللدماء حُرمة عظيمة في الإسلام وفي كلِّ الأديان، كما قرَّر القرآن مع كتب السماء: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

فكأنما قتل النَّاس جميعًا.

(١) هو عمران بن حطَّان السدوسي يمدح ابن ملجم ـ قبَّحه الله ـ في قتله أمير المؤمنين عليًّا رضي الله عنه. انظر: الملل والنِّحل (١/١٢٠)، نشر مؤسسة الحلبي.

QaradawiBooks.com

الاجتراء على قتل النَّفس الواحدة كالاجتراء على قتل الآلاف، يقول النَّبي ﷺ: «**لزوال الدُّنْيا أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حقٍّ**»(١)، وليس قتل المسلم فقط هو المحرَّم، قتل المعاهد، قتل المستأمن، من كان له عهد فلا بدَّ أن يُرعى عهده: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النَّحل: ٩١]، ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

جاء بعض النَّاس بعد صلح الحديبية، نفر من أهل قريش، نفر ينضمُّ إلى الرسول يحاربون معه، قال: «**نَفِي لهم بعهدهم، ونستعين اللهَ عليهم**»(٢).

نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم، لا نغدر، الغدر من صفات المنافق، وليس من صفات المؤمن.

المنافق «**إذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»(٣)، والمؤمن ليس كذلك.

يقول النَّبي عليه الصلاة والسلام: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنَّة ـ لم يشم رائحة الجنَّة ـ وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا**»(٤).

وإذا عاهد المسلم عهدًا مؤبَّدًا أو مؤقَّتًا، إذا أعطى المسلمون أحدا أمانًا، إذا أعطاه الحاكم، إذا أعطاه أي فرد من الرعية، إذا أعطته امرأة، فلا يجوز لأحد أن يخرق هذا الأمان.

---

(١) رواه الترمذي في الديات (١٣٩٥) مرفوعًا وموقوفًا، ورجح الموقوف، والنسائي في تحريم الدم (٣٩٨٧)، والبيهقي في النفقات (٢٢/٨)، وصحَّحه السيوطي في الصغير (٧٢٣٦)، والألباني في غاية المرام (٤٣٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه مسلم في الجهاد (١٧٨٧)، وأحمد (٢٣٣٥٤)، عن حذيفة بن اليمان.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨)، كلاهما في الإيمان، عن عبد الله بن عمرو.

(٤) رواه البخاري في الجزية (٣١٦٦)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

أم هانئ بنت أبي طالب أعطت بعض أحمائها ـ أقارب زوجها ـ من المشركين أمانًا، وأراد أخوها عليٌّ أن يخترق هذا الأمان، فشكته إلى النَّبي ﷺ فقالت: إنِّي أجرت فلانًا، وأراد ابن أمي أن يفعل كذا وكذا! فقال: «**لقد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»[١].

قتل المستأمنين لا يجوز:

ولذلك قرَّر العلماء: لو أن امرأة مسلمة أعطت مشركًا محاربًا عهدًا وأمانًا، فلا يجوز أن نفرِّط في هذا الأمان، فكيف إذا أعطته الدولة أمانًا؟ أعطته تأشيرة لا يدخل بهذه التأشيرة شكٌّ أنَّها أمان، أعطته إقامَة ليعمل في البلد، وماذا يعمل؟ يعمل مدرسًا أو خبيرًا أو أي شيء كهذا، كيف تُستباح حُرمته؟

في الإسلام، له احترامه ولا يجوز أبدًا خرقه، في الإسلام لا يجوز أبدًا أن تغدر، ولا يجوز أن تخرق عهدًا.

هؤلاء استباحوا حُرمة الدماء، واستباحوا حُرمة الأموال.

حُرمة الدماء والأموال:

الإسلام يحافظ على الأموال: أموال الأشخاص، والمال العام، لا يجوز إضاعة المال، النَّبي ﷺ ينهى عن إضاعة المال[٢]، أو إهدار المال، أو إسراف المال، وكلُّ مال له احترامه، وخصوصًا مال الجماعة، وخصوصًا مال الأمَّة.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصَّلاة (٣٥٧)، ومسلم في صلاة المسافرين (٣٣٦)، عن أم هانئ بنت أبي طالب.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاستقراض (٢٤٠٨)، ومسلم في الأقضية (٥٩٣)، عن المغيرة بن شعبة.

QaradawiBooks.com

العلماء قالوا: المال العام مثل مال اليتيم، أي: تشتدُّ الحرمة فيه، ويشتدُّ الإثمُ في إهداره؛ لأنَّه ليس مال زيد ولا عمرو، بل مال الأمَّة كلِّها.

الذي يدمِّر مبنى، أو يدمِّر مدرسة، أو يحرِق سيارة، أو يفعل كذا... هذا لا يجوز، الأموال لها حُرمتها.

الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

﴿أَمْوَٰلَكُم﴾ لم يقل: لا تأكل مال غيرك؛ لأنَّه اعتبر مال الغير مالك، مال المجتمع.

نعمتان من أعظم النِّعم:

لا بدَّ أن يتعاون المجتمع على صيانة الأموال، لا يجوز إهدار الأموال، استهانوا بحُرمة الدماء، واستهانوا بحُرمة الأموال، واستهانوا بحُرمة الأمن، الَّذي هو نِعمة من أعظم النِّعم الَّتي امتنَّ الله بها على قريش، وطالبهم بعبادته وحده شكرًا لهذه النِّعمة، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۞ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾ [قريش: ٣، ٤].

﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم﴾، هاتان النِّعمتان اللتان يبحث عنهما النَّاس، الكفاية من العيش والأمن من الخوف.

نِعمة الأمن:

لا يكفي أن تكون في رغد من العيش، إذا كنت تعيش خائفًا على نفسك، خائفًا على عِرضك، خائفًا على أهلك، خائفًا على مالك.

قال أحد الحكماء وقد سُئل عن السعادة قال: السعادة في الأمن؛ فإنِّي رأيت الخائف لا عيش له.

غير مرخصة للطباعة
نسخة خاصة
QaradawiBooks.com

الذي يعيش في خـوف ورُعب فهذا لا عيش لـه، لا ينعم بالعيش، ولذاك امتنَّ الله بهذه النِّعمة.

وحينما دخـل يعقوب وأولاده إلى مصر قال لهم يوسـف الصِّديق: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

﴿ءَامِنِينَ﴾؛ لأن الأمن أهمُّ شيء.

من صفات الجنَّة أنَّها دار أمن، يقال لأصحاب الجنَّة: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦].

ومن أوصاف أهل الجنَّة أنَّهم ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يُونس: ٦٢].

منَّ الله على قوم سبأ أنَّهم كانوا يسيرون في أسفارهم سالمين آمين، ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨].

الأمن نِعمة عظيمة، الأمن وكفايـة العيش، فإذا حرمهما مجتمع فقد ابتلي بشـرٍّ بلية، كما حكـى الله عن قوم فقـال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [النَّحل: ١١٢].

الجوع والخوف بدل كفاية العيـش والأمن، أذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون.

اعتبر الرسـول ﷺ أنَّ الإنسـان حين يكون آمنا في سِـربه.. في نفسـه وجماعته: من مقوِّمات السعادة الأساسية فقال: «**من أصبح منكم آمنًا في سِربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنَّما حِيزت له الدُّنْيا بحذافيرها**»(١).

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وقال: حسـن غريب. وابن ماجه (٤١٤١)، كلاهما في الزهد، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٢٣١٨)، عن عبيد الله بن محصن الأنصاري.

QaradawiBooks.com

هذه الثلاثة:

١ ـ الأمن في السِّرب، أمن الإنسان في نفسه وجماعته.

٢ ـ العافية في البدن، ألَّا يشكو من مرض يؤلمه.

٣ ـ عنده قوت يومه، ليس من الضروري أن يكون عنده الملايين، أن يكون مطمئنًّا على قوت يومه.

فكأنَّما حيزت له الدُّنْيا بحذافيرها، كأنَّما عنده القناطير المقنطرة من الذهب والفضَّة.

ولذلك حينما يهلُّ الهلال من كلِّ شهر يطالعه المسلم في السماء ويقول: «**اللهمَّ أهلَّه علينا بالأمن والإيمان والسَّلامَة والإسلام، ربي وربُّك الله**»[1].

بالأمن والإيمان والسَّلامَة والإسلام.

كما يبحث الإنسان عن الإيمان يبحث عن الأمن، وكما يبحث عن الإسلام يبحث عن السَّلامة.

فهؤلاء استباحوا حُرمة الأمن، وروَّعوا الآمنين في دين يحرِّم ترويع الآمنين بأي سبب من الأسباب.

في غزوة من الغزوات خفق أحد الصَّحابة على راحلته، أخذته سِنة من النَّوم، فأراد أحد الصَّحابة أن يمازحه، وكان معه كنانة فيها سهام

(١) رواه أحمد (١٣٩٧)، وقال مخرِّجوه: حسن لشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٤٥١)، وقال: حسن صحيح. والدارمي في الصوم (١٧٣٠)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٨١٦)، عن طلحة بن عبيد الله.

QaradawiBooks.com

فأخذ سهمًا من كنانته في هدوء وخفية، ففزع الرَّجل من النَّوم، ورأى النَّبي ﷺ هذه الفزعة فقال: «**لا يحلُّ لرجل أن يروِّع مسلمًا**»(١).

هذا الترويع الخفيف الَّذي هدفه المزاح والمداعبة لا يحلُّ، يحرم عليك أن تفزع أخاك، تقلقه من نومه، وقد خفق من تعبه ومعاناته، لا يحلُّ لرجل أن يروِّع مسلمًا.

وقوله: «**يروِّع مسلمًا**»، ليس أن ترويع غير المسلم جائز.

لا؛ الرسول ﷺ يقول في حديث آخر: «**المسلم من سلم النَّاس من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه النَّاس على دمائهم وأموالهم**»(٢).

أمنه النَّاس كلّ النَّاس.

الأمن للنَّاس كلِّ النَّاس، والعدل للنَّاس كلِّ النَّاس؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النِّساء: ٥٨].

هؤلاء استباحوا ترويع الآمنين في هذا المجتمع الَّذي يعيش النَّاس فيه في حرِّية، متمتِّعين بالنشاط والحركة لا يجدون تضييقًا، ولا يجدون تشديدًا، ولا يجدون إحراجًا.

هذه الأعمال الحمقاء، هي الَّتي تسبِّب الإحراج والتضييق.

هؤلاء استباحوا كذلك إيذاء الخَلق، لا يجوز للإنسان أن يؤذي أحدًا؛ الإسلام رحمة، هكذا وصف الله هذا الدين، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

---

(١) رواه أحمد (٢٣٠٦٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأدب (٥٠٠٤)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٤٧)، عن رجال من أصحاب النبي ﷺ.

(٢) رواه أحمد (٨٩٣١)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. والترمذي (٢٦٢٧)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٤٩٩٥)، وابن حبان (١٨٠) ثلاثتهم في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وعبَّر النَّبي ﷺ عن نفسه وعن شخصيته ووظيفته فقال: «**إنَّما أنا رحمة مهداة**»[١]، هو رحمة مُهداة، ونِعمة مُسداة، رحمة للعالمين، ونِعمة للمؤمنين.

فلا يجوز للمسلم أن يتقرَّب إلى الله بإيذاء الآخرين، وهم لم يؤذوه، لم يرتكبوا في حقّه إثمًا.

لماذا يؤذي هؤلاء النَّاس؟

هؤلاء الَّذين كانوا يحضرون هذه المسرحية، مَن كان يحضرها في المدارس الأجنبيَّة الَّتي تعلِّم النَّاس هنا، ربما كان لي بعض التحفُّظات على هذه المدارس، ولكن هذا شيء، وأن تقتل أولادها شيء آخر.

تلاميذ صغار كيف يُستباح قتلهم؟!

أخلاقنا الحربيَّة:

الإسلام في الحرب العلنية الرسميَّة الَّتي تتواجد فيها الجيوش مع الأعداء المحاربين يقول النَّبي ﷺ فيما رواه مسلم في حديث بريدة: «**ولا تقتلوا وليدًا**»[٢].

ولا تقتلوا وليدًا؛ الأطفال لا يجوز قتلهم، فكيف نقتل هؤلاء الأطفال، ومعظمهم من أطفال العرب والمسلمين؟

وهب أنَّ منهم من كان من أبناء الأجانب، من يبيح لنا قتل هؤلاء الأبناء؟ من يبيح لنا قتل الأجنبي الَّذي يعمل مدرسًا، وقد أُعطي الأمن منَّا، مِن الدولة والمجتمع؟ من يستبيح هذا؟

---

(١) رواه الحاكم في الإيمان (٣٥/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٠)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الجهاد والسِّيَر (١٧٣١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هذا أمر لا تجوز استباحته، هؤلاء ارتكبوا أفعالًا ليست من الإسلام بحال من الأحوال.

نحن ـ أيَّها الإخوة ـ نقول لهؤلاء: أصلحوا هذا الخلل في رؤوسكم، في فقهكم، هذا الفقه الأعوج، يجب أن يستقيم، من أين أخذتم هذا الفقه؟

التيار الوسطي لا يعرف العنف:

قالت جريدة الشرق الأوسط: إن هذا المتهم بارتكاب الحادث، أو الَّذي فعل الحادث لم يكن ممن يصلُّون خلف الشَّيخ القرضاوي في مسجد عمر بن الخطَّاب، هذه شهادة تهمنا.

أنا أعتقد أنَّ الَّذين يصلُّون في هذا المسجد، يصلُّون وراءنا التراويح كلَّ عام لا يمكن أن يرتكب أحد منهم الحادث الأحمق الفاجر، لا يمكن؛ فقد استنارت عقولهم بالإسلام الصحيح.

هؤلاء لا نعرف مَن شيوخهم؟ مَن أساتذتهم الَّذين أخذوا عنهم، واقتبسوا منهم، وتتلمذوا عليهم؟

إنَّ الإسلام لا يجيز قتل كلِّ كافر غير مسلم، مَن قال هذا؟

اقرءوا سورة الممتحنة، نزلت في الوثنيين المشركين، قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

نهى عن موالاة المحاربين وأمر ببرِّ المسالمين، البرُّ إليهم والإقساط إليهم: أن نعاملهم بالقسط والبرِّ والعدل، والبرُّ هو: الإحسان. القسط: أن

QaradawiBooks.com

تعطيهم الحقَّ الَّذي لهم، البرُّ أن تزيد لهم شيئًا فوق الحقِّ، القسط: أن تأخذ حقَّك منهم، البرُّ: أن تتنازل عن بعض حقِّك.

﴿تَبَرُّوهُمْ﴾ عبَّر القرآن عن العلاقة بهؤلاء بلفظة «البرِّ» الَّتي نستخدمها في أقدس الحقوق بعد حقِّ الله: حقُّ الوالدين؛ نقول: برُّ الوالدين ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾.

ألا تزر وازرة وزر أخرى:

ربَّما قال البعض: إن هذا من البريطانيين الَّذين يحاربوننا.

ولكن ـ أيَّها الإخوة ـ من الظلم أن نحمِّل جميع البريطانيين أو حتَّى جميع الأمريكيين إثم حكوماتهم.

لقد خرجت مسيرات مليونية في بلاد دخلت الحرب في العراق، في بريطانيا، في إسبانيا، في إيطاليا، حكوماتها دخلت الحرب والشُّعوب تحتجُّ على هذا بالملايين.

هل يجوز لي أن أقتل هؤلاء؟ هل يجوز لي أن أقتل عمدة لندن الَّذي وقف يدافع عن القضية الفلسطينية، ويدافع عن دعاة الإسلام؟ هل يجوز أن نقتل هؤلاء؟

نريد لهؤلاء أن يتفقَّهوا في الدين، وأن يعرفوا الحُرمة، عندهم خلل في فقه الجهاد، ظنُّوا الجهاد أن نحارب العالم كلَّه، الله تعالى يقول: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النِّساء: ٩٠] إنَّما نحارب من قاتلونا في الدين، وأخرجونا من ديننا وظاهروا على إخراجنا.

QaradawiBooks.com

مشكلة هؤلاء أنَّ أحدهم يعطي نفسه سلطة الإفتاء وسلطة القضاء وسلطة التنفيذ، هو أفتى بنفسه من معلومات وقشور تعلَّمها من هنا وهناك، أو من بعض الشيوخ الَّذين لا يحسنون أن يعلموا، أعطى نفسه سلطة الإفتاء، وأفتى نفسه، ثمَّ سلطة القضاء، وحكم أنَّه يجب أن يفعل كذا، ثمَّ سلطة التنفيذ؛ فهو النيابة والقضاء والشرطة جميعًا.

هناك خلل في فقه الجهاد، ينبغي أن يفقهوا الجهاد حقَّ الفقه.

يقول بعضهم: إنَّ قطر فيها الأمريكان، ولهم قاعدة كبيرة.

وهذا صحيح، ولكن الأمريكان دخلوا قطر باتفاق مع حكومتها، ربَّما لا نوافق الحكومة على هذا الأمر، الحكومة عقدت هذا بناء على اعتبارات وموازنات عندها.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيَّها الإخوة:

صلاة أمريكية:

في الجمعة الماضيـــة حدثت حادثة من نوع آخر فـــي أمريكا، وفي نيويورك، أمَّت امرأة المســـلمين رجالًا ونساء، خطبت وأمَّتهم لأول مرَّة في تاريخ المسلمين، نحن الآن في سنة ١٤٢٦هـ أكثر من أربعة عشر قرنًا، لم يعرف في تاريخ الإســـلام: أن امرأة صلَّت الجمعة بالمسلمين، حتَّى حينما اختيرت بعض النِّساء في مصر أو في الهند، أو في غيرها للولاية والإمارة، لم تؤم المسلمين، ولم تصلِّ بهم، ولكننا في عصر العجائب، وعصر الغرائب.

رأينا امرأة تصلي بالمســـلمين وفي أي مكان في الكنيســـة حيث رفضتها المســـاجد الإســـلاميَّة جميعًا، في شـــرق أمريـــكا وغربها، وشمالها وجنوبها، لم يَسمح لها أي مسجد بأن تصلي الجمعة؛ فهي خرقت إجماع المســـلمين في أمريكا، ولم يرحِّب بها إلَّا الكاتدرائية المسيحية في نيويورك، فصلَّت هناك والأمن حولها مدجَّج بالسِّلاح في كلِّ مكان.

علَّة حرمان المرأة من إمامَة الرِّجال:

هذه المرأة على خلاف ما جاء به الإسلام؛ لأنَّ صفوف الرِّجال في الأمـــام وصفوف النِّســـاء في الخلف، والإســـلام ليس عابثًـــا في هذا، الإسلام له حكمة.

QaradawiBooks.com

الأمر أنَّ الله خلق المرأة على جسم من شأنه الإثارة والفتنة، لحكمة يعلمها ونعلمها أيضًا نحن، ولهذا نهى الإسلام المرأة أن تصلي أمام الرَّجل، بل كانت السيدة عائشة حينما تؤم النِّساء وأم سلمة، تصلي وسطهن لا تصلي أمامهن، حتَّى المرأة لا تريد أن تنزل بجسمها أمامها، فقد تقول المرأة: ما أحلاها، ما أعظم قوامها، الخواطر تثور، فما بالك بالرَّجل؟

الإسلام حين قال هذا كان واقعيًّا، ولذلك لم يقل عالم مسلم في القديم أو في الحديث: إنَّ المرأة تؤم الرِّجال في صلاة الجمعة.

هناك اختلاف في صلاة الجماعة المحدودة، كما أذِن النَّبي ﷺ لأم ورقة أن تؤم أهل دارها[1]، زوجها وأولادها وأحفادها؛ فكانت قارئة للقرآن، وهم لا يقرؤون، فأذن لها وجعل لها مؤذِّنًا.

يعني: هي تصلي، لكن المؤذِّن رجل، لكن الَّذي رأيته أنَّ المؤذن امرأة حاسرة، ورأيت النِّساء يصلين حاسرات، وما رأيت في حياتي إلى الآن امرأة تصلي حاسرة، أي امرأة، أينما تكون، وحتى مهما كانت، حينما تريد أن تصلي تضع الطرحة أو الخمار أو أي شيء على رأسها، وحتى في المدارس البنات حينما يردن قراءة القرآن، في المسجد نفس الشيء.

(١) رواه أحمد (٢٧٢٨٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الصلاة (٥٩٢)، وابن خزيمة (١٦٧٦)، والحاكم في الصلاة (٢٠٣/١)، وقال: وهذه سنة غريبة، لا أعرف في الباب حديثًا مسندًا غير هذا، وقد روينا عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنَّها كانت تؤذن وتقيم وتؤم النساء. وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٥٥٣)، عن أم ورقة.

QaradawiBooks.com

احترنا لهؤلاء صلين حاسرات، وصلين في صفوف الرِّجال، ورأيت بعيني هاتين: رجلًا وعن يمينه امرأة، وعن يساره امرأة، وأمامه امرأة.

أي صلاة هذه؟!

إنَّها ـ أيُّها الإخوة ـ صلاة مستوردة، كما أنَّ هناك الهمبورجر الأمريكي، والكولا الأمريكية، والجينز الأمريكي، هناك الصَّلاة الأمريكية، هناك الإسلام الأمريكي الَّذي يراد أن يصدر إلينا.

ولكن هذا الإسلام مرفوض مرفوض، حتَّى من أمَّة أمريكا، لم يكن من مطالب المرأة المسلمة في أي وقت من الأوقات، ولا في أي قُطر من الأقطار، أن تفوز بالصَّلاة أمام الرِّجال، ما رأينا هذا.

المرأة تطلب أن تكون قاضية، أن تكون نائبة، أن تكون كذا... ونحن أجزنا هذا بشروطه وضوابطه أن تكون المرأة قاضية، وأن تكون ممثلة في البرلمان، وأن تنتخب، وأن تُرشح، وإنَّما أن تكون إمامَة للرِّجال لم يقل به أحد.

هذا الإسلام الأمريكاني الَّذي يريد أن يشوِّه صورة هذا الدين، وأن يحرِّف تعاليمه مرفوض من أمَّة الإسلام، مرفوض من علماء الإسلام، مرفوض من أفراد الإسلام، من المؤسسات الإسلاميَّة، من الجامعات الإسلاميَّة، مرفوض من الأمَّة كلِّها.

نحن نحاول أن نحافظ على ثوابت ديننا، هناك ثوابت، وهناك متغيِّرات، هناك أشياء تقبل الاجتهاد وتقبل التجديد وتقبل التطوُّر، ولكن هناك أشياء لا يجوز أن يمسَّها أحد، ولا يدخلها تطوير ولا تغيير، ولا يدخلها اجتهاد ولا تجديد، هذا أمر مِن الثوابت.

QaradawiBooks.com

نسأل الله تعالى أن يحفظ على هذه الأمَّة دينها.

اللهمَّ إنَّا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلنا وأموالنا.

اللهمَّ استر عوراتنا، وآمِن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

اللهمَّ أكرِمنا ولا تُهنَّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزِدنا ولا تَنقصنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وارض عنَّا وأرضنا.

اللهمَّ لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقلَّ من ذلك.

اللهمَّ أيِّد إخوتنا المجاهدين في سبيلك حيثما كانوا، اللهمَّ أيِّد إخوتنا في فلسطين، وفي العراق، وفي كلِّ مكان.

اللهمَّ أيِّدهم برُوح من لدنك، وأمدُّهم بملأ من عندك، واحرسهم بعينك الَّتي لا تنام، واكلأهم بكنفك الَّذي لا يضام.

اللهمَّ افتح لنا فتحًا مبينًا، واهدنا صراطًا مستقيمًا، وانصرنا نصرًا عزيزًا، وأتمَّ علينا نعمتك، وأنزل في قلوبنا سكينتك، وانثر علينا فضلك ورحمتك.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبِّت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

اللهمَّ لا تهلكنَا بما فعل السُّفهاء منَّا، ولا تسلِّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، وارفع مقتك وغضبك عنَّا، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًّا سخاء رخاء وسائر المسلمين.

QaradawiBooks.com

عباد الله، يقــول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورســولك محمَّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأقم الصَّلاة.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢٠

الدِّيموقراطيَّة(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

اقترح عليَّ بعض الإخوة ـ بمناسبة انعقاد منتدى الدِّيموقراطيَّة في الدوحة ـ أن أحدِّثكم عن الإسلام والدِّيموقراطيَّة، ولا سيَّما أنَّ بعض الَّذين يتحدَّثون عن الإسلام أنكروا الدِّيمقراطيَّة، وقالوا: إنَّها ليست من الإسلام في شيء، بل هي منكر يحاربه الإسلام، بل زعم بعضهم: أنَّ الدِّيمقراطيَّة كفر؛ لأنَّ الدِّيمقراطيَّة تعني: حكم الشَّعب للشَّعب، ونحن لا نرضى إلَّا حكم الله؛ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

الدِّيمقراطيَّة عندهم: مبدأ مستورَد من الغرب، والغرب عدو لنا وكافر بديننا، ولا ينبغي أن نستورِد نظامًا من كفَّار بهذا الدين، إلى آخر ما قالوا.

لا بدَّ من تصحيح المفاهيم:

ولذلك وجب علينا أن نصحِّح المفاهيم، ونردَّ الشُّبهات، ونضع الأمور في نصابها، ونردَّ الفروع إلى أصولها.

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطَّاب بالدوحة في ١ إبريل ٢٠٠٥م، بمناسبة انعقاد منتدى الديموقراطية بالدوحة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة معاينة
QaradawiBooks.com

إذا أردنا أن نحكم على شـــيء حكمًا صحيحًا: ينبغـــي أن نتصوَّره تصوُّرًا صحيحًا، العلماء يقولون: الحكم على الشـــيء فرع عن تصوُّره، فإذا أردنا أن نحكم على الدِّيمقراطيَّة فلا يهمنا الاسم والعنوان.

بعض النَّاس يقولون: إنَّها اسم أجنبي، وهي شيء أجنبي، فيرفضها.

لا عبرة بالأســـماء والعناوين إذا اتَّضحت المســـميات والمضامين، ابحث عن المضمون، ما مضمـــون الدِّيمقراطيَّة؟ هـــل مضمونها يوافق الإسلام أو يخالفه؟

هذا هو البحث الصحيح، أنا شخصيًّا لا أحب استخدام هذه الكلمات الأجنبيَّة، ولكـــن لا ينبغي أن تحـــول بيننا الرؤيـــا الصحيحة، ما معنى الدِّيمقراطيَّة؟ ما جوهر الدِّيمقراطيَّة؟ ما حقيقة الدِّيمقراطيَّة؟

عناصر الدِّيمقراطيَّة هل توافق الإسلام؟

الدِّيمقراطيَّة تتضمَّن عدَّة عناصر، ينبغي أن نبحث في هذه العناصر، هل يقبلها الإسلام؟

العنصر الأول: أن يختار النَّاس بإرادتهـــم الحرَّة من يحكمهم ويقود سفينتهم.

هذا هو العنصر الأول.

العنصر الثاني: أن يختار النَّاس أهل الحـــلِّ والعَقد الَّذين يمثِّلونهم، ويحاســـبون الحاكم، ويراقبون تصرُّفاته، ويقولون له: أحسنت أو أسأت «أي: ما يسمّون: المجالس النيابية».

هذا هو العنصر الثاني.

QaradawiBooks.com

العنصر الثالث: أن يُلزموا حاكمهم أو قائدهم بالاحتكام إلى دستور، وباعتبارهم مسلمين: يجب أن يستمدَّ الدستور أحكامه وموادَّه من الشَّريعة السمحة، بما تمثِّله من سَعة ومرونة، بعيدًا عن التعصُّب المذهبي، والجمود الفقهي.

العنصر الرابع: أن يكون لهؤلاء من نواب الشَّعب ـ هؤلاء من أهل الحلِّ والعَقد ـ حقُّ محاكمة هذا الحاكم، بحيث يقولون له: إنَّك أسأت، وأن يكون لعامَّة النَّاس حقُّ النصيحة للحاكم، يكون لكلِّ فرد الحقُّ في أن ينصح له مشافهة، أو تحريرًا؛ أو يكتب مقالة في صحيفة.

هذا الأمر الرابع.

الأمر الخامس: أن يكون للشَّعب ممثَّلًا في نوَّابه: حقُّ عزل هذا الحاكم إذا انحرف وجار عن الصراط المستقيم، إذا انحرف انحرافًا خطيرًا لا يجوز له أن يبقى.

من حقِّ الشَّعب أن يقول له: تنحَّ، وأن يختاروا غيره.

من حقِّهم أن يسقطوا الحكومة الَّتي شكَّلها بعد ذلك.

العنصر السادس: أن يكون للنَّاس الحقُّ في الحرِّيات العامَّة، أن تُراعى حقوقهم الإنسانيَّة، أن تُوفَّر لهم الحرِّيات من: الحرِّية الدينيَّة، الحرِّية المدنية، الحرِّية السِّياسيَّة، الحرِّية الفكريَّة، حرِّية التعبير، حرِّية الصحافة، حرِّية تكوين الجمعيات وتكوين الأحزاب.

العنصر السابع: فصل السلطات بعضها عن بعض: السلطة التشريعية، السلطة القضائية، السلطة التنفيذية.

QaradawiBooks.com

أمور سبعة، أو عناصر سبعة؛ لنبحثها في ضوء الشَّريعة الإسلاميَّة.

حرِّية اختيار الحاكم:

أوَّل شيء أن يختار النَّاس بإرادتهم الحرَّة إمامهم أو رئيسهم أو حاكمهم، سمِّه ما تسمِّيه، المهمُّ لا يُفرض عليهم حاكم يكرهونه، حتَّى في الصَّلاة؛ النَّبي ﷺ يقول: «**ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم: العبد الآبق حتَّى يرجع، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام قوم وهم له كارهون**»[(١)] يؤمهم في مسجد، وهم حوالي عشرين، أو ثلاثين، أكثر، أو أقل، وهم كارهون له، يصلُّون وراءه؛ لأنَّه ليس هنالك غيره؛ لأنَّه الإمام الراتب.

إذا كان هذا في الإمامَة يصلُّون وراءه؛ لأنَّه ليس هنالك غيره؛ لأنَّه الإمام الراتب، إذا كان هذا في الإمامَة الصغرى، فكيف في الإمامَة الكبرى؟

للنَّاس أن يختاروا حاكمهم، وأن يختاروه عن طريق البيعة، لا يلزم النَّاس أي حاكم إلَّا إذا بايعوه بيعة عامَّة، هذا هو الأصل، حتَّى لو استخلفه حاكم قبله، مثلما استخلف سيِّدنا أبو بكر سيِّدنا عمر[(٢)]، الاستخلاف لا يعطيه حقَّ الإمامة، الإمامَة تكون ببيعة النَّاس، إنَّما صار سيِّدنا عمر إمامًا حينما بايعه النَّاس عامَّة.

الإسلام يكره أن يحكم النَّاس المستبدُّون والجبابرة والمستكبرون في الأرض «الفراعين».

---

(١) رواه الترمذي في الصلاة (٣٦٠)، وقال: حسن غريب من هذا الوجه. والطبراني (٢٨٦/٨)، والبيهقي في معرفة السنن (٥٩٥٩)، وحسَّنه النووي في الخلاصة (٧٠٤/٢)، عن أبي أمامة.

(٢) راجع تفاصيل استخلاف أبي بكر لعمر في البداية والنهاية لابن كثير (٥٧٤/٩)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، وتاريخ الطبري (٣٥٣/٢).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الإسلام يكره الاستبداد:

الإسلام يكره حُكم الفراعنة ﴿فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]. يرفض الإسلام حُكم الفراعنة.

و﴿عَلَا﴾ يعني: طغى، ﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١]. فرعون الَّذي تألَّه على النَّاس، وقال لهم: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النَّازعات: ٢٤]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، الإسلام يرفض هذا الحكم؛ لأنَّه حكم يستبدُّ بالنَّاس، ويجعل النَّاس عبيدًا له، ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، هذا حكم الجبابرة.

فرعون يقول هذا، بينما يقول عن موسى: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

موسى يُظهر في الأرض الفساد، وفرعون يهدي إلى سبيل الرشاد!

هذه هي المعادلة.

الإسلام يرفض حكم «الفراعين» و«الهوامين» و«القوارين»[1]، حُكم فرعون وهامان وقارون والجبابرة ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥].

يرفض الإسلام أنْ يحكم النَّاس فرعون متألِّه! إنَّما يحكَم النَّاس بحاكم يختارونه، ويحبُّونه، ويدعون له، في الحديث الصحيح: «**خير أمرائكم الَّذين تحبُّونهم ويحبُّونكم، وتصلُّون عليهم ويصلُّون عليكم**»،

(١) جمع فرعون وهامان وقارون، وهو على غير القياس.

QaradawiBooks.com

أي: تدعون لهم، تحبونهم، ويحبونكم، وتصلُّون عليهم ويصلُّون عليكم، تدعون لهم ويدعون لكم، «**وشرُّ أمرائكم الَّذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»[1] ليس هناك أي ثقة متبادلة بين الطرفين.

تجربة الانتخابات الحرَّة:

هذا أوَّل بند في الدِّيمقراطيَّة: أنْ يختار النَّاس حاكمهم، الآن أصبح هناك وسيلة عصرية، اكتسبتها البشريَّة من تجاربها الطويلة مع المستبدِّين والطغاة، خلال هذا الكفاح الطويل، وصلت إلى تجربة هي: تجربة الانتخابات؛ أنَّ النَّاس تروح تنتخب، فقط يكون عندي خيارات، يرشَّح عدد من النَّاس وأختار أحدهم، فقط يكون لكلِّ النَّاس الحرِّية في أن يرشِّحوا أنفسهم، وحينئذ أقول: أختار هذا أو ذاك.

حاكم واحد يختاره النَّاس كما هي الطريقة الاشتراكيَّة، كما قال بعض الكُتاب الَّذين نقدوا الاشتراكيَّة: إنَّ الانتخابات في البلاد الاشتراكيَّة: سباق يعدو فيه حصان واحد، كيف هذا؟!

وأحيانًا تكون لعبة مكشوفة، يُتاح فيها الترشيح لشخصيات محدَّدة، لا حرِّية حقيقية للترشيح، وإنَّما يرشَّح أُناس لا قيمة لهم ولا وزن، كأنَّه لا شيء.

أوَّل بند في الدِّيمقراطيَّة أنْ يختار النَّاس حاكمهم ورئيسهم، حيث يحبهم ويحبونه، ويرضون عنه ويرضى عنهم.

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥٥)، وأحمد (٢٣٩٨١)، عن عوف بن مالك.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حُرِّيَّة اختيار النواب:

الأمر الثاني: أن يختار النَّاس ممثِّليهم، كان المسلمون يسمُّون الممثِّلين ما نسمِّيهم الآن: مجلس الشعب، مجلس الأمَّة، مجلس الشُّورى، مجلس النواب، كانوا يسمُّونهم: أهل الحلِّ والعقد، أهل الحلِّ والعقد قديمًا معروفون خصوصًا في المجتمعات الصغيرة، والمجتمعات البسيطة غير المركَّبة وغير المعقَّدة، النَّاس يعرفون شيوخ القبائل، كبار أهل العلم، أهل المكانة والرأي والحكمة، فلان وفلان وفلان، إذا اجتمعوا على رأي أطاعتهم الأمَّة كلُّها، كما قال سيِّدنا عمر لأصحاب الشُّورى إذا اجتمعوا، الأمَّة كلُّها تطيعهم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفَّان، وسعد بن أبي وقَّاص، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة الجراح، هؤلاء إذا اجتمعوا على واحد الأمَّة كلُّها ستطيعهم.

ولكن في عصرنا لم يعد أهل الحلِّ والعقد معروفين، المجتمعات اتَّسعت خصوصًا المجتمعات الكبيرة. كيف يُعرف أهل الحلِّ والعقد في سبعين مليونًا في مصر؟ أو مائة وخمسين مليونًا في باكستان؟ أو في بنغلاديش، أو مائتين وعشرين في الهند، وآسيا؟ كيف؟

لا أعرف هؤلاء، لا بدَّ أن تقسَّم البلاد إلى دوائر، وكلُّ دائرة يرشَّح فيها أُناس يعرفهم أهل الدائرة، وينتخبونهم.

الحكمة ضالَّة المؤمن:

هذا الانتخاب أمر عرفته البشريَّة، ولا مانع أن نقتبس من غيرنا ونستفيد من تجارب التاريخ، «**الحكمة ضالَّة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحقُّ النَّاس بها**»[1].

(١) رواه الترمذي في العلم (٢٦٨٧)، وقال: حديث غريب، لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه. وابن ماجه =

QaradawiBooks.com

النَّبي ﷺ أشار عليه سلمان الفارسي في غزوة الأحزاب وقد جاءت قريش، وغطفان، وأحابيشهما، يغزون المسلمين في عقر دارهم، فأشار عليه سلمان قبل أن يأتي هؤلاء أن يحفر خندقًا حول المدينة، كنَّا في فارس في مثل هذه المآزق نعمل خندقًا يحول بين الغزاة وبين الدخول على المدينة[١]، فاستحسن النَّبي ﷺ رأي الفارسي.

كانت بعض الكُتب تأتي إلى الرسول، وكان ﷺ يرسل كتبًا فقالوا له: بعض النَّاس كانوا يتَّخذون خاتمًا، فلو أنَّك اتخذت خاتمًا، لو أنَّك أرسلت إلى ملك بدون خاتم ما يعتبر هذا الكتاب[٢].

رأوه يخطب على جذع النَّخلة واتسع المسجد بالنَّاس قالوا له: لو عملنا لك منبرًا، وجاؤوا له بنجار رومي صنع له منبرًا من ثلاث درجات[٣].

هكذا لا مانع.

= في الزهد (٤١٦٩)، عن أبي هريرة، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٥٠٦). ولكن معناه صحيح بالإجماع.

(١) انظر: المغازي للواقدي (٤٤٤/٢)، تحقيق مارسدن جونس، نشر دار الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م. والطبقات الكبرى لابن سعد (١٦٦/٢)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

(٢) إشارة إلى حديث أنس بن مالك، أنَّ رسول الله ﷺ أراد أن يكتب إلى رهط، أو أناس من الأعاجم، فقيل له: إنَّهم لا يقبلون كتابًا إلاَّ عليه خاتم، «فاتخذ النَّبي ﷺ خاتمًا من فضة». متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٥)، ومسلم في اللباس والزينة (٢٠٩٢).

(٣) إشارة إلى حديث أبيِّ بن كعب، حيث قال أحد الصحابة: هل لك أن نجعل لك شيئًا تقوم عليه يوم الجمعة؟ رواه أحمد (٢١٢٤٨)، وابن ماجه في إقامة الصَّلاة (١٤١٤). والحديث عند مسلم أنَّ النَّبي قال لامرأة: «انظري غلامك النجار، يعمل لي أعوادًا أكلِّم عليها النَّاس». رواه مسلم في المساجد (٥٤٤)، عن سهل بن سعد.

QaradawiBooks.com

نتَّبع في أمور الدين ونبتدع في أمور الدنيا:

سيدنا عمر أخذ نظام الخِراج من الفرس، وأخذ تدوين الدواوين من الروم، من دولة الروم البيزنطية.

لا بأس به، بعض النَّاس يقولون: هذا إحداث في الدين!

ليس هذا إحداث في الدين، هذا ليس ديننا.

الأمر الديني المحض هو الَّذي ينبغي فيه الاتِّباع، نحن نتَّبع في أمور الدين، ونبتدع في أمور الدنيا، هذه أمور الدنيا، أمور العادات.

ولذلك المسلمون ابتكروا علومًا لم تكن في عهد النُّبوة، ولا في عهد الخلافة، علم أصول الفقه، علم النحو، علم البلاغة، علوم القرآن، علوم الحديث، أشياء ما كانت في عهد النَّبي، ولا في عهد الراشدين.

ظهر التطور، فنحن نقتبس من غيرنا نظام الانتخابات؛ لأنَّه لا يمكن الوصول لأهل الحلِّ والعقد إلَّا بهذا، وما لا يتمُّ الواجب إلَّا به فهو واجب.

محاسبة الحاكم حقٌّ للمحكومين:

الأمر الثالث: لذلك ـ أيَّها الإخوة ـ ينبغي أن يكون للشَّعب عامَّة، ولنواب الشَّعب من أهل الحلِّ والعقد خاصَّة محاسبة الرئيس أو الأمير أو الملك سمِّه ما شئت، لا يهمُّنا التسمية، قائد السفينة.

إنَّ لك حقَّ النُّصح له، حقَّ محاسبته، حقَّ مراقبته، أن تقول له: أحسنت، أو تقول له: أسأت، هذا لا يجوز، وهذا أمر أقرَّه الإسلام.

سيدنا أبو بكر أوَّل خُطبة خطبها سمُّوها خُطبة العرش، أوَّل خُطبة قال: أيَّها النَّاس، إنِّي وليت عليكم ولست بخيركم، إن رأيتموني على

حقٌّ فأعينونـــي، وإن رأيتموني على باطل فســـدِّدوني، القوي فيكم هو الضعيف عندي حتَّى آخذ الحـــقَّ منه، والضعيف فيكم هو القوي عندي حتَّى آخذ الحقَّ له، أطيعوني ما أطعـــت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم[١].

وكان عمر يقول: رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوب نفسي[٢].

مرحبًا بالناصح أبدَ الدهر، مرحبًا بالناصح غدوًّا وعشيًّا[٣].

قال له أحد النَّاس: اتق الله يا ابن الخطَّاب.

فقال له بعض أصحابه: أتقول هذا لأمير المؤمنين.

فقال له: دعه يقولها؛ لا خير فيكـــم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها[٤].

لا بدَّ أن يقال للأمير: اتق الله في بعض الأوقات.

قال بعض الحكام: من قال لي: اتق الله ضربت عنقه[٥].

هذا ليس في الإســـلام من شـــيء، لا خير فيكم إن لم تقولوها، بل عمر بن الخطَّاب كان يقول: من رأى فيَّ اعوجاجًا فليقوِّمني.

---

(١) ذكره ابن هشـــام في الســـيرة (٦٦١/٢)، وابن كثير في البداية والنهاية (٨٩/٨، ٩٠)، وصحح إسناده.

(٢) سبق تخريجه صـ ٧٦.

(٣) سبق تخريجه صـ ٧٦.

(٤) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة (٧٧٣/٢)، تحقيق فهيم محمود شلتوت، نشر حبيب محمود أحمد، جدة، ١٣٩٩هـ.

(٥) قاله عبد الملك بن مروان. انظر: تاريخ الخلفاء صـ١٦٥، نشـــر مكتبـــة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

فقام أحد الأعراب وقال: والله ـ يا أمير المؤمنين ـ لو رأينا فيك اعوجاجًا لقوَّمناه بحدِّ سيوفنا.

فلم يقل: اقبضوا عليه، ولكن قال: الحمد لله الَّذي جعل في رعية عمر من يقوِّم اعوجاجه بحدِّ سيفه[١].

«**الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامَّتهم**»[٢]، رؤسائهم وجماهيرهم، هذا حديث رسول الله ﷺ أن تنصح للحاكم.

من حقِّ أي أحد أن يقول للحاكم، أن ينصحه، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة، ومَن أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف. فهذا حقُّ النَّاس.

ومن حقِّ نواب الأمَّة خاصَّة الرئيس، ينصح له وخصوصًا إذا كانت هناك حكومة ممثَّلة، هو يشكِّل حكومة وتكون هي المسؤولة، هذه الحكومة يسائلونها عن كلِّ شيء، عن الأمور المالية، وعن الأمور الاجتماعيَّة، عن الأمور الإدارية، هذا هو معنى الشُّورى الحقيقيَّة ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، يتداولون كلَّ الأمور ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

التزام الحاكم بمنهج الشَّرع:

الأمر الرابع: أن يُلزموا هذا الحاكم أو هذا الرئيس أو هذه الحكومة، أن يُلزموها باتِّباع منهج الشَّريعة الَّذي ارتضاه الله لعباده، وأن يُصاغ هذا المنهج وأصوله في شكل دستور يفصِّل الحقوق والواجبات والعلاقات.

---

(١) ذكره علي بن خلف في كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد (١٩١/١)، تحقيق محمد محمد تامر، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. ورواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٢٩) بنحوه بدون ذكر السيف.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأحمد (١٦٩٤٠)، عن تميم الداري.

QaradawiBooks.com

الآن نجد الأمم تحتكم إلى دستور؛ لأنَّه لا نستطيع في كلِّ أمر أن نرجع إلى كتب الفقه، والمذهب الحنفي يقول: كذا، والمذهب الشافعي يقول: كذا، والحنبلي يقول: كذا، ويختلف النَّاس.

لا؛ فالواجب أن نحتكم إلى قواعد ترتضيها الأمَّة تُؤخذ من الشَّريعة الإسلاميَّة، تستمدُّ من نصوص الشَّريعة المحكمة ومن قواعدها المرعية، ومن مقاصدها المنضبطة، على الأقلِّ ألَّا يكون في هذا الدستور ما يخالف الشَّريعة، يصاغ هذا في دستور، ويحتكم إليه النَّاس، مأخوذ من مصادرنا الإسلاميَّة، كما قنَّن المسلمون في أواخر عهد الدولة العثمانية القانون المدني، قنَّنوه في أحكام مواد «مجلة الأحكام» المادة كذا، والمادة كذا؛ ليرجع أهل الشأن إليها.

هذا لا مانع منه، المهم أن يكون عندهم منهج يُلتزم به ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحجُّ: ٤١].

وعلى أساس هذا الدستور المستمدّ من الشرع نحاسبه ونقول له: جُرت أو عدلت عن هذا الدستور أو انحرفت، كما تحاسب الحكومة كذلك.

حقُّ الأمَّة في إسقاط الحكومة، بل عزل الحاكم:

الأمر الخامس: أن يكون من حقِّ الأمَّة ممثَّلة في نوابها أن تُسقط الحكومة، بل أن تُسقط الحاكم نفسه، أن يكون هناك حقٌّ دستوري لو انحرف، لو كفر كفرًا بواحًا عندنا فيه من الله برهان، لو باع نفسه للشيطان أو لأعداء الأمَّة، وخان دينه وأمَّته، لا بدَّ أن يكون من حقِّ الأمَّة أن تقف موقفًا وتقول: هذا خائن، والخائن لا يجوز أن يحكم الأمَّة، ويتمُّ هذا بصورة سليمة.

QaradawiBooks.com

للأسف ـ نحن العرب والمسلمين ـ ليس عندنا حتَّى الآن صورة سلمية نتخلَّص بها من الحاكم الطاغي أو الظالم أو الجائر، ليس عندنا ذلك إذا لم يحدث عليه انقلاب أو يموت، (أي: عزرائيل يخلِّصنا منه)، لا نستطيع أن نفعل شيئًا!

لا بدَّ أن تكون هناك وسائل سلمية لهذا الأمر.

توفير الحرِّيات العامَّة للشَّعب:

الأمر السادس: لا بدَّ أن تتوافر الحرِّيات العامَّة لهذا الشَّعب بحيث لا يُكره على شيء لا يريده ولا يرتضاه، ولا يقاد رغم أنفه.

بمعنى أن تتوافر له كلُّ الحرِّيات: الدينيَّة والسِّياسيَّة والتعبيرية وغيرها.

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [يُونس: ٩٩].

عاش غير المسلمين في بلاد الإسلام لم يُجبروا على شيء يخالف دينهم أبدًا، لهم الحرِّية في عباداتهم داخل كنائسهم، الاحتفال بأعيادهم، يصلُّون كما يشاؤون، ويصومون كما يشاؤون، بل لم يُحرِّج عليهم فيما هو مباح لهم؛ وهو محرم في الإسلام، مثل: أكل الخنزير، وشرب الخمر... أشياء محرَّمة.

الخمر عندنا أم الخبائث والخنزير رجس، ومع هذا لم يُحرِّج عليهم الإسلام في هذا، تركهم، أباح لهم دينهم هذا فلا نضيِّق عليهم فيما وسَّعه عليهم دينهم، أي حرِّية أعظم من هذه الحرية، الحرِّية الدينيَّة؟!

QaradawiBooks.com

الحرِّية الفكريَّة والعلميَّة:

الإنسان يبحث كما يشاء، ويصل إلى ما يشاء، ولا يُلزم إلَّا بما اقتنع به عقله، ووصل إليه اجتهاده.

الحرِّية التعبيرية كلُّ أحد يعبِّر عن رأيه، بالعكس التعبير عن الرأي في الإسلام يُعتبر واجبًا يسمِّيه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالحقِّ، والتواصي بالصَّبر واجب، الحقُّ يمكن أن تتنازل عنه، إنَّما الواجب لا يمكنك أن تتنازل عنه.

الحرِّية السِّياسيَّة:

المعارضة، قضيَّة النقد، تكوين الجماعات والأحزاب، سيِّدنا علي رضي الله عنه كان يعارضه الخوارج، والخوارج بتعبير عصرنا حزب له قيادته وله أفكاره الخاصَّة، وله برنامجه في التغيير والإصلاح، وكان حزبًا مسلَّحًا، وسيدنا علي حينما سمع أحدهم يقول: «لا حكَم إلَّا الله»، يعني: يعترض على سيِّدنا عليٍّ؛ لأنَّه قبِل التحكيم بينه وبين معاوية، فقال: «كلمة حقٍّ يُراد بها باطل»[1]؛ لأنَّه ليس معنى: «لا حكَم إلَّا الله»، أنَّه يعني: لا يحكم النَّاس في أمورنا. هذه كلمة حقٍّ يراد بها باطل!

لا، التحكيم في أمورنا الحياتية جائز.

القرآن ذكر التحكيم حتَّى في الصيد؛ إذا واحد قتل غزالة وهو محْرِم فكيف نقوِّمها: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥].

في العلاقة بين الزوجين إذا اختلفا: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النِّساء: ٣٥].

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠٦٦)، عن عبيد الله بن أبي رافع.

QaradawiBooks.com

ثمَّ قال لهم: لكم علينا ثلاث:

أوَّلًا: ألا نمنعكم مساجد الله أن تصلُّوا فيها.

ثانيًا: وألا نمنعكم حقَّكم من الغنيمة والفيء إذا كانت سيوفكم مع سيوفنا، إذا ذهبتم معنا تأخذوا حقَّكم.

ثالثًا: وألا نبدأكم بقتال.

ما دمتم لا ترفعون السيف علينا فنحن لا نبدؤكم بقتال.

هذا حزب سياسي، حزب معارض، ويستخدم القوَّة، يقول لهم: ما دمتم لا تستخدمون القوَّة، ولا تشهرون السِّلاح فلكم حقُّ الوجود، ولا حرج عليكم، حرِّية سياسيَّة.

كلُّ الحرِّيات موفَّرة في الإسلام.

في عهد سيِّدنا عمر سمع أصواتًا في بعض البيوت فيه مجلس سوء، فتسوَّر عليهم الجدار، ودخل عليهم، وضبطهم متلبسين.

فقالوا: يا أمير المؤمنين، إذا كنَّا أخطأنا خطأ واحدًا فقد أخطأت ثلاثة: أوَّل خطأ أنَّ الله قال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحُجرات: ١٢]، وقد تجسَّست علينا، الخطأ الثاني أنَّ الله قال: ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، وأنت تسوَّرت علينا الجدار، ثالث خطأ أنَّ الله قال: ﴿لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النُّور: ٢٧]، وأنت لم تستأنس، فتحدث معهم، واصطلح معهم على ألا يمسّهم بشيء، على أن يتوبوا إلى الله[1].

هذه هي الحرِّيات الَّتي كانت موجودة في الإسلام.

---

(١) رواه الحاكم في الحدود (٣٧٧/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي. وانظر: إحياء علوم الدين (٣٢٥/٢).

QaradawiBooks.com

فصل السلطات:

الأمر السابع بعد ذلك: فصل السلطات بحيث لا تطغى سلطة على سلطة، وتستخدم كلُّ سلطة سيادتها، السلطة القضائية لها سيادتها، السلطة التشريعية لها سيادتها، والسلطة التنفيذية لها سيادتها، كثيرًا ما تتدخل السلطة التنفيذية في السلطة التشريعية، أو في السلطة القضائية.

لا؛ في الإسلام الإمامُ هو الَّذي يولِّي القاضي، ولكن بعد أن يولِّيَه يصبح مستقلًّا تمامًا؛ حتَّى يمكنه أن يحكم على الخليفة الأعظم.

وقد حدث في التاريخ الإسلامي قضاة حكموا على الخلفاء، حتَّى إن أحد القضاة ـ شُريح ـ حكم على سيِّدنا عليٍّ وقد احتكم هو ونصراني إليه، فحكم للنَّصراني على أمير المؤمنين.

وهذا الرَّجل حينما رأى ذلك بعد ما كان قد أخذ درع أمير المؤمنين وادعى أنَّه له، وهو لسيدنا علي، درع سقطت منه، بعد هذا رجع وقال: قفوا! أمَّا إنِّي أشهد أنَّ هذه أحكام أنبياء، أمير المؤمنين يدنيني إلى قاضيه، فيحكم القاضي للنَّصراني على أمير المؤمنين، هذه أحكام أنبياء، أمَّا إنِّي أشهد ألا إلٰه إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله، فالدرع درعك يا أمير المؤمنين[1].

هذه بضاعتنا رُدَّت إلينا:

هذا ما تدعو إليه الدِّيمقراطيَّة، هذه هي شريعتنا، ما يُزعم أنَّه من الدِّيمقراطيَّة هو من الشَّريعة.

(١) رواه البيهقي في آداب القاضي (١٣٦/١٠)، عن الشعبي.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قالوا: الدِّيمقراطيَّة حكم الشَّعب، ونحن نريد حكم الله، من قال: إن حكم الشَّعب يقابله حكم الله؟

لا؛ حكم الشَّعب يقابله حكم الفرد المطلق، حكم المستبدِّين، حكم الطغاة، حكم نمرود الَّذي قال حينما قال له إبراهيم: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وجاء باثنين حكم عليهما بالإعدام، أمَّا أحدهما فقطع رأسه. قال: أمِته. والثاني: قال: عفوت عنه، وهذا أحييته، أنا أحيي وأميت ـ أيضًا.

الإسلام يرفض هؤلاء الطغاة، هذا هو الحكم الَّذي يُرفض، حكم الفرد المطلق حكم الطغاة المستبدِّين، حكم «الفراعنة» «النماردة»، هذا هو الَّذي يرفضه الإسلام.

ما سند السلطة السِّياسيَّة؟

سندها الشَّعب، إنَّما السلطة التشريعية سندها الشَّريعة، مرجعها الشَّريعة، الدولة الإسلاميَّة دولة مدنية مرجعها الشَّريعة، ليست دولة دينيَّة بالمعنى الغربي.

لا؛ هي دولة مدنية يحكمها المدنيون الملتزمون بالإسلام، لا يحكمها كهنة، ليس في الإسلام كهنوت رجال أقوياء.

لا يولَّى إلَّا الكفء:

كان سيِّدنا أبو هُرَيْرة من أحفظ الصَّحابة للحديث، ومع هذا لم يُعط ولاية، وإنَّما أعطيت الولاية لعمرو بن العاص؛ لأنَّه كفء، الآن الولاية يعطاها أكفؤها، يعطى الأكْفاء ولاية النَّاس والإمارة عليهم.

QaradawiBooks.com

الابتداع مرفوض في أمور الدين فقط:

هذا هو الإسلام: حكم الشَّعب، ويقولون: إن هذا إحداث في الدين، ليس هـذا إحداثًا في الديـن، هذا من أمـور العادات، أمـور العادات يُستحدث فيها، «**من سنَّ سُنة حسـنة فله أجرها وأجر من عمل بها**»[1]، ولذلك روى التاريخ عن سـيِّدنا عمر عدة أشـياء ابتكرها سيِّدنا عمر، يسـمِّيها المؤرخون: «الأوليات»، أوَّل من فعل كـذا عمر، أوَّل من دوَّن الدواوين، أوَّل من مصَّر الأمصار، أوَّل من وضع التاريخ الهجري، أوَّل من اتخذ دارًا للسجن... مجموعة أوليات أشياء ابتكرها.

الجمود في أمور الدُّنْيا سبب تأخُّرنا:

من قال: إنَّ الابتداع في أمور الدُّنْيـا والابتكار فيها يُعتبر بدعة في الدين؟!

هذا فهم خطأ وإلا لوقفنا.

بالعكس المسلمون إنَّما صنعوا الحضارة يوم اتَّبعوا في أمور الدين، وابتدعوا في أمور الدنيا، وإنَّما دار عليهم الزمن وأصبحوا في المخلفين، وفي آخر القافلة، وذيل القافلة، حينما جمَّـدوا أمور الدُّنْيا وابتدعوا في أمور الدين.

نحن لا يصلح لنا إلَّا ما يسـمَّى الدِّيمقراطيَّة، لا بدَّ أن نسميها بهذا الاسم، ولكن نسميها الشورى. حياة الشُّورى، حياة البيعة، حياة الحرِّيات العامَّة، حيـاة الالتزام بالدسـاتير الَّتـي تقيِّد من تصرفات السـلاطين المسـتبدِّين، لا بدَّ أن نحيي هذه الحيـاة ولا نعيـش متخلِّفين ويقال:

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٧)، وأحمد (١٩١٥٦)، عن جرير بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

الإسلام هو وحده الَّذي يقرُّ الاستبداد، والَّذي يقرُّ الطغيان من الحكام، والَّذي لا يستطيع الشَّعب فيه أن يقول: لا.

والله لوكنَّا مسلمين حقًّا لاستطعنا أن نقول: لا بملء فينا، هذا ما يريده الإسلام منَّا، يريد أن نحيا أحرارًا في ديارنا، وأن نُحكم بحكَّام منَّا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النِّساء: ٥٩].

﴿مِنكُمۡ﴾ ليسوا مفروضين عليكم، هم منكم وأنتم منهم، وهذا هو الَّذي ينبغي أن يكون عليه الإسلام، هذه حياة الشُّورى.

الدِّيمقراطيَّة ليست هي مجرد الشورى.

لا؛ هي الشورى والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومقاومة حكم الفراعنة، حكم الظلمة والمستبدِّين، مجموع هذه كلِّها هي الَّتي تقرُّ نظام الحكم في الإسلام.

نسأل الله تعالى أن يفقِّهنا في ديننا، وأن يعلِّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علَّمنا، إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

نرفض الديمقراطيات الزائفة:

ما أحوجنا ـ نحن العرب والمسلمين ـ إلى ديمقراطية حقيقية، ديمقراطية في مجتمع مسلم، والدِّيمقراطيَّة في المجتمع المسلم يعني: أنَّها تكون ملتزمة بالشَّريعة الإسلاميَّة، نحن لا نريد ديمقراطية سائبة تحلِّل ما تشاء.

بعض النَّاس قالوا: الدِّيمقراطيَّة يمكن أن تلغي الدِّيمقراطيَّة! يأتي نظام معين، ويتَّفق الحاكم معهم أن نلغي الدِّيمقراطيَّة، الأغلبية المطلقة ثلثي الأعضاء أو كذا ممكن بالإجماع، حتَّى يقولون: ليس هنالك ديمقراطية.

قال بعض حكَّام العرب في يوم من الأيام: إن للديمقراطية أنيابًا تكون أحيانًا أشرس من الديكتاتورية، حينما توجَّه الدِّيمقراطيَّة لخدمة حاكم ما، ولخدمة نظام ما تصبح أشرس من الديكتاتورية، يستطيع الحاكم أن يقنِّن الظلم بواسطة أغلبية يملكها، بطريقة معينة يقنِّن المظالم، يصدر فيها أحكامًا تلزم النَّاس كما في كثير من البلاد.

عن طريق هذه الديمقراطيات الزائفة تصنع ديكتاتورية تحكم النَّاس، تهتز الدِّيمقراطيَّة، أخطر شيء على الشُّعوب هو الدِّيمقراطيَّة الزائفة، استفت النَّاس استفتاء حرًّا.

الحقيقة: أنَّ النَّاس يئسوا من هذه الأنظمة، ويئسوا من هذه الاستفتاءات، ويئسوا من هذه الانتخابات، ويقول لك: الَّذي يريدونه يعملوه، لماذا أتعب نفسي؟!

QaradawiBooks.com

فتكون النتيجة تزويرًا، وما عرفناه دائمًا الأربع تسعات (٩٩,٩٩٪)، لو واحد تواضع «خليها» (٩٧٪).

غير مرخصة للطباعة

الدِّيمقراطيَّة الَّتي تأتي بالإسلاميين مرفوضة!

هذه هي الديمقراطيات الزائفة، الَّتي يراد أن تروَّج في بلادنا. يقولون: إنَّ أمريكا تريد تغيير بلادنا! وتحويلها إلى بلاد ديمقراطية! هل هذا صحيح؟! هل تريد ديمقراطية حقيقية؟

هي تريد ذلك بشرط واحد: ألا تأتي هذه الدِّيمقراطيَّة بمن يسمُّونهم الإسلاميين، حينما جاءت ديمقراطية في وقت ما في الجزائر بالإسلاميين رفضوهم.

لا هؤلاء متعصِّبون وسيلغون الدِّيمقراطيَّة!

طيب، جرِّبوهم كما تجرِّبون غيرهم، وقفوا ضد هؤلاء.

أحد حكام العرب في لقاءاته مع الأمريكان قالوا له: ارفعوا القيود، ووفِّروا الحرِّيات للنَّاس، وحقوق الإنسان، وهذه الأشياء، قال لهم: أتدرون ما معنى ذلك؟

قال: معناها أن يأتي الإسلاميون إلى الحكم، إن كنتم تريدون الإسلاميين يحكموا نرفع القيود، ونوفِّر الحرِّيات، ونراعي حقوق الإنسان، ونعمل كلَّ شيء حتَّى تقرَّ أعينكم بحكم الإسلاميين.

نحن نريد ديمقراطية حقيقية.

الإنسان المواطن يستطيع أن يقول: نعم، ويقول: لا، وصناديق الانتخابات الحرَّة البلورية، هذه يكون عليها إشراف قضائي حقيقي، ويتحمَّس النَّاس للذهاب إلى هذه الصناديق، ويعطونه رأيهم بكلِّ حرية.

QaradawiBooks.com

نريد هذا في بعض البلاد العربيَّة، نريد في بعض البلاد العربيَّة تداول السلطة، بحثنا عن رئيس سابق في بعض البلاد العربيَّة فلم نجد!

في أمريكا في وقت من الأوقات كان فيه خمسة رؤساء في حفل من الحفلات، خمسة رؤساء جمهوريات سابقين موجودين كلِّهم: بوش الأب، وكلنتون، وريجان، وكارتر، وفورد.

نحن نبحث في حفل من الحفلات يحضر مع الرئيس الحالي لا يوجد.

في السودان: عبد الرحمن سوار الذهب الرَّجل من زهده عمل شيئًا لم يعمله أحد من الدول العربيَّة، وتنازل عن الحكم مختارًا حرًّا.

في لبنان.

إنَّما بعض الدول العربيَّة لا بدَّ إما أن يأتي «عزرائيل» ويخلِّصك من الرئيس أو يحدث انقلاب عليه، لا يوجد أحد انتهت مدَّته جلس أربع سنين أو ثمان أو حتَّى خمس، وبعد ذلك يقول: أنا اكتفيت أدع المجال لغيري، لا، «كابس» على نفس الأمَّة. لا يمكن.

من بدع الدِّيمقراطيَّة عندنا:

يا ليتهم وقفوا عند هذا الحدِّ! إنَّهم لم يكتفوا بهذا: ابتدعوا بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النَّار.

ابتدعوا بدعة توريث الحكم لأبنائهم؛ رأينا الملكيَّات الدستوريَّة فيها التوريث، ورضي النَّاس بهذا، إنَّما هذا نظام جمهوري، هل هناك جمهورية وراثية في العالم؟

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

لا يوجد إلَّا في بلادنـــا ـ نحن العرب، نحن نـــورِّث الملك لأبنائنا ولأحفادنا، لكن بطريقة رسمية لطيفة ظريفة، نغيِّر الدساتير ونغيِّر الأشياء ليرث الأبناء الآباء، والأحفاد الأجداد، هذه أمَّتنا.

هـــذه الدِّيمقراطيَّة الَّتي يقولـــون عنها، والَّتِي ترضـــى عنها أمريكا، وتســـكت عنها، وتُغمض العين ولا تقول شيئًا. «شـــيِّلني وأنا أشيِّلك»، اسكت عني وأنا أسكت عنك.

هل هذه الدِّيمقراطيَّة؟

ليست هذه هي الدِّيمقراطيَّة الَّتي ننشدها لبلادنا ولشعوبنا.

نحن نريد ديمقراطية حقيقية، ســـليمة، صحيحة، يختار النَّاس فيها بإرادتهم الحرَّة.

نريد أن نختار بإرادتنا الحرَّة.

هذا ما نريده لشعوبنا.

نســـأل الله تعالى أن يبصِّرنـــا بالحقائق، وأن يفقِّهنا فـــي الدين، وأن يبصِّرنا بأمور الدنيا، وأن يرينا الحقَّ حقًّـــا ويرزقنا اتِّباعه، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه.

اللهـــمَّ اهدنا الصراط المســـتقيم، صراط الَّذين أنعمـــت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

اللهمَّ أكْرِمنا ولا تُهنَّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزِدنا ولا تَنقصنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وارض عنَّا وأرضنا.

اللهمَّ طهِّـــر أقوالنا مـــن اللغو، وأعمالنـــا من العبث، وأنفســـنا من

QaradawiBooks.com

الضعف، وقلوبنا من الغش، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، وعباداتنا من الرياء، وحياتنا من التناقض.

ربَّنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبِّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهمَّ ارفع مقتك وغضبك عنَّا، ولا تهلكنَا بما فعل السُّفهاء منَّا، ولا تسلِّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًّا رخاء وسائر بلاد المسلمين.

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمَّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأقم الصَّلاة ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفهارس العامة

- فهـــرس الآيات القرآنيـــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـــريفة.
- فهرس الموضوعات.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

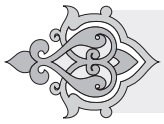

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

غير مسموح بطباعة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾	٦	١٦١
﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٧	١٦١
سورة البقرة		
﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً ... وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾	٣٠ ـ ٣٣	٢٧
﴿ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ ﴾	٣٦	٨٨
﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	٣٧	٢٩٣
﴿ بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَ ﴾	٦٨	١٣٨
﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ ﴾	٨٥	١٩٧
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾	١٤٣	١٨٢، ٢٧٠، ٢٧١
﴿ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ ﴾	١٥٠	٢٧٣
﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾	١٥٥ ـ ١٥٧	١٥١
﴿ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	١٧٣	٢١٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾	١٨٣	٦٠
﴿ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ ﴾	١٨٤	٦٠
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾	١٨٥	٦٨
﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾	١٨٨	٣١٠
﴿وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَا ﴾	١٨٩	٣٣٧
﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾	١٩٠	١٢٩
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ ﴾	٢٠٤	١٦٠
﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ ﴾	٢٠٥	١٦٠
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ ﴾	٢٠٧	٢٨٦
﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ ﴾	٢١٤	١٥٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾	٢٢٢	٢٩٢
﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾	٢٢٨	١٣٧
﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾	٢٥٦	٣٣٥
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ ﴾	٢٥٨	٢٤٩، ٣٣٩
﴿ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾	٢٨٥	٦٨
سورة آل عمران		
﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ ﴾	١٤	١٦٢
﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾	١٥ ـ ١٧	١٦٢، ٢٩٤
﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡ ﴾	١٥	١٦٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	١٠١	٣٠
﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾	١٠٣	٢٧١
﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾	١٠٥	٢٦٩، ٢٧٢
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾	١١٠	١٨٢، ٢٧٠
﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾	١٣٥	٥٥، ٢٩٤، ٢٩٥
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾	١٤٢	١٥٢
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾	١٤٤	١٣١
﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾	١٤٦	٢٨٧
﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا﴾	١٤٧	٢٠٤، ٢٢٩
﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾	١٥٩	٢١٣، ٣٣٣
﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾	١٧٣	١٤٨، ١٧١
﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	١٨٠	١٩٨
﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	١٨٩	١٩٨
سورة النساء		
﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾	٢٨	١٣٤
﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾	٢٩	١٩١
﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾	٣٤	١٠١
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾	٣٥	٣٣٦
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾	٣٦	٨٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾	٥٨	٣١٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾	٥٩	٣٤١
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾	٨٢	١٢٥
﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ ﴾	٩٠	٣١٦
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾	١٠٥	١٤٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾	١٠٧	٨٣
﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	١١٠	٢٩٥
﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾	١٢٣	٣٠٢
﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾	١٣٩	١٦٤
﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾	١٤٢	٢٩١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾	١٧٤	١١٨
سورة المائدة		
﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	٣	٢١٤
﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾	٥	٣٧
﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾	٦	٣٠
﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾	١٥	١٤٥
﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾	١٦	١١٨، ١٤٥
﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ﴾	٢٧ ـ ٣٠	٢٠٩، ٢٤٥
﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾	٢٨	٢٤٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِ﴾	٣١	٢٠٩
﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	٣٢	٣٠٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾	٣٥	٤٠
﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	٤٤	١٤٤
﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٤٥	١٤٤
﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾	٤٧	١٤٤
﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	٤٨	١٣٣
﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ﴾	٤٩	١٤٤، ١٩٧
﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾	٥٠	١٤٤، ٣٢٣
﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾	٥١	٢٣٥
﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾	٦٤	٨٣
﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾	٨٣	٤٤، ١٤٢
﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾	٩٥	٣٣٦
﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾	٩٨	٨٧
سورة الأنعام		
﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ﴾	٨٠ ـ ٨٢	١٥٥
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾	٨٢	١١٠
﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾	٨٩	١٥٦
﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾	١٢٢	١٢٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	١٤٥	٢١٤
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾	١٥٣	٢٧٧
﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾	١٥٥	١٤٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾	١٥٩	٢٧٢
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	١٦٢	٢٧٦
﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾	١٦٣	٢٧٦
سورة الأعراف		
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٢٣	٨٣، ٢٩٣
﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	٥٦	٨٨
﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾	٦٥	٢٩
﴿قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾	٨٢	١٤٩
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾	٩٦	١١٠
﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾	١٥٦	٨٨
﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾	١٥٧	٢٥، ٨٨، ١٣٩
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ﴾	١٧٩	١٥٨
﴿تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾	٢٠١	٥٥
﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾	٢٠٤	١٢٥
سورة الأنفال		
﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	١	٢٦٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾	٢	٤٤، ١٢٥، ١٤٤
﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾	٣٨	٢٩٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾	٤٥	١٩٤
﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾	٤٦	٢٦٧، ٢٨٢
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾	٥٨	٨٣
﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾	٦٠	١٨٧، ١٩٢
﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾	٧٢	١١٤
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ ﴾	٧٣	٢٨٥
سورة التوبة		
﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾	٣٢	١٣١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٣٨	٤١
﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾	٣٩	٤١
﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾	٤١	٤١، ١٢٩، ٢٩٩
﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ ﴾	٥٢	٢٨٩
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ ﴾	٦٥	٢٦٠
﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾	٦٦	٢٦٠
﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ ﴾	٦٧	١٠١
﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾	٧١	١٠٣
﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	١٠٥	٤٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾	١٠٨	٥٥
﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾	١١٨	٢٩٣
﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ﴾	١٢٢	١٤٢
سورة يونس		
﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾	١٨	١٢٠
﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾	٣٢	١٦٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾	٥٧	١٣٦
﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	٦٢	٣١١
﴿لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٦٦	١٩٨
﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾	٩٩	٣٣٥
سورة هود		
﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	١	١٣٠، ١٣٩
﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾	٤٦	٨٨
﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾	٥٢	٢٩٤
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾	١١٤	٢٩٦
﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾	١١٨	٢٧٨
﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾	١١٩	٢٧٨
سورة يوسف		
﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾	١	١٣٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ ﴾	٥٣	٧٨
﴿ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾	٧٨	٢٢٠
﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴾	٧٩	٢٢٠
﴿ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾	٩٩	٣١١
سورة الرعد		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾	١١	٧٤، ٧٥
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾	٢٨	١١٠، ١٥٥، ١٦٧
سورة إبراهيم		
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾	١	١٤٥
﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴾	١٥	٣٢٧
﴿ كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾	٢٤	٢٤١
﴿ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَا ﴾	٢٥	٢٤١
سورة الحجر		
﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	٩	١٣١، ١٤٠
﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾	٤٦	٣١١
﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	٤٩	٨٧
﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴾	٥٠	٨٧
﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ... وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾	٩٧ ـ ٩٩	٣١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النحل		
﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾	٤٣	٢٧٤
﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ﴾	٧٧	٨٥
﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾	٨٩	١٣٦
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾	٩٠	١٧٨
﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾	٩١	٣٠٨
﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾	٩٧	٢٤٤
﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا﴾	١١٢	٣١١
﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾	١١٥	٢١٤
﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾	١٢٥	١٨١
سورة الإسراء		
﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ﴾	٢٣	٣٠٠
﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾	٢٤	٣٠٠
﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾	٢٥	٩١، ٣٠٣
﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾	٢٩	١٣٨
﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾	٣٢	٢٢٤
﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾	٣٤	٣٠٨
﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا﴾	٣٧	١٢٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾	٧٠	٢٨
﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾	٨١	١٣٨، ١٤٧
﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ﴾	٨٢	١٣٦
﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾	٨٨	١٣٠، ١٣٣
﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾	١٠٥	١١٨
﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾	١١٠	١٣٩
سورة الكهف		
﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾	١٠٣	١٦٠
﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾	١٠٤	١٦٠
﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾	١٠٥	٥٢
سورة مريم		
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾	٦٤	٢١١
سورة طه		
﴿طه ۞ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾	١ ـ ٨	١٢٤
﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾	٥٢	٢١١
﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾	٨٤	٤٥
﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾	١١٥	٩١
﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۞ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾	١١٨، ١١٩	٢٠٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۞ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾	١٢١ ـ ١٢٢	٢٩٣
﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾	١٢٣	١٣٨
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾	١٢٤	١٣٨
سورة الأنبياء		
﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾	١٨	١٣٨
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾	٢٥	٢٩
﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾	٣٣	٢٥٠
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾	٩٢	٢٧٢
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	١٠٧	٣١٣
سورة الحج		
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾	١١	١٥١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾	٣٨	٢٨٨
﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٤١	٣٣٤
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾	٦٢	١٦٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾	٧٧	٢٦، ٢٧، ٣٢، ٣٩، ٤٢
﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾	٧٨	٢٦، ٢٧، ٤١، ٤٢
سورة المؤمنون		
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ... فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾	١٢ ـ ١٤	١٢٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾	١٥	١٢٦
﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾	٥٢	٢٧٢
﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾	٩٦	٣٠١
﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾	١١٥	١٢١
﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾	١١٦	١٢١
سورة النور		
﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾	٢٥	١٦٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ ﴾	٢٧	١٢٢، ٣٣٧
﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾	٢٨	١٢٢
﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	٣١	٣٠٣
﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾	٣٣	٤٠
﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ ﴾	٣٦	٥٥
﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾	٣٧	٥٥
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ ﴾	٣٩	١٦٧
﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾	٤٠	٢٩
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٥٥	١١٦
سورة الفرقان		
﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾	٣٠	١٤٣
﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾	٤٣	٦٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ﴾	٤٤	٦٢
﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾	٥٢	٢٩٩
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾	٦٣	١٢٢، ٢٣٢
﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾	٦٧	١٣٩
﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾	٧٠	٢٩٣
﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾	٧١	٢٩٣
سورة الشعراء		
﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	٨٨، ٨٩	١٦٥
﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾	٢٢٧	١٧٨
سورة النمل		
﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾	٥٢	١٣٨
سورة القصص		
﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾	٢	١٣٠
﴿فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾	٤	٣٢٧
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾	٧	١٤٩
﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾	٣٨	٣٢٧
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾	٥٠	١٠٢
﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ﴾	٥٥	٢٣٢
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	٨٨	١٦٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة العنكبوت		
﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾	١ ـ ٣	١٥٣
﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٦	١١٦
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾	١٠	١٥١
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾	٤٥	٢٠٤، ٢٢٩، ٢٦٩، ٣٤٦
سورة الروم		
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾	٣٠	١١٩
﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	٣١	٢٧٢
﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾	٣٢	٢٧٢
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	٢٨٨
سورة لقمان		
﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾	١٩	١٢٢
سورة الأحزاب		
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ﴾	٢١	٢٧٢
﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾	٢٢	١٤٨
﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾	٢٣	٥٦، ١٧١
﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾	٣٥	٢٩١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾	٥٦	٢٠٤، ٢٢٩، ٢٦٩، ٣٢٢، ٣٤٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة سبأ		
﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾	١٨	٣١١
﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾	٤٣	١٢٣
سورة فاطر		
﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾	٨	١٦٠
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾	١٠	١٦٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾	١٥	٣٠
﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾	٢٧	٢٧٨
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾	٢٨	٢٧٨
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾	٣٢	١٨١، ٢١٦
﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾	٤٣	٢٢٧
سورة يس		
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾	٦٠	٤، ٢٩
﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾	٦١	٤، ٢٩
سورة الصافات		
﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾	١٧٢، ١٧٣	٢٨٨
سورة ص		
﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾	٢٧	١٢١
﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾	٢٨	١٢١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	٢٩	١٢٤، ١٤٤
﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾	٧١	٦١
﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾	٧٢	٦١
سورة الزمر		
﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾	٣	١٢٠
﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾	٧	٨٣
﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ﴾	٢٣	١٢٣، ١٤٠
﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾	٥٣	٢٩٢
سورة غافر		
﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ ﴾	٣	٨٧
﴿ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾	٢٦	٣٢٧
﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾	٢٩	٣٢٧
﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾	٦٤	٢٦٠
سورة فصلت		
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾	٢٦	١٢٣
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾	٣٣	٢٢٥
﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴾	٤١	١٣١، ١٣٣
﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾	٤٢	١٢٢، ١٣١، ١٣٣، ١٣٩، ١٤١، ٢٧٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾	٤٣	٨٧
﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾	٤٤	١٣٦
﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾	٥٣	٢٢٧
سورة الشورى		
﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾	٣٨	٢١٢، ٢٤٠، ٣٣٣
سورة الزخرف		
﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾	٣٦	١٣٨
﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾	٨٠	٨٠، ٨١، ١٦٧
سورة الدخان		
﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾	٣١	٣٢٧
﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ... ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾	٤٣ ـ ٤٩	١٢٩
﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	٥٨	١٣٠
سورة الجاثية		
﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾	١٩	١٧٧
﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٢٩	٨١
سورة الأحقاف		
﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾	٧	١٢٣
سورة محمد		
﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ۞ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾	٤ ـ ٦	٤٢
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾	٢٤	١٢٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفتح		
﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾	١ ـ ٣	٣١
﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ﴾	١٢	١٤٦
﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾	١٣	١٤٦
﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾	٢٩	٤٥، ٥٦
سورة الحجرات		
﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾	١٠	١١٤، ٢٦٨، ٢٨٤
﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾	١٢	٣٣٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾	١٣	٢٧١
سورة ق		
﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾	٣	١٢١
﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ﴾	٦	١١٩
﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾	٧	١١٩
﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ﴾	١٦-٢٠	٤، ١٢٧
﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾	١٨	٧٩
﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾	٢١	١٢٧
﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾	٢٢	١٢٧، ١٦٦
سورة الذاريات		
﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾	١٧	٤٤، ٢٩٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ۝ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾	٢٠، ٢١	١١٩
﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾	٥٦ ـ ٥٨	١٢٠، ١٢٨
سورة القمر		
﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾	١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠	١٣٠، ١٣٣
سورة الواقعة		
﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ... تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	٧٥ ـ ٨٠	١٤٠
سورة الحديد		
﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾	٣ ـ ٦	١٢٠
﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾	٤	٨١
﴿ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾	٢٥	١٩٢
سورة المجادلة		
﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾	٧	٨٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ ﴾	١١	١٢٢
سورة الحشر		
﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ ﴾	٩	٤٤
﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾	١٠	١٧٨، ٢٢٩، ٣٤٦
سورة الممتحنة		
﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ﴾	٨	٣٧، ٣٠١، ٣١٥، ٣١٦
﴿ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ﴾	٩	٣١٥، ٣١٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الصف		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾	٤	١٧٦، ٢٨٣
﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	١٠	٢٩٩
﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾	١١	٢٩٩
سورة المنافقون		
﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾	٤	٥٢
﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾	١٠	٨٧
سورة التغابن		
﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾	٣	٢٦٠
﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾	١١	١٨٣
سورة التحريم		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ ﴾	٨	٣٠٣
سورة الجن		
﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۞ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾	١، ٢	١٤٥
سورة المزمل		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾	١ ـ ٤	١٢٥
سورة المدثر		
﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾	٢٤	١٢٣
سورة القيامة		
﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾	٢	٧٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الإنسان		
﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾	٣	٧٨
﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾	٨ ـ ١٠	٤٤
سورة النازعات		
﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾	٢٤	٣٢٧
﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ... فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾	٣٥ ـ ٤١	١٢٦
سورة التكوير		
﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾	٨، ٩	١٠٣
سورة الانفطار		
﴿خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾	٧، ٨	٢٦٠
﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾	١٣، ١٤	١٢٦
سورة المطففين		
﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٦	١٢٠
﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾	١٤	٨٦
سورة البروج		
﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾	١٢	٨٧
سورة الفجر		
﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾	٢٧ ـ ٣٠	٧٩
سورة البلد		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾	٤	١٥٣
﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾	١٠	٧٨

غير مرخصة للطباعة

نسخة جانبية

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشمس		
﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ... وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾	٧ ـ ١٠	٧٤، ٧٨
سورة الضحى		
﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾	٨	١٨٩
سورة التين		
﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾	٤	٢٦٠
سورة البينة		
﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾	٥	٢٩
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾	٧	٦٢، ١٦٢
سورة الزلزلة		
﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾	١ ـ ٨	١٢٨، ١٢٩
﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾	٧	١٢٠
﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾	٨	١٢٠
سورة قريش		
﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾	٣	٣١٠
﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾	٤	٣١٠
سورة الإخلاص		
﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ... وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾	١ ـ ٤	٢٢٢

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
آمين. ثمَّ رقى الثانية فقال: آمين. ثمَّ رقى الثالثة فقال: آمين	٢٩٧
ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين	٢١٩
اتَّقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق النَّاس بخلق حسن	٢٩٦
أحبُّ النَّاس إلى الله أنفعهم للنَّاس، وأحبُّ الأعمالِ إلى الله تعالى	٣٥
إذا توضَّأت تخرج الخطايا من أظفارك	٢٩٥
إذا دخل شهر رمضان، فُتِّحت أبواب السماء، وغُلِّقت أبواب جهنم	٨٢
إذا رأيت أمَّتي تهاب أنْ تقول للظالم: يا ظالم، فقد تُودِّع منهم	١٨٦
إذا صلَّيت ركعتين لا تُحدِّث نفسك فيهما بشيء من أمور الدُّنيا	٢٩٥
إذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر	٣٠٨
إذا عطس قال: الحمد لله	٢٧٦
إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأمركم شورى بينكم	١٠١
أذِن النَّبي ﷺ لأم ورقة أن تؤم أهل دارها	٣١٩
أرأيتم لو أنَّ نهرًا بباب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرَّات	٢٩٦

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
اركبوها صالحة، وكلوها صالحة، دخلت امرأة النَّار في هِرَّة حبستها	٣٠١
أشار عليه سلمان الفارسي في غزوة الأحزاب بحفر الخندق	٣٣٠
أشد النَّاس بلاء في الدُّنيا هم الأنبياء، ثمَّ الأمثل فالأمثل	٣٠٢
أصدق كلمة قالها الشاعر؛ كلمة لبيد	١٦٦
اعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك	٨٠
اغزُوا تَغْنَموا، وسافروا تستغنوا، وصوموا تصحُّوا	٦٤
أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطان جائر	١٨٦
أقرب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجد	٣٢
اقرؤوا القرآن؛ فإنَّه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه	١٣٢
ألا أخبركم بأفضل من درجة الصِّيام والصَّلاة والصدقة	٢٦٨
ألا إنَّ في الجسد مُضغة إذا صلَحت صلح الجسد كلُّه	١٦٥
الَّتي تشبَّه بالرِّجال	١٠٢
ألك أُمٌّ؟ قال: لا. قال: ألك خالة؟ قال: نعم. قال: اذهب فبرَّها	٣٠٠
اللهَ اللهَ في قِبْط مصر؛ فإنَّكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عُدَّة وأعوانًا	٣٨
اللهمَّ إنِّي أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى	١٨٩
اللهم إنِّي أعوذ بك من الكفر والفقر، وعذاب القبر	١٨٩
اللهمَّ أهلَّه علينا بالأمن والإيمان والسَّلامَة والإسلام، ربي وربُّك الله	٣١٢
اللهمَّ باعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين ما بين المشرق والمغرب	٢٩٨
اللهمَّ منزِل الكتاب، ومُجري السَّحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم	١٩٤
أمَّا الرَّجل فقد آمن	١٢٨

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أمُّك، ثمَّ أمُّك، ثمَّ أمُّك، ثمَّ أبوك	١٠٣
إنَّ الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط	١٥١
إنَّ الله تعالى جعل الفرح والروح في الرضا واليقين	١٥٢
إنَّ الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابنَ آدم، مَرِضْتُ فلم تَعُدْني	٣٦
إنَّ الله حدَّ حدودًا فلا تعتدوها، وفرض أشياء فلا تضيِّعوها	٢١٢
إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم	٥٣، ١٦٨
إنَّ الله يبعث لهذه الأمَّة على رأس كلِّ مائة سنة من يجدِّد لها دينها	٢٤٣
إنَّ في الجمعة لساعة، لا يوافقها مسلم، قائم يصلي، يسأل الله خيرًا	١٥٦، ٢٠٣، ٢٢٨
إنَّ في الجنَّة بابًا يقال له الريان، يدخل منه الصَّائمون يوم القيامة	٧١
أنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيرًا	٢٠٣، ٢٢٨
إنَّ لربِّك عليكَ حقًّا	١٩٠
إنَّ النَّاس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمَّهم الله بعقاب منه	١٨٦
إنَّ هذا الخير خزائن، ولتلك الخزائن مفاتيح	٥، ٣٣
إنَّ هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا	١٢٥
أنا الله خلقت الخير والشرَّ، فطوبى لمن خلقته للخير	٣٢
انظري غلامك النجار، يعمل لي أعوادًا أكلِّم عليها النَّاس	٣٣٠
إنَّما أنا رحمة مهداة	٣١٤
إنِّي والجنَّ والإنس في نبأٍ عظيم، أخلق ويُعبد غيري	٩٢
أيُّما امرأةٍ نزعت ثيابَها في غير بيت زوجها، إلَّا هتكت سِتر ما بينها وبين ربِّها	٩٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ب	
بعثه النبي ﷺ إلى بني عامر في سبعين، فعرضوا لهم، فقتلوهم	٤٤
بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال: يا رسول الله، فإنَّ هذا ليس بمنزل	١٨٥
ت	
التائب من الذنب كَمَنْ لا ذنب له	٢٩٢
تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشربها	٨٦
تلك غنيمة المسلمين غدًا إن شاء الله	١٧٠
ث	
ثلاث جدُّهنَّ جِدٌّ وهزلهن جِدٌّ: النكاح، والطلاق، والعِتَاق	٢٦٠
ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم: العبد الآبق حتَّى يرجع	٣٢٦
ثلاثة لا تردُّ دعوتهم: الصَّائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم	٦٣
ثلاثة لا يدخلون الجنَّة: الديوث، والرَّجُلة، ومدمن خمر	١٠١
ج	
جاهدوا المشركين بأيديكم وأموالكم وألسنتكم	٢٩٩
ح	
حبُّ الدنيا، وكراهية الموت	١١٧
حقُّ الله على كلِّ مسلم: أنْ يغتسل في كلِّ سبعة أيام يومًا يغسل فيه رأسه وجسده	١٩١
الحكمة ضالَّة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحقُّ النَّاس بها	٣٢٩
الحلال بَيِّن والحرام بيِّن وبينهما مُشْتَبِهات، لا يعلمهنَّ كثير من النَّاس	١٦٨

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
خ	
خير أمرائكم الَّذين تحبُّونهم ويحبُّونكم، وتصلُّون عليهم ويصلُّون عليكم	٣٢٧
خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه	١٣٠، ١٣٢
د	
دخلت امرأة النَّار في هِرَّة حبستها	٣٨، ٣٠١
دخلت بَغِيٌّ الجنَّة في كلب سقته	٣٠١
دعه؛ فقد فقِه	١٢٨
الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة	١٠٣
الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامَّتهم	٣٣٣
ر	
الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء	٦٧
رأى النَّبيُّ ﷺ في منامه قومًا معلَّقين بعراقيبهم	٧٣
رأيتُ جعفرَ بن أبي طالب يطير في الجنَّة ذا جناحَيْنِ يطير بهما حيث يشاء	٤٦
رغِم أنفُه، ثمَّ رغِم أنفُه، ثمَّ رغِم أنفُه: مَنْ أدرك أبويه أو أحدهما عند الكِبر	٣٠٠
س	
ساعة وساعة	٢١٦
ستكون بعدي فتن كقطع الليل المظلم	١٤٥
سيِّد الشهداء حمزةُ بن عبد المُطَّلِب، ورجل قام إلى إمامٍ جائر فأمره ونهاه فقتله	١٨٦
ص	
الصدقة تُطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماءُ النار	٣٠٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
صدقة السِّر تُطفئ غضب الرب	٣٠١
صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلَّا المسجد الحرام	٣٦
الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مُكفِّرات	٢٩٦
صمْ شهر الصَّبر رمضان. قال: إنِّي أجد قوَّة، وإنِّي أحبُّ أن تزيدني	٦٥
صنفان من أهل النَّار لم أرهما: رجال معهم سياط كأذناب البقر	١٠٥
ع	
عجبًا لأمر المؤمن! إنَّ أمره كلَّه له خير، وليس ذلك لأحد إلَّا للمؤمن	١٥٤
عرض عليَّ ربِّي ليجعلَ لي بطحاء مكَّة ذهبًا، فقلتُ: لا يا ربِّ	٦٦
العمرة إلى العمرة كفَّارة لما بينهما، والحجُّ المبرور ليس له جزاء إلَّا الجنَّة	٢٩٨
ف	
فاتخذ النَّبي ﷺ خاتمًا من فضة	٣٣٠
فإذا عيناه تذرفان الدمع	١٢٥
فإنَّ لجَسَدِكَ عليك حقًّا	١٩٠
في كلِّ كبدٍ رطْبة أجر	٣٨
ق	
قال الله تعالى: كلُّ عمل ابنِ آدمَ له إلَّا الصَّوم، فإنَّه لي وأنا أجزى به	٧٣
قال: الإيمان بالله. قلت: يا نبيَّ الله، مع الإيمان عمل؟	٣٣
القرآن شافع مشفَّع، وماحِل مصدَّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنَّة	١١٩، ١٤٥
ك	
كلُّ ابن آدم خطَّاء وخير الخطَّائين التوَّابون	٩١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
كلُّ سُلامى من النَّاس عليه صدقة كلَّ يومٍ تَطْلُع فيه الشمس	٣٤
كلُّ عَمَلِ ابنِ آدمَ له إلَّا الصَّوم، فإنَّه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه	٦٨
الكَيِّسُ من دان نَفْسَه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها	٨٩
كيف أنتم إذا طغى نساؤكم ـ أي: خرجن على رجالهنَّ وطبيعتهنَّ ـ	٩٩
ل	
لا إلٰه إلَّا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويميت	٢٩١
لا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا	٢٦٩، ٢٨٢
لا تزال طائفة من أمَّتي على الحقِّ ظاهرين، لعدوهم قاهرين	١٥٤
لا فضلَ لعربيٍّ على أعجميٍّ ولا لأبيضَ على أسودَ إلَّا بالتقوى	٤٠
لا يحلُّ لرجل أن يروِّع مسلمًا	٣١٣
لتتبعنَّ سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع	٧٧
لزوال الدُّنْيا أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حقٍّ	٣٠٨
لقد أجرنا من أجرت يا أم هانئ	٣٠٩
لقد دخل قلبَ الأعرابي الإيمان	١٢٨
لكلِّ شيءٍ زكاة، وزكاة الجسد الصَّوم، والصَّوم نصفُ الصَّبر	٦٥
لن تقوم الساعة حتَّى تقاتلوا اليهود فيختبئ اليهودي وراء الحجر	١١٧
م	
ما أحلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام	٢١١
ما أنزل الله من داءٍ إلَّا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله	١٩٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرِّجال من النِّساء	٩٧
ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنه، بحسْبِ ابن آدم أُكَيْلَات يُقمن صُلبه	٦٣
ما من مسلم يُصيبه هَمٌّ ولا غَمٌّ، ولا نَصَب ولا وَصَب، ولا حزن ولا أذى	٣٠٢
ما من مُسْلِمٍ يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ	٣٨
ما من مؤمنٍ يطلب خَصْلة من هذه الخصال إلَّا أخذتْ بيده حتَّى تُدْخِلَه الجنَّة	٣٤
ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر	١٨٩
مثَل المؤمن كمثل السنبلة تخرُّ مرَّة وتستقيم مرَّة	٩١
المَحَجَّة البيضاء ليلها كنهارها لا يَزِيغ عنها إلَّا هالك	٢٥
المسلم من سلم النَّاس من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه النَّاس	٣١٣
مما تضحكون؟ قالوا: من دقَّة ساقيه. فقال ﷺ: والَّذِي نَفْسي بيده	٥٢
مَنْ أتى شيئًا من هذه القاذورات المنهي عنها؛ فعوقب به في الدُّنيا فهو كفارة له	٣٠٣
من أصبح منكم آمنًا في سِربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه	٣١١
من بطَّأ به عمله لم يُسرع به نسَبه	٤٠
مَنْ حجَّ فلم يرفثْ ولم يفسقْ رجع من ذنوبه كيوم ولدتْه أمُّه	٢٩٨
من دلَّ على فعل خيرٍ فله مثلُ أجر فاعله	٣٢
من سنَّ سُنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها	٣٤٠
من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه	٧٣
من طلب الدُّنْيا حلالًا وتعفُّفًا عن المسألة، وسعيًا على عياله	٣١
من قاتل لتكون كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيل الله	٤١
من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه	٢٩٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنَّة ـ لم يشم رائحة الجنَّة ـ	٣٠٨
من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها	١٣٢
من قرأ القرآن وعمل به، أُلبس والده يوم القيامة تاجًا من نور	١٣٠
من لم يدع قولَ الزُّور والعملَ به، فليس لله حاجةٌ في أن يدَع طعامه وشرابه	٧١
مَن نَفَّسَ عن مؤمنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدنيا، نَفَّسَ اللهُ عنه كُرْبَةً	٥، ٣٦
المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف	١٩٠
المؤمن يرى ذنوبَه كأنَّه قاعدٌ تحت جبل يخاف أن يقع عليه	٨٤
ن	
نخلع ونترك من يفجرك	١٨٧
نساء كاسيات عاريات مائلات مُميلات، رؤوسهنَّ كأسْنِمة البُخت	٩٥
نشكرك اللهمَّ ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك	١٨٧
نِعم المالُ الصالحُ للرجلِ الصالح	١٨٩
نعم، والَّذي نفسي بيده، وأشدُّ منه سيكون، قال الله تعالى: بي حلفت	١٠٠
نَفِي لهم بعهدهم، ونستعين اللهَ عليهم	٣٠٨
هـ	
هل من تائب فأتوبَ عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داعٍ فأجيبه؟	٢٩٤
و	
والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّد بيده، لوددتُ أنْ أغزو في سبيل الله فأقتل	١٧٦
والذي نفس محمَّد بيده، لولا أنْ أشقَّ على المسلمين	١٧٦
والذي نفسي بيده! لو تدومون على ما تكونون عندي	٢١٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
والَّذي نفْسِي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يُذْنِبون	٩٠، ٢٩٢
والله في عون العبد	٤٠
ورُبَّ أشعثَ مدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه	٥٣
وقال ﷺ: إنَّ لله أَهْلِينَ من النَّاس. قالوا: من هم يا رسول الله؟	١٣٢
وقال ﷺ: إنَّ من ورائكم لفتنًا كقِطَع الليل المظلم	١٦٨
ولا تقتلوا وليدًا	٣١٤
ولو كانت الدُّنْيا تعدِل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء	١٠٨
وليس الغنى عن كثرة العَرَض، إنَّما الغِنَى غنى النَّفس	٥٣
وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم	١١٩
ي	
يا أبا بكر، لا تحزن ولا تبكِ، ألست تمرض؟ ألست تؤذَى؟	٣٠٢
يا ابنَ آدم، لو أتيتَني بقِرَاب الأرض خطايا، ثمَّ لَقِيتَني لا تشركُ بي شيئًا	٩٠
يا داود، أنت تريد وأنا أريد، فإذا سلَّمت لما أريد كفيتك ما تريد	١٥٢
يا رسولَ الله، غبتُ عن أوَّل قتال قاتلتَ المشركين	٥٥
يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر	٤٤
يا عائشة، لقد قلتِ كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته	٨٥
يا عبادي، إنِّي لم أخلُقْكم لأستأنسَ بكم من وَحْشة	٢٨
يا معشر الشَّباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج؛ فإنَّه أغضُّ للبصر	٦٥
يأتي الرَّجل العظيم السَّمين عند الله يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة	٥٢
يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النَّهار، ويبسط يده بالنَّهار ليتوب مسيء الليل	٩٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
يَحْقِر أحدُكم صلاتَه إلى صلاتهم، وقيامه إلى قيامهم، وصيامه إلى صيامهم	٣٠٦
يدع طعامه من أجلي، ويدع شرابه من أجلي، ويدع زوجته وشهوته من أجلي	٢٧٥
يمرقون من الدِّين كما يمرق السَّهم من الرَّمِيَّة	٣٠٦
ينهى عن إضاعة المال	٣٠٩
يوشك أنْ تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة ـ أو الآكلة ـ إلى قصعتها	١١٧

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

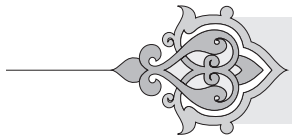

فهرس الموضوعات

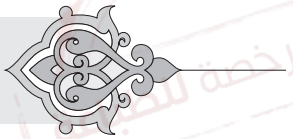

- **من الدستور الإلهي للبشرية** ٤
- **من مشكاة النبوة الخاتمة** ٥
- **مقدمة** ٧
- **مقدمة** ١٣

مكانة الخُطبة ١٤

الشَّيخ فارس في هذا المَيْدَان ١٤

مُؤَهِّلات القرضاوي الخِطَابيَّة ١٥

موضوعات الخُطبة عند القرضاوي ١٥

مميزات الخُطبة عند القرضاوي ١٩

«مشوار» القرضاوي الخطَّابي ٢٠

القرضاوي يخطب جالسًا ٢٢

القرضاوي بين القديم والجديد في خطبه ٢٣

١ ـ رسالتك أيَّها المسلم ٢٥

النداء المحبب ٢٦

ما هي مهمَّة المؤمن؟ ٢٦

QaradawiBooks.com

الشُّعبة الأولى من رسالة المسلم العِبادة ٢٦
منزلة الإنسان الحقيقيَّة ٢٧
لماذا فرض الله العبادة؟ ٢٩
العبادة شاملة ٣١
الشُّعبة الثانية من رسالة المسلم فعل الخير ٣٢
الأعمال الاجتماعيَّة النافعة عبادة ٣٢
الخير لكلِّ النَّاس ٣٧
ولأهل الكتاب وصيَّة خاصَّة ٣٧
وللحيوان نصيب ٣٨
الشُّعبة الثالثة الجهاد في سبيل الله ٣٩
لا بدَّ للرسالة الحقَّة من خصوم ٤٠
الغاية من الجهاد ٤١
غايات مرفوضة ٤١
ليس من الإسلام ٤٣
مثال للمؤمن الجامع لكلِّ هذه الصفات ٤٥
٢ ـ حاجاتنا إلى رجال ٤٨
أمنية عُمَرِيَّة ٤٨
مُقَوِّمات القوَّة في الأمَّة الإسلاميَّة ٤٩
الرَّجل الحقيقي أساس كلِّ إصلاح ٤٩
أقدار الرجال ٥٠
الرُّجولة ليست بالسنِّ ٥١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الرُّجولة ليست بالجسم ٥٢
ليست الرُّجولة بالمظهر ٥٣
وليست الرُّجولة بالمال ٥٣
ليست الرُّجولة بالمنصب والجاه ٥٣
الرُّجولة الحقيقيَّة ٥٤
أين تنشأ الرُّجولة؟ ٥٤
الرُّجولة لا تعني العِصمة ٥٥
رجولة الأمس واليوم ٥٦
الاستعمار وراء هذا البلاء ٥٨
٣ ـ الصِّيام ٦٠
من أسرار الصِّيام ٦٠
الصَّوم تقوية للرُّوح ٦١
لماذا فرض الله الصِّيام؟ ٦٣
صوموا تصحُّوا ٦٣
الصَّوم تربية للإرادة ٦٤
تعريف بالنِّعمة ٦٦
تذكير بحرمان المحرومين ٦٧
العبوديَّة الكاملة لله ٦٨
المسلمون والصِّيام ٦٩
الصَّوم حرب على الثالوث الخطر ٧٠
نصيحة إلى الصَّائمين ٧١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بين الصَّوم والجهاد ٧١
رسالة إلى المُفْطِرين ٧٢
٤ ـ كيف نُصْلِح عيوب أنفسنا؟ ٧٤
صلاح النُّفوس أساس كلِّ شيء ٧٤
كيف نعالج عيوب أنفسنا ٧٥
المعلِّم الأول العِلم النَّافع ٧٥
المُعَلِّم الثاني الأخ النَّاصح ٧٦
المُعَلِّم الثالث المجتمع ٧٧
المُعَلِّم الرابع الأعداء ٧٧
النَّفس مجبولة على الخير والشرِّ ٧٨
الأنفس ثلاثة ٧٨
المشارطة والمراقبة ٧٩
٥ ـ من ثمرات رمضان التَّوبة ٨٢
وماذا بعد رمضان؟ ٨٢
موانع التَّوبة ٨٣
التَّوبة ثمرة رمضان ٩٠
علامة التَّوبة النَّصوح ٩١
٦ ـ نساء اليوم ٩٣
أصل الداء ومحور البلاء ٩٣
نساؤنا ونساء السَّلف ٩٤
اكتبوها في مكارم الأخلاق ٩٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

عُرْي مقيت وتبرُّج مرفوض ٩٥
لمن تكون الزينة؟ ٩٨
ربُّوا نساءكم وإلَّا ٩٩
لا تسمعوا لهذه الشائعات ١٠٢
نظرة الإسلام للمرأة ١٠٢
من حقوق المرأة في الإسلام ١٠٤
٧ ـ هذا ماضينا فأين حاضرنا؟! ١٠٦
بين الأمس واليوم ١٠٦
قوَّة يحسب لها ألف حساب ١٠٧
كنَّا أغنى الأمم ١٠٩
كنَّا سعداء بإيماننا ورسالتنا ١١٠
كنَّا أساتذة الدنيا ١١١
حاضر مؤسف ١١٢
مِحنة فلسطين ١١٢
كارثة اللاجئين ١١٤
بين وعد بلفور ووعد الله تعالى ١١٥
القدس قضيَّة الأمَّة الأولى ١١٦
٨ ـ القرآن الكريم منهاج للفرد ١١٨
القرآن الكريم منهاج للفرد ١١٨
القرآن يعلِّم الفرد المسلم عقيدته ١١٩
القرآن يعلِّم الأخلاق ١٢٢

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

القرآن يخاطب العقول والقلوب ١٢٣
القرآن يزلزل قلوب المشركين ١٢٣
كيف نقرأ القرآن ١٢٤
القرآن يجيب عن الأسئلة الخالدة ١٢٦
تجاوُب السَّلف مع القرآن ١٢٧
حال المسلمين اليوم مع القرآن ١٢٩
خصائص القرآن ١٣٠
ذلكم هو القرآن الكريم ١٣٢
الحضُّ على قراءة القرآن ١٣٢
٩ ـ القرآن الكريم دستور للدولة ١٣٣
القرآن كتاب إلٰهي ١٣٤
ميزات القرآن ١٣٥
موقفنا من القرآن ١٤١
هجران تلاوة القرآن قراءة ١٤٢
هجران العمل بالقرآن ١٤٣
واجبنا نحو القرآن ١٤٤
١٠ ـ المِحنة سُنَّة الله في أصحاب الدعوات ١٤٦
رسالة إلى المُرجفين ١٤٦
الابتلاءات سُنَّة ١٤٦
أفكار مغلوطة وأفهام خاطئة ١٤٧
من ثمرات المِحن ١٤٧

QaradawiBooks.com

طريق الدعوة محفوف بالمخاطر ١٤٨
والصَّحابة على دربهم سائرون ١٥٠
والدُّعاة والمصلحون على الطريق ١٥٠
النَّاس عند نزول المحن ١٥١
الدنيا دار التعب ١٥٣
١١ ـ النَّاس أصناف أربعة ١٥٧
أصناف النَّاس ١٥٧
الصنف الأول: من يعيش لشهوته ١٥٧
لماذا هذا الصنف أضلُّ من الأنعام؟ ١٥٩
الصنف الثاني: من يعيش لأذى غيره ١٦٠
الصنف الثالث: من يعيش للباطل ١٦٠
الصنف الرابع: من يعيش للحقِّ ١٦١
غايات نبيلة وأخرى وضيعة ١٦٢
تسبيحة أفضل من مُلك سليمان! ١٦٣
ليست هذه هي السعادة ١٦٣
السعادة الحقَّة في القلوب ١٦٤
هؤلاء هم النَّاس حقًّا ١٦٥
كيف نعرف الحقَّ من الباطل ١٦٥
اخترْ لنفسك صنفًا ١٦٧
١٢ ـ جهاد الجزائر ١٦٩
عاطفتان مختلفتان ١٦٩
ثورة مُدَوِّية كأنَّها الرعد ١٦٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة محاسبية

جهود ابن باديس ورفاقه ١٧١
حرب على العروبة والإسلام ١٧٢
فشل ذريع لفرنسا ١٧٣
النعام تستأسد ١٧٣
وحوش في لبوس بشر ١٧٤
فرنسا نسيت تاريخها ١٧٥
يا أربعمائة مليون من المسلمين ١٧٨
١٣ ـ لماذا نرفض العِلْمانيَّة؟ ١٧٩
رفضي الحوار مع علماني في قناة الجزيرة ١٧٩
إلحاح إخواني أثناني عن الرفض ١٨٠
محاور لا يتحلَّى بأدب الحوار ١٨١
تساؤلات لها أجوبة ١٨٢
هل الدين عقبة أمام التقدُّم؟ ١٨٣
التديُّن المرفوض ١٨٥
التديُّن الحقيقي ١٨٦
الإسلام والتقدُّم ١٨٧
الإسلام والتقدُّم الاقتصادي ١٨٨
الإسلام والتقدُّم الصِّحي ١٩٠
الإسلام والتقدُّم العسكري ١٩١
تجربتان معاصرتان مع الدين ١٩٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كيف أنشأ الإسلام الحضارة العربيَّة؟ ١٩٥
التناقض بين العِلْمانيَّة والإسلام ١٩٧
تركيا نموذج ١٩٩
فشل الأنظمة المستوردة في بلادنا ٢٠٠
هذه الأمَّة مفتاح شخصيتها الإسلام ٢٠١
١٤ ـ معركة الإسلام والعِلْمانيَّة ٢٠٥
كيف تسلَّلت العِلْمانيَّة إلى ديارنا ٢٠٥
تطرُّف العِلْمانيَّة التركيَّة ٢٠٧
مبرِّرات فرض العِلْمانيَّة في بلادنا ٢٠٨
الشَّريعة بين الثابت والتغيُّر ٢١٠
أمَّا الشَّريعة ففيها دائرتان ٢١٠
من عوامل السَّعة والمرونة في شريعة الإسلام ٢١١
هل الإسلام دين مثالي لا يصلح للتطبيق؟! ٢١٦
شُبهات حول تاريخنا الإسلامي ٢١٨
العِلْمانيَّة والحُرِّيَّة الدينيَّة ٢٢١
جريمة فصل الدين عن السياسة ٢٢٤
فليتحاكموا إلى الشُّعوب ٢٢٥
خسائر أمَّتنا من وراء العِلْمانيَّة ٢٢٥
أي أمَّة هذه؟! ٢٢٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

١٥ ـ الشَّيخ محمَّد الغزالي عالم مجاهد مجدِّد ٢٣٠
كيف يختار مدير برنامج «الاتجاه المعاكس» شخصياته؟ ٢٣٠
علماني متطرِّف يهاجم الشَّيخ الغزالي ٢٣١
صنفان يعاديان الشَّيخ الغزالي ٢٣٢
صنف المُتَطرِّفين من العلمانيِّين ٢٣٤
العلمانيون وسياسة تجفيف الينابيع ٢٣٥
العلمانيون وتمييع الحقائق ٢٣٦
وسطيَّة الشَّيخ الغزالي واعتداله ٢٣٧
الغزالي نصير المستضعفين ٢٣٩
جهاد الغزالي ضد الاستبداد السياسي ٢٣٩
من هم عداة الشَّيخ الغزالي؟ ٢٤٠
المستقبل للإسلام ٢٤١
ماذا نريد من الصَّحوة؟ ٢٤٢
الشَّيخ الغزالي أحد مجدِّدي الإسلام ٢٤٣
تحذير لأهل فلسطين من التفرُّق والفتنة ٢٤٥
١٦ ـ استنكار رواية «وليمة لأعشاب البحر» ٢٤٧
همٌّ ثقافي يضاف إلى همومنا ٢٤٧
هل يعبِّر أشخاص الرواية عن فكر الكاتب؟ ٢٤٨
حرية الإبداع وحدودها ٢٥٠
الكاتب المبدع بين الإسفاف والرُّقي ٢٥٢
الاتِّكاء على الثقافة الشاذَّة ٢٥٤

QaradawiBooks.com

هل طلاب الأزهر ظلاميون؟! ٢٥٥
إنفاق مال الدولة على السَّفه ٢٥٨
بيان الأزهر حول الرواية ٢٦١
نداء لرئيس مصر «مبارك» ٢٦٤
حول الخلاف بين الترابي والبشير في السودان ٢٦٦
١٧ ـ الأمَّة الإسلاميَّة حقيقةٌ لا وهْم ٢٧٠
الأمَّة إسلاميَّة حقيقة لا وهم ٢٧١
أمَّة بمنطق الدين ٢٧١
دعوة الدين المسلمين للوحدة ٢٧١
عوامل تقوية الوحدة بين المسلمين ٢٧٢
عامل المرجعيَّة الربَّانيَّة الواحدة ٢٧٢
عامل وحدة الشَّريعة ٢٧٤
عامل وحدة الشَّعائر العباديَّة ٢٧٤
الصِّيام ٢٧٥
الحجُّ من أكثر المظاهر وحدة للأمَّة ٢٧٥
عامل وحدة الآداب الإسلاميَّة ٢٧٦
وحدة المنهج والغاية ٢٧٦
أمَّة واحدة بمنطق التاريخ والجغرافيا ٢٧٧
أمَّة واحدة بمنطق المصير المشترك ٢٧٧
أمَّة واحدة بمنطق الآلام والآمال والمصالح المشتركة ٢٧٩
مؤامرات الأعداء لغرس داء الفُرقة بين المسلمين ٢٨١

QaradawiBooks.com

تلاحم الأمَّة فريضة وضرورة ٢٨٢
نداء لعقلاء السُّنَّة والشِّيعَة ٢٨٣
محاولة ضرب الفلسطينيين بعضهم ببعض ٢٨٤
لماذا يجب أن نتوحَّد؟ ٢٨٤
انتفاضة الأقصى في سَنتها الرابعة ٢٨٦
صراع صهيوني فلسطيني! ٢٨٨
١٨ ـ مطهرات الذنوب ٢٩٠
١ ـ ذكر الله تعالى ٢٩١
٢ ـ التوبة إلى الله تعالى ٢٩١
٣ ـ استغفار الله تعالى ٢٩٤
٤ ـ الطاعات المختلفة ٢٩٥
٥ ـ الجهاد في سبيل الله ٢٩٩
٦ ـ البرُّ والصلة والإحسان ٣٠٠
١٩ ـ تفجيرات مسرح قطر عمل مستنكَر ٣٠٤
ماذا وراء هذا الحادث؟ ٣٠٤
فهْم أعوج ومنطق أعوج ٣٠٥
الإخلاص وحده لا يكفي ٣٠٧
قتل المستأمنين لا يجوز ٣٠٩
حُرمة الدماء والأموال ٣٠٩
نعمتان من أعظم النِّعم ٣١٠
نِعمة الأمن ٣١٠

QaradawiBooks.com

أخلاقنا الحربيَّة ٣١٤
التيار الوسطي لا يعرف العنف ٣١٥
ألا تزر وازرة وزر أخرى ٣١٦
صلاة أمريكية ٣١٨
علَّة حرمان المرأة من إمامَة الرِّجال ٣١٨
٢٠ ـ الدِّيموقراطيَّة ٣٢٣
لا بدَّ من تصحيح المفاهيم ٣٢٣
عناصر الدِّيمقراطيَّة هل توافق الإسلام؟ ٣٢٤
حرِّية اختيار الحاكم ٣٢٦
الإسلام يكره الاستبداد ٣٢٧
تجربة الانتخابات الحرَّة ٣٢٨
حُرِّيَّة اختيار النواب ٣٢٩
الحكمة ضالَّة المؤمن ٣٢٩
نتَّبع في أمور الدين ونبتدع في أمور الدنيا ٣٣١
محاسبة الحاكم حقٌّ للمحكومين ٣٣١
التزام الحاكم بمنهج الشَّرع ٣٣٣
حقُّ الأمَّة في إسقاط الحكومة، بل عزل الحاكم ٣٣٤
توفير الحرِّيات العامَّة للشَّعب ٣٣٥
الحرِّية الفكريَّة والعلميَّة ٣٣٦
الحرِّية السِّياسيَّة ٣٣٦
فصل السلطات ٣٣٨

QaradawiBooks.com

هذه بضاعتنا رُدَّت إلينا ٣٣٨
لا يولَّى إلَّا الكفء ٣٣٩
الابتداع مرفوض في أمور الدين فقط ٣٤٠
الجمود في أمور الدُّنْيا سبب تأخُّرنا ٣٤٠
أمَّا بعد، فيا أيَّها الإخوة المسلمون ٣٤٢
الدِّيمقراطيَّة الَّتي تأتي بالإسلاميين مرفوضة! ٣٤٣
من بدع الدِّيمقراطيَّة عندنا ٣٤٤

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٣٤٩**
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٣٧٣**
- **فهرس الموضوعات ٣٨٥**

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية